

جامعة ابن خلدون - تيارت.
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

-

محاضرات

مقياس تاريخ الحضارة الإنسانية.
السنة الأولى ليسانس.

د. جمال صالح.

• المحاضرة الأولى

- تاريخ الحضارة الإنسانية

مفهومها ومجالاتها .

➤ محاور المحاضرة:

✓ مفهوم الحضارة.

✓ العلاقة بين مصطلح الحضارة والثقافة والمدنية.

✓ أسس ومجالات بناء الحضارة.

مفهوم الحضارة:

كلمة الحضارة كما نستخدمها اليوم ترجع إلى عهدٍ حديثٍ نسبيًا، صحيح أن اللغة العربية واللغات الأوروبية قد عرفت اللفظ منذ عهد بعيد، ولكن هذا اللفظ لم يتخذ معنىً محددًا إلا بعد أن نشأت الدراسة الخاصة المعروفة باسم (تاريخ الحضارة) فأدت إلى استبعاد كثير من معانيه الأخرى في اللغات الأوروبية بوجه خاص، مثل معنى التثقيف والتهديب، والزرع والتربية النباتية ... إلخ¹. ولعل المصنفات والمؤلفات في مجال تاريخ وفلسفة الحضارة تؤكد إلى حد بعيد مدى التحول والتطور الدلالي الذي رافق هذا المصطلح، من كونه مجرد لفظ ذي دلالة بسيطة إلى لفظ ذي دلالة واسعة وثرية، وهذا التطور للفظ لا يقتصر على اللغة العربية بل هو كذلك في غيرها. "فمفهوم كلمة الحضارة مفهوم متطور مع الزمن"².

_ لفظ حضارة لغة:

أ _ اللغة العربية : "حضر: الحضورُ: نَقِيضُ المَغِيبِ والعَيْبَةِ؛ حَضَرَ يَحْضُرُ حُضُورًا وَحَضَارَةً؛ وَيُعَدِّي فَيُقَالُ: حَضَرَهُ وَحَضَرَهُ ... وَكَانَ ذَلِكَ بِحَضْرَةِ فلان وَحَضْرَتِهِ وَحَضْرَتِهِ وَحَضْرِهِ وَحَضْرِهِ، وَكَلَّمْتُهُ بِحَضْرَةِ فلانٍ وَبِمَحَضَرٍ مِنْهُ أَيْ بِمَشْهَدٍ مِنْهُ ... وَالحَاضِرُ: المُقِيمُ فِي المَدِينِ والقُرَى، وَالبَادِي: المُقِيمُ بِالبَادِيَةِ، وَيُقَالُ: فلانٌ مِنْ أَهْلِ الحَاضِرَةِ وَفلانٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ، وَفلانٌ حَضْرِيٌّ وَفلانٌ بَدَوِيٌّ وَالحِضَارَةُ: الإِقَامَةُ فِي

¹ ينظر: فؤاد زكريا، الإنسان والحضارة، مؤسسة هنداوي، ط2017م، ص11.

² أحمد عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الدينية ط، 1989م، ص119.

الحَضْر. قال القُطامي¹: فَمَنْ تَكُنِ الحَضَارَةُ أعجبتهُ فأَيَّ رِجَالِ بَادِيَةِ تَرَانَا.

. والحَضْرُ والحَضْرَةُ والحاضِرَةُ: خِلاَفُ البَادِيَةِ، وَهِيَ المَدُنُ والقُرَى والرِّيفُ " والحَضْرُ والحَضْرَةُ والحاضِرَةُ: خِلاَفُ البَادِيَةِ، وَهِيَ المَدُنُ والقُرَى والرِّيفُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ أَهْلَهَا حَضَرُوا الأَمْصَارَ وَمَسَاكِنَ الدِّيَارِ الَّتِي لَا يَكُونُ لَهُمْ بِهَا قَرَارٌ² .

ب_ اللغة الأجنبية:

و يلاحظ أن كلمة الحضارة "civilisation" في اللغة الإنجليزية وفي اللغة الفرنسية ، وفي اللغات الأوروبية ، مشتقة من اللغة اللاتينية الأم ، و يظهر ذلك في ثلاث كلمات وهي "Civitas" والتي تعني المدينة، و "Civis" ، و معناها مساكن المدينة، الكلمة الثالثة "Civilis" و يراد بها مدني أو ساكن المدينة. و هذه المعاني كلها فيها دلالة على المدينة التي هي عكس البادية أو الريف³ .

_ الحضارة اصطلاحا:

أ _ التعريف الاصطلاحي للحضارة :

_ عند ابن خلدون: وقد عرفها في مقدمته، بأنها: "أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم". و يضيف ابن خلدون أنها " إنما هي تفنن في الترف،... والصنائع المستعملة في وجوهه، ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله⁴ ."

لقد بيّن ابن خلدون أن الحضارة تظهر في المدن والقرى، و أنّها تتجلى في مظاهر الترف، والكلف وبالصنائع، وسائر الفنون، والحضارة عنده لا تظهر في البادية لاكتفاء أهل البدو على الضروري مما يصون ويضمن العيش دون مزيد.

عند مالك بن نبي :

الحضارة هي " جملة العوامل المعنوية والشروط والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره⁵ ."

¹ القُطامي التُغلي - 130 هـ / ؟ - 747 م واسمه عمير بن شبيب بن عمرو بن عباد بن بكر بن عامر ابن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. ولقب القُطامي. ينظر: محمد المرزباني، تع: ف كرنكو. بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 1982، م 228. ونقل أن القُطامي أول من لُقِبَ (صريع الغواني) بقوله: صريع غوان راقهنّ ورقنه لدن شبّ حتى شاب سود الذوائب .

² ابن منظور ، لسان العرب ، حاشية البيهقي وآخرون، بيروت ، دار صادر ، ط 1414 هـ ، ج 4، ص 196_197.

³ أحمد محمود صبحي صفاء عبد السلام جعفر، فلسفة الحضارة (اليونانية .الإسلامية .الغربية) ، دار النهضة العربية ط 1999م ص.03.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدويش، ج 2، دار يعرب، ط 2004.1، ص 72.

⁵ مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، تر: بسام بركة، أحمد شعبو ، بيروت دار الفكر المعاصر ، سوريا. دار الفكر، ط 2002م ص 42 .

أي أن الحضارة تمثل المناخ الذي يوفر للفرد الحرية والحماية ويقدم له كل ما يحفظ وجوده، فهي ببساطة العبارة تصنع المجتمع وتوفر له ما يضمن بقاء أفرادهم وتطورهم، فالجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية في صورة إدراك يحرك المجتمع حول تحديد مهماته الاجتماعية والاضطلاع بها، والجانب الذي يتضمن شروطها المادية في صورة إمكان، أي أنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهامه .

ب_ التعريف الاصطلاحي للحضارة عند المفكرين الغربيين:

إن المتأمل في التوظيف العلمي لمصطلح الحضارة خلال العصور المتأخرة والمعاصرة يجد أن كثير من الدارسين والباحين قد أطلقوه على كل ما يتصل بالتقدم ، والرقي الإنساني في مختلف الميادين كاللغة والأدب والفنون الجميلة، والصناعة، والتجارة، وغير ذلك من مظاهر النشاط الإنساني، الذي من شأنه تيسير السبيل إلى حياة إنسانية كريمة، ومن هذه التعاريف الكثيرة والمتنوعة نذكر ما يلي:

أولاً: تعريف السير إدوارد بيرنت تايلور : Taylor الذي قال فيه " : الحضارة ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعارف، والعقيدة، والفن، وقيم الأخلاق والقانون، والتقاليد، وكل القدرات، والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع¹ ."

ثانياً: تعريف و.ل. ديورانت الذي جاء فيه " : الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة هي: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون²"

رابعا: تعريف ألبرت أشفيتزر " : Albert Schweitzer الحضارة في جوهرها أخلاقية، وأن العناصر الجمالية، والتاريخية، والاتساع الرائع في معارفنا المادية وقوانا، كل هذا لا يُكوّن جوهر الحضارة، وإنما يتوقف هذا الجوهر على الاستعدادات العقلية عند الأفراد والأمم القاطنة في العالم، وما عدا هذا فليس إلا ظروفًا مصاحبة للحضارة لا شأن لها بجوهرها"³، فالأعمال المبتكرة، والفنية، والعقلية، والمادية لا تكشف عن آثارها الكاملة الحقيقية إلا إذا استندت الحضارة في بقائها ونمائها إلى استعداد نفسي يكون أخلاقياً حقاً، ومن البعد الأخلاقي الروحي للحضارة عند شفيتزر، نحاول أن نطوي صفحات «تدهور الحضارة الغربية» لأوزوالد شبنجلر، لنرى معالم فلسفته الرئيسية في الحضارة.

أوزوالد شبنجلر:

¹ . ينظر :أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية ط1975م، 248.

² ينظر :ويل ديورانت ، قصة الحضارة ، تر زكي نجيب محمود ، بيروت، المنظمة العربية للثقافة ، دار الجيل، ج1، ص03

³ ينظر :البرت شفيتزر، فلسفة الحضارة، تر ،عبد الرحمن بدوي ، مراجعة زكي نجيب محفوظ، المؤسسة المصرية العامة ،

ط1963م، ص 34 _ 37.

يعد كتابه «تدهور الحضارة الغربية» أهم كتبه على الإطلاق، وقد لقي الكتاب اهتمامًا كبيرًا في زمنه حتى وقتنا هذا، وكان تنبؤ شبنجلر بمصير الحضارة الغربية من أهم العوامل التي أثارت المؤرخ البريطاني «توينبي» لدراسة التاريخ؛ بل إن هذا الأخير يعد الصورة الإنجليزية التجريبية لآراء شبنجلر المثالية. فيرى «شبنجلر» أن أزمة الحضارة الغربية تكمن في مشكلة المدنية؛ حيث يعتبر المدنية، الطور الحرج من أطوار الحضارة، فيتساءل ما هي المدنية؟ المدنية نتيجة منطقية جوهرية ومفهومة، وهي تحقق مكتمل ونهاية لمطاف الحضارة، ذلك لأن لكل حضارة مدنيته الخاصة، فالمدنية هي المصير المحتوم للحضارة، والمدنيات تشكل نهاية لا تستطيع أن تقف أمام تحققها إرادة أو عقل، ومع ذلك تبلغها الحضارات مرة بعد أخرى، مدفوعة بضرورة باطنية (1).

أرنولد توينبي :

لقد كان تفسير توينبي النهائي للتاريخ تفسيرًا دينيًا في جوهره، فهو يربط الحضارة بالكنيسة الكاثوليكية، فالحضارة في رأيه تنشأ عن الأديان - وهي في رأيه - الحضارة الغربية وحدها التي تحافظ على الشرارة الإلهية الخلاقة، وهي وحدها القادرة على ألا تقول إلى ما آلت إليه سابقاتها.. إنها حصيلة عمل الإنسان في الحقل الاجتماعي والمنافسي وهي حركة صاعدة، وليست وقائع ثابتة وجامدة، إنها رحلة مستمرة لا تقف عند ميناء (2)

ويرى أن الحضارات تولد وقت ماتستحث الظروف الصعبة الإنسان على التحضر وتتمثل هذه الظروف الطبيعية إما في بيئات طبيعية أو ظروف بشرية ، وبالتالي يستبين لنا أن السهولة عدو الحضارة .³

و نستنتج من خلال هذه التعاريف للحضارة ثلاثة اتجاهات هي:

الاتجاه الأول:يركز على تطور ونماء الجانب المادي الصرف للإنسان والحياة.

الاتجاه الثاني:يركز على الاهتمام بالجانب الروحي والأخلاقي في حياة الإنسان.

الاتجاه الثالث:وهو الذي يجمع ويوفق ويوازن بين الجانبين المادي والروحي في حياة الإنسان.

_العلاقة بين مصطلح الحضارة والثقافة والمدنية:

(1) ينظر: أسوالد اشبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، تر: أحمد الشيباني ، بيروت، منشورات دارمكتبة الحياة ، ج 1، ص 87.

(2) أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ، ص 267.

³ نيقين جمعة علم الدين ،فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي مصر ،مكتبة المهتمدين ،ط1991م،ص117.

بعض الكتاب يميز بين لفظي حضارة، ومدنية، فيجعل لفظ الحضارة خاصاً بالتكوين الثقافي والمعنوي لمجتمع ما، ولفظ مدنية يعده أكثر اتصالاً بالمظاهر المادية المتصلة بالحياة العملية. على أن التفرقة بين الحضارة على أنها تختص بالجوانب الثقافية والمعنوية بينما تختص المدنية بالجوانب المادية والعملية، قد أدى إلى اقتراب لفظ حضارة من لفظ الثقافة إلى حد صعوبة التمييز بينهما، حتى إن «تايلور» قد استخدمهما كمترادفين؛ حيث يرى أن لكل مجتمع حضارته أو ثقافته الخاصة Culture بينما ليس لكل مجتمع بالضرورة «مدنية» لأن الأخيرة تمثل نمطاً معيناً من التطور¹. وقد بلغ التقارب بين كل من مفهومي الحضارة والثقافة إلى حد أنه قد يصعب التفريق بينهما ومن أبرز من تحلى من الباحثين في هذا المجال، عن البحث في إيجاد الفروقات بينهما لعدم ضرورة ذلك، تايلور، مالمينوفسكي، ألبرت شيفستر، هكسلي، جاكوب ستيرن...، سوروكين² غير أن مفهوم الثقافة هو في حقيقته استكمال لمفهوم الحضارة، هذا فضلاً عما يحمله مفهوم الثقافة من دلالات تعكس الإنسان في محاولاته لممارسته إنسانيته، فهي علاقة متوازنة يصادفها الكثير من التقاطعات، والثقافة طريقها مستمر ومفتوح بحكم الاستناد في مقوماتها على خصائص إنسانية، وليس الأمر مختلفاً في الحضارة لكنها في الأساس تركز على الجهود الإنسانية من إنتاجات وإبداعات مادية، وسياسية إيديولوجية استراتيجية متفوّقة تُبث ضمن طرح قالب مجتمعي، استمراريتها مرهونة بمدى صلاحيتها وفعاليتها، ليست كالثقافة المستمرة باستمرار الإنسان في نجاحاته وانتكاساته وكل نشاطاته دون تصنيف وهنا الاختلاف الجوهرية بينهما³.

أسس ومجالات بناء الحضارة:

التوجيه الأخلاقي :

والمقصود بالأخلاق من الزاوية الاجتماعية وليس من الناحية الفلسفية، كما أن المقصود بالأخلاق في فكر "" هو تحديد "قوة التماسك" اللازمة للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية وليس المقصود تشريح مبادئ خلقية، وترتبط هذه القوة في أصلها بغريزة "الحياة في جماعة" عند الفرد، والتي تتيح له تكوين القبيلة والعشيرة والمدنية والأمة، وتستخدم القبائل الموعلة في البداوة هذه الغريزة لكي تتجمع، والمجتمع الذي يتجمع لتكوين حضارة، فإن يستخدم نفس الغريزة، ولكنه يهذبها ويوظفها بروح خلقية سامية⁴.

التوجيه الجمالي

1 ينظر: أحمد محمود صبحي، في فلسفة الحضارة، مرجع سابق، ص.04..

2 ينظر: بلبل نصيرة، منطلقات اقتران الثنائية الثقافية الحضارية، مجلة العلوم الإنسانية ' العدد 1. 2020 م، المجلد 20. ص732.

3 المرجع السابق، ص.746.

4 أحمد محمود صبحي، في فلسفة الحضارة، مرجع سابق، ص.05..

ويتمثل في الألوان والأشكال والحركات التي يقبلها الذوق السليم، مما ينعكس إيجاباً على أفكار صاحبه، فيوجهه إلى الشعور بقيمة كرامته فيرقى بسلوكاته إلى الفضيلة، وبالعكس، فالمظاهر القبيحة تسيء إلى فكر متلقيها وبالتالي إلى أعماله، فالمظهر الجمالي طبيعياً كان أم فنيا يعد سبباً في توجيه الكيان الإنساني إلى الرقي بفكره ووجدانه، فهو لبنات تتركس تناسق إيجابيات بنيتها النفسية وتوافق المبدأ الأخلاقي السليم، وإذا عرفنا أن هذا الأخير قد يكون فيه من القسوة الظاهرة على معتنقه، ما ينفر البعض منه، فإن اتصاله بالتوجيه الجمالي النابع من ذوق سليم سبب في شعور المتلقي لهما بتطابقهما، فلا يعي المبدأ الأخلاقي إلا بح كم أنه جميل، وهذا بدوره تكريس لمصادقية وفاعلية "المبدأ الأخلاقي" في واقع المجتمع، مما يعطي القابلية لإبداع المفكرين المعنيين لتوليفات جديدة بين "المبدأ الأخلاقي" و"المقتضيات الراهنة ل" الذوق الجمالي"¹

مبدأ الصناعة : لا يعني بالصناعة ذلك المعنى الضيق المقصود من هذا

اللفظ، فإن كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة، وإذا كانت الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده، ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه.

يرى "مالك بن نبي" أن الحالة على محور الصناعة، يجب أن تأخذ في اعتبارها الحالة على محور المادة الأولية لأنهما متكاملتان في الاطراد العالمي فإذا انفصلا فربما لا تحل كلتاهما بمفردها المشكلة العالمية، فالتعايش الاقتصادي على محور القوة يسيطر بدون شك على الحالة العالمية بسبب ما لديه من عناصر النظام الصناعي وعوامل القوة والإمكانات المادية، فهناك دائماً وحدة في المشكلة إلا أن سانية تنبثق من المصير المشترك وسنجد أمامنا ثلاثة حلول مترابطة في الذهن، الحل الذي يصدر عن سياسة حكومية والحل الذي يصدر عن حتمية التاريخ التي هي في نهاية الأمر العامل الذي يحدده ويفرضه، فالعالمية هي واقع لعصرنا وغاية محتومة لتطورنا الراهن وضرورة تفرضها الظروف الصناعية والنفسية التي فرضها العالم وقد دخلت الإنسانية بشرطها المتخلف والمتقدم في عهد

¹المرجع نفسه ص6..

● المحاضرة الثانية

- تاريخ الحضارة الفرعونية .

➤ عناصر المحاضرة:

- ✓ أهم مصادر كتابة التاريخ المصري الفرعوني
- ✓ موقع الجغرافي للحضارة المصرية
- ✓ التقسيم الكرونولوجي لتاريخ مصر القديمة
- ✓ أهم مصادر التاريخ المصري القديم
- ✓ الكتابة والفنون والأدب في الحضارة الفرعونية.

- أهم مصادر كتابة التاريخ المصري :

الواقع أنه لم يصل أي كتاب خاص كتبه المصريون أنفسهم عن تاريخ بلادهم في ذلك الوقت، فكل ما يعتمد عليه في تأليف تاريخ مصر هي النقوش التي وجدت على الآثار¹، وهذه تنحصر فيما يلي:

أولاً: أخبار الحروب التي قام بها الملوك، ثم النقوش الدالة على تاريخ أفراد عظماء القوم وترجمة حياتهم، ثم المراسيم الملكية التي كانت تنتشر في طول البلاد وعرضها من عدة نسخ، وكانت تكتب على الحجر في معظم الأحيان وتوضع في المعابد والمدن².

ثانياً: الأوراق البردية¹ التي كانت تحتوى على موضوعات إدارية أو قضائية أو أدبية، وخلافاً لهذه المصادر فإن كل ما عثر عليه متشابه وعلى وتيرة واحدة، أي تلك النقوش التي تم العثور عليها في المقابر

1 لوحة الأنساب "حجر بلرمو" و"قوائم الكرنك" و"نب

أ بيدوس" ".... الخ

2 ينظر: سليم حسن .، موسوعة مصر القديمة، في عصر ما قبل التاريخ الى العصر الاهناسي مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة

ط2012. ج1، ص 125-126

والمعابد، كانت ترمي إلى غرض شخصي، فمثلاً لم يكتب الملك على جدران معابده انتصاراته على أعدائه في حروبه إلا ليظهر قوته وسلطانه، ولم ينقش معاهدة صلح إلا ليظهر ما كسبه من أعدائه ونفوذه عليهم، وكذلك لم يسرد فرد من عظماء القوم تاريخ حياته إلا ليظهر ما ناله من الحظوة عند مليكه لما قام به من الأعمال الجليلة له، أما باقي النقوش التي عشر عليها وهي الجزء الأكبر فكلها دينية محضة، وذلك لأنه لم يصل شيء من الكتابات الدنيوية إلا النزر اليسير، وسبب ذلك أن المصريين قد أقاموا في مقابرهم ومعابدهم في (الوجه القبلي) الجبال وعلى حافة الصحراء، وشيدوها من الحجر الصلد أو نحتوها في الصخر فبقيت لنا إلى الآن بما فيها من نقوش، أما مدنهم التي كانت تقام في الوادي المنزرع، والتي كانت تبنى باللبن فإنها قد محيت آثارها إلا بقايا قليلة جداً، وانحى معها كل ما خلفوه من الكتابات التي كانت تدون على البردي إلا بعض أوراق عشر عليها من وقت لآخر².

ومن بين الوثائق الهامة في التاريخ المصري التي عشر عليها قوائم أسماء الملوك ويرجع معظمها إلى عهد الدولة الحديثة، وأقدم هذه القوائم يرجع عهدها إلى حكم الملك وقد عشر عليها في المبني العظيم الذي أقامه بالكرنك في مدينة الأقصر، وهذه القائمة مكتوبة على جدران حجرة يطلق عليها، «قاعة الأعياد ويطلق عليه الآن اسم حجرة الأجداد، وأحجار هذه القاعة محفوظة الآن في متحف اللوفر، وقد وجدت فيها أسماء ملوك لم تظهر على القوائم التي عشر عليها في عهد الأسرة التاسعة عشرة، على أنها لم تكن أقدم وثيقة، بل نعلم أن هنالك قوائم أخرى مشابهة لها، وهناك تواريخ أخرى أقدم، وهذه التواريخ قد كتبت على لوحات من الحجر ونصبت في أماكن عامة وبخاصة في المعابد، وقد حفظ لنا جزء من لوحة من هذه الآثار، وهي تعرف بحجر بليم (بليرمو)، ويرجع تاريخها إلى الأسرة الخامسة كما أسلفنا³

وبجانب هذه القوائم المكتوبة على الأحجار، قد وصلت إلينا وثيقة أخرى يطلق عليها (اسم ورقة تورين) وهي من عهد الأسرة التاسعة عشرة، ولم يكتف فيها كاتبها بذكر، أسماء الملوك، بل ذكر السنين والشهور والأيام التي حكمها كل ملك، غير أنه مما يؤسف له أن هذه الوثيقة لم تصل إلينا

1 البردي نبات مصري قديم، يقول عنه علماء النبات، إنه ينتمي إلى الفصيلة السعدية وأهم مكان ينمو فيه هذا النبات مستنقعات دلتا النيل...وقد صنع منه المصريون القدماء ورقا كتبوا عليه..فكان وسيلة الحياة الفكرية في مصر وثقافتها القديمة لمدة أربعين قرناً. ينظر : عبد العزيز الدالي، البرديات العربية، مصر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، ط1، 1983م، ص21_30.

2 سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، مرجع سابق، ص127.

3 المرجع نفسه ص127.

سالمة، ولو أنها وصلت سالمة لكانت من أهم الوثائق التاريخية وصلت إلينا في بابها ، بل حدث أنها مزقت إلى قطع عدة، ولم يتمكن العلماء إلى الآن من وضع كثير من قطعها في مكانها الأصلي من الورقة.¹

وهناك مصدر آخر وهو ما عثر عليه من آثار في الممالك المجاورة لمصر سواء أكانت هذه الآثار مصرية الأصل نقلت إلى هذه البلدان، أم كانت آثارًا خاصة بالبلاد التي وجدت فيها، وذكر فيها شيء عن مصر والمصريين، مثال ذلك :التي وجدت في جزيرة كريت من الأسرة الثانية عشرة، وكذلك الآثار التي عثر عليها في فلسطين، وسوريا من أوائل الدولة القديمة أو في بلاد ما بين النهرين وما وراءها من عهد الأسرة الثامنة عشرة.²

بقيت المصادر التي يعتمد عليها في تدوين تاريخ مصر منحصرة فيما نقله لنا شمبليون و الكتاب الإغريق والرومان وغيرهم، إلى أن كشف عن أسرار اللغة المصرية القديمة من النقوش التي على حجر رشيد عام 1822م ، ومن ثم أخذ العلماء يستقون مصادرهم عن تاريخ مصر من النقوش مباشرة، ولعل أهم هؤلاء الكتاب الذين زاروا مصر وكتبوا عنها، المؤرخ الإغريقي "هيكاته الملاطي" و الذي عاش حوالي عام 550 ق.م وقد زار وادي النيل وتباحث مع الكهنة المصريين في طيبة عندما كان يضع شجرة الأنساب وجاء من بعده هيرودوت « حوالي عام 540 ق.م وقد خصص الجزء الثاني من تاريخه العام لوصف مصر وتاريخها، وقد بدأ بزيارة الدلتا ومكث في منف وعين شمس ، ثم صعد في النيل إلى أن وصل إلى أسوان وزار الدلتا ثانية وفي عودته عرج على الفيوم، أضاف هيرودوت إلى ما سمعه ما شاهده بنفسه، والواقع أن وصفه جاء صورة حية للحياة الاجتماعية والآثار التي شاهدها، ويمكن الاعتماد عليها في معظم الأحيان.

أما المؤرخ (بلوتارخ) فإنه كتب عن مصر كتاب "إزيس وأوزير" وهو الكتاب الوحيد الذي وضع أمامنا بحثًا منظمًا عن الديانة المصرية، وبخاصة عن إزيس وأوزير ومعناهما الحقيقي، والواقع أن معلوماته كانت مستقاة من مصادر جديرة بالاحترام، إذ أنها تطابق في معظم الأحوال ما دوّن على النقوش المصرية القديمة.³

¹ ينظر: أحمد فخري ، مصر الفرعونية، موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى 332 ق. م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص 51-52.

² المرجع السابق. ص 52-53

³ ينظر : سليم حسن .، موسوعة مصر القديمة ، مرجع سابق ج.1 ص 128- 129 .

ثانياً الموقع:

يتميز تاريخ مصر القديم عن تاريخ حضارات الشعوب الأخرى بأنه تاريخ متواصل لا انقطاع فيه ،قال المؤرخ هيرودوت "مصر هبة النيل " هو مثل صحيح جيولوجياً واقتصادياً ،فمصر العليا ومصر السفلى يوحدهما النيل ، وفيضانه جعل من الأراضي المحاذية له عالية الخصوبة مما جعل المنتج الزراعي وافر وبكميات هائلة تغذي المجتمع المصري ويخزن الباقي¹.

يبلغ طول نهر النيل نحو 6400 كم تقريباً ، وسمي نهر النيل في الكتابات المصرية القديمة (هوفي وحوفي وحوي)، وتسير مياه نهر النيل من الجنوب إلى الشمال ، وهذه خاصية ينفرد بها ، كما أن المصريين اتخذوا من النيل إلهاً لهم خصوه بالتمجيد ، ونظموا له التراتيل الدينية ، وخصصوا لعبادته عيدين .
و رغم أن مصر تقع في منطقة جغرافية شبه صحراوية ، تحتل صحراء سيناء عند الشمال الشرقي المساحة الكبرى منها بالإضافة إلى الصحراء اللبية من الغرب ، أما شمالاً يحدّها البحر المتوسط وشرقاً البحر الأحمر ، فهي بذلك تكون همزة وصل بين القارة الآسيوية والقارة الأفريقية .

انقسمت مصر نتيجة للفوارق الجغرافية إلى قسمين : القسم الأول هو : مصر العليا (الوجه القبلي) (أرض الصعيد في الجنوب) ، وتتكون من الوادي الطويل الذي يحيط بالنيل من الشرق والغرب ، ويحتوي هذا القسم على جبال صحراوية وتلال ، والقسم الثاني هو مصر السفلى (الوجه البحري) (الدلتا البحرية) في الشمال ، وهي الأرض المنبسطة التي تعرف بالدلتا².

2: التقسيم الكرونولوجي لتاريخ مصر القديمة

أ _ عصور ما قبل التاريخ .

وتعني عصور ما قبل التاريخ الأزمنة السحيقة التي سبقت اهتداء الأمم القديمة إلى الكتابة وإلى تكوين الوحدات السياسية المستقرة³. وهي عصور طويلة للغاية وتشمل الفترة التي لم يستطع إنسان هذا العصر التعبير عن نفسه كتابة⁴ ويبدأ هذا العصر في مصر مع بداية استيطان الإنسان في دلتا وادي النيل ، فبعد أن انتهت العصور الجليدية ارتفعت درجة حرارة منطقة الصحراء الإفريقية الكبرى وشبه الجزيرة العربية ،

¹ ينظر : المرجع السابق ص 21-22.

² ينظر : طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة وادي النيل وبعض الحضارات القديمة ، فارس ، الإغريق ، الرومان ، بيروت ، شركة دار الوراق للنشر ، ط 1 ، 2011م ج 1، ص 13_21.

³ عبد العزيز صالح ومجموعة مؤلفين ، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور . تاريخ مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . مصر ط 1997م ، ص 22.

⁴ ينظر : سمير أديب . تاريخ وحضارة مصر القديمة ، مكتبة الاسكندرية ، مصر ط 1997م ص 09.

فهاجر غالبية السكان نحو الأراضي الخصبة الوفيرة المياه ومنها دلتا وادي النيل، نتيجة لهذه الهجرات أصبح سكان وادي النيل خليطاً من أجناس عربية هاجرت إلى مصر من شبه جزيرة العرب عبر سيناء، وأجناس حامية سمراء من شمال إفريقيا، وزنجية هاجرت من وسط إفريقيا لاسيما الصحراء الكبرى، وهاجر عبر سيناء جنس البحر المتوسط، ونتج عن هذا الاتصال بين هذه الأجناس الإنسان المصري القديم¹.

ب _ العصر العتيق بداية السلالات (2780 - 3200 - (ق م)

ويضم الأسرتان الأولى والثانية،² ويطلق على هذا العصر أيضاً بداية السلالات أي بداية الأسرات ، أي الانتقال من العصر الحجري الحديث إلى عصر بداية الأسرات وقد تميز هذا العصر بميزتين: أولها أن ذلك العصر هو الذي بدأ فيه المصري مرحلة التوحيد السياسي، ثانيهما أنه العصر الذي بدأت فيه عملية تدوين اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية. وبدأ تكوين الدولة أثناء تلك الحقبة، وربما قبل ذلك، وظهرت الكثير من دويلات المدن في تلك الفترة على جانبي نهر النيل، إذ كانت نحو 42 دولة مدينة، ولكل مدينة ديانتها الخاصة ونظامها السياسي الخاص، وتقلصت على مر القرون إلى مملكتين منفصلتين: مملكة جنوبية في مصر العليا (الوجه أول من وحد مصر وأسس بذلك أول « نعرمر » القبلي) الصعيد، ومملكة شمالية (الوجه البحري)، وأعد الملك أسرة فرعونية ، واتخذ من مدينة منفس عاصمة له، واتخذ ملوك السلالة الأولى أسلوب الإدارة المركزية والسلطة المطلقة في إدارة البلاد، ويساعد الملوك موظفو البلاط، وتجدر الإشارة إلى أن لقب فرعون يعني (البيت العظيم) وهو يشير إلى القصر الملكي³.

ج _ عصر الدولة القديمة 2150 - 2670 - (ق م) يسمى أيضاً بعصر بناء الأهرام

يبدأ بالأسرة الثالثة وينتهي بنهاية الأسرة السادسة، وقد نمت الحضارة المصرية في الدولة القديمة نمواً داخلياً قومياً بلغ ذرى عالية من التنوع والضخامة لا سيما في شؤون العمارة الدينية والفنون...⁴ وسمي بعصر الأهرام لتمييزه ببناء أشهر ملوك السلالة الثالثة، تطورت الحضارة المصرية في هذه « زوسر » الأهرامات

¹ عبد العزيز صالح ومجموعة مؤلفين، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور مرجع سابق ، ص 25.

² ينظر: سمير أديب . تاريخ وحضارة مصر ، ص 45.

³ ينظر: عبد العزيز صالح ومجموعة مؤلفين، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور مرجع سابق ص 52. و طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج1، ص 41_43.

⁴ .ينظر: المرجع نفسه ، ص 59. وطه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج1، ص 46_69.

الكبيرة منذ عهد الملك الفترة تطورا سريعاً، فزادت قوتها عن طريق الحكومة المركزية والإدارة الفعلية والتقنية المتقدمة والكتابة الهيروغليفية المتطورة والفن الناهض.

يعد خوفو من أشهر ملوك الأسرة الرابعة على ما يبدو ، حكم حوالي 25 سنة، اشتهر بأعظم بناء خلده التاريخ وهو الهرم الكبير، وجاء بعده ابنه خفرع الذي اشتهر ببناء ثاني الهرمين الكبيرين في الجيزة. أول ملوك الأسرة الخامسة يسمى يوسركاف ، ولقب الفرعون منذ السلالة الخامسة بلقب ابن الإله ويبدو هذا جلياً في ضخامة الأهرامات التي كان يستعملها الملك في سفره مع إله الشمس في حياته الأخرى (ما بعد الموت)، وقد امتازت الأسرة الخامسة بمقابر ملوكها الهرمية في أبو صير جنوب الجيزة، وكانت تلحق بالأهرامات معابد تخصص لعبادة الفرعون. الذي بنى لنفسه هرمًا في منطقة صقارة « تيتي سحتب تاوى » أسست الأسرة السادسة على يد الملك « بيبي الاول » وهو من أشهر ملوك هذه الأسرة، إذ زين جدران حجراته الداخلية بالنصوص السحرية .وقد ارتقت في عهده الفنون وعادت مصر إلى صلاتها مع جيرانها بعد أن قبض على زمام الأمور بكل حزم ونشاط، وشهد عهده إرسال حملات برية وبحرية للدفاع عن مصالح مصر واخضاع القبائل القاطنة في الصحراء الشرقية، ثم تولى ابنه الأكبر الحكم وأقام رحلات تجارية مهمة إلى الجنوب، وخلفه أخوه آخر ملوك الأسرة السادسة حكم مدة طويلة نحو 90 سنة حسب رواية هيروودوت، وهي أطول مدة حكمها أي ملك في مصر وبمحاته تنتهي مدة حكم الاسرة السادسة لينتهي معها عهد الدولة القديمة وعصر الاهرام ات ليبدأ عهد الفوضى السياسية.

د _ العصر الانتقالي الأول:(2134 – 2280 ق.م)

يبدأ من الأسرة السابعة إلى الأسرة الحادية عشر، ويعد من العصور المظلمة¹ في تاريخ مصر ويرجع ذلك لظروف داخلية وخارجية:

الظروف الداخلية: عمل حكام الأقاليم على توريث المناصب لأبنائهم.

__ حكم النبلاء إقطاعياتهم باستقلال ذاتي عن الراعية ، وانحصار سلطة الفرعون في العاصمة منفس فقط.

-قيام جنود المرتزقة بأعمال إجرامية ضد الأهالي.

الظروف الخارجية: تجار بدو فلسطين على مهاجمة حدود مصر وتهديد سبل تجارتها مع بلاد الشام.

¹المرجع السابق 104.

-استقرار بعض القبائل من فلسطين في منطقة الدلتا.

-عجز الحكومة المصرية عن محاربتهم.

كنتيجة لهذه الأوضاع التي وصلت إليها مصر انطلقت ثورة¹ اجتماعية وفكرية عنيفة قام بها الشعب ضد الملوك وانتشرت الفوضى وعمليات النهب و السطو على الأثرياء، واشتدت الحروب بين البيت الأهناسي والطبي وإخضاع أهناسيا تحت نفوذه إلى أن تمكن فرعون طيبة 2052 ق م فترتب عن ذلك توحيد مصر تحت سلطة واحدة وبهذا انتهى عصر الفترة الإنتقالية، بعد أن استمر حوالي قرن ونصف.

هـ _عصر الدولة الوسطى (2040 -1785ق م)

يبدأ هذا العصر بملوك الأسرة الحادية عشر وقد ارتبطت أيام الدولة الوسطى بتحقيق ذلك الاتحاد واستمراره الذي أنهى تفرق البلاد وتولى الحكم عدد كبير من الملوك عملوا على توطيد وحدة البلاد وبلغت الدولة الوسطى أوجها خلال حكم الأسرة الثانية عشر كونت نظاما جديدا وضع حداً لسلطة حقق للطبقة الوسطى نوع من التقدم، وتميزت هذه الفترة بالرخاء والأمن وقوة السلطة وانتعاش الفن المعماري خاصة في عهد الملك الذي نظم الزراعة والري وبنى السدود وحفر قناة وصلت البحر الأحمر بالبحر، المتوسط.

ويعتبر عصر الدولة الوسطى بوجه عام أزهى عصور الأدب المصري ، وقد عد المصريون الذين عاشوا بعد أيام الدولة الوسطى مخلفاتها الأدبية نموذجاً للأسلوب الجيد فعمدوا إلى تقليده والاحتذاء به.²

و _العصر الانتقالي الثاني(غزو الهكسوس لمصر) 1685(-) : (1540 - ق م)

يتضمن هذا العصر الأسرات من 13 إلى 17 ، دام هذا العصر أكثر من 220 سنة، وقد حكم خلاله عدد كبير من الملوك لم تكن لهم إنجازات تذكر، ويمكن تفسير ذلك على أساس أنه كانت هناك مجموعات تحكم في الشمال وأخرى في مصر الوسطى ومجموعة ثالثة تحكم في الجنوب. مرت البلاد في تلك المرحلة بحالة من الاضطرابات وكثر عدد الطامعين في العرش، وكثر النزاع على السلطة، وقد استمرت البلاد على هذا الحال حتى دخل الهكسوس.³

¹ ينظر: المرجع السابق 107.

² المرجع نفسه ص146.

³ المرجع نفسه 159_160

الهكسوس: الهكسوس خليط من شعوب شرق البحر المتوسط، ويعد الكنعانيين والأموريين العنصر الأهم في الهكسوس « هيكا خاسوت» وتعني الكلمة الأمراء البدو ، لذلك أطلق عليهم المصريين اسم أمراء الصحراء ، ثم حور الإغريق اللفظ إلى الهكسوس، وقد أخذ الهكسوس طريقهم إلى مصر في أواخر الأسرة 13 بعد التفكك الذي عرفته البلاد خلال هذه المرحلة، دون أن يجدوا أي مقاومة تذكر، حيث تمكنوا امن الاستيلاء على منطقة الدلتا واستمر حكم الهكسوس لمصر نحو 120 سنة (- 1650 1540ق م-) وتجدر الإشارة أن حكمهم اقتصر على مصر السفلى أي الدلتا، في موضع يسمى (أفارس)¹ ، أقام الهكسوس ثلاث أسر هي -15 16- 17 ، فشمل نفوذهم الدلتا ثم الصعيد في غضون ذلك أساء الهكسوس معاملتهم للمصريين وأهانوا معبوداتهم، فشاع الظلم والاستبداد في البلاد الواقعة تحت سيطرتهم².

ز_ عصر الدولة الحديثة 1070 - 1550 - (ق م)

تشمل الدولة الحديثة أسرة التحامسة، الثانية عشر وأسرتي الرعامسة 19 و 20 ، استرجع مؤسسوا الدولة الحديثة في أقل من 30 عاماً جميع الاقاليم التي فقدت منذ عهد الأسرة 13 ، وانشاء جيش قوي ومسلح وحققوا رخاء منقطع النظير وتطور كبيراً في جميع المجالات. وتمكنوا من القضاء على الفتن الداخلية، وإعادة النظام إلى سابق عهده، فمهد بذلك الطريق أمام تحوتمس الثالث 1450 - 1504 (ق م) لينفرد- بالحكم ويصبح أكبر فاتح في التاريخ المصري، فقد وصل بتوسعاته إلى حدود نهر الفرات وكانت أشهر معاركه في مدينة مجيدو الفلسطينية حيث استطاع أن يقضي على تحالف الامراء الكنعانيين، وبذلك بقيت بلاد كنعان خاضعة للحكم المصري فترات طويلة، مما أدى ببعض الكتاب بتسمية هذا العهد بالعصر الذهبي، وبلغت فيه العاصمة طيبة درجة كبيرة من الرقي والازدهار³.

ح_ مصر في العصور المتأخرة 332 - 1069 - (ق م)

يبدأ هذا العصر بالأسرة الحادية والعشرين 945 - 1069 (ق م) وانقسم الحكم في مدتها بين- عاصمتين منفصلتين طيبة في الجنوب وتانيس شمالاً، وبدأ نفوذ الليبيين بمصر ، فوصل بهم الأمر إلى أن أسسوا سلالة حاكمة منهم هي الأسرة 22 سنة 950 (ق م)

¹ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج1، ص 79.

² عبد العزيز صالح ومجموعة مؤلفين ، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور مرجع سابق ص 159_160.

³ المرجع نفسه ص 177.

وفي زمن الأسرة الخامسة والعشرون « - 656 - 760 (ق م) قاد الملك الآشوري حملة على مصر واعترف جميع حكام البلاد بسيادته على مصر.

وفي عهد الأسرة السادسة والعشرون أصبحت مصر جزءاً من الإمبراطورية الفارسية بعد أن ضمها عام 525 « « ق م دون مقاومة تذكر، وانتهى حكم الفرس على مصر بدخول الإسكندر الكبير إليها عام 332 ق م، حيث أسس الاسكندرية وقدم القرابين للآلهة المصرية، وأعلن كهنة آمون أن الاسكندر- هو ابن آمون متبعين بذلك سنة الملوك المصريين.

واعتلى البطلمة عرش مصر بعد وفاة الإسكندر، واستمروا في الحكم إلى أن احتلها الرومان وجعلوها جزء من إمبراطوريتهم¹.

١ - خطوط الكتابة في حضارة مصر الفرعونية:

لقد تمت الكتابة المصرية القديمة بخطوط أربعة ، الهيروغليفية ، الهيروغليفية الديموطيقية والقبطية.

و نقشت هذه الخطوط بما يناسب ذلك العصر على سطوح الأحجار والفضار والأخشاب والمعادن والعاج بمصنوعاتها وفنونها المختلفة وتميزت على كل الكتابات القديمة التي ظهرت بعدها بكتابتها بالمداد و الأقلام على صفحات البردي التي انفردت مصر بتصنيعها وقد كانت ابتكاراً معجزاً².

الهيروغليفية :

لقد سجل المصريون القدماء أفكارهم في البداية عن طريق الصور، وكل صورة تدل على كلمة معينة، فلكى يكتب المصريون القدماء كلمة "سمكة" رسموا صورتها مصغرة، وسميت هذه الكتابة "الهيروغليفية"، وكانت تستخدم على جدران المعابد، واللوحات الحجرية والخشبية، وتكتب من أعلى إلى أسفل أو العكس، ومن اليمين إلى اليسار أو العكس. هذه الكتابة الهيروغليفية استخدمت في تسجيل النصوص الدينية، وكذلك عرفت باسم "الخط المقدس".

¹سمير أديب . تاريخ وحضارة مصر القديمة ، مرجع سابق، ص 250_255..

²ينظر : عبد العزيز صالح ومجموعة مؤلفين ، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور مرجع سابق ص52.ص 51

تتكون الكتابة الهيروغليفية من مجموعة من النقوش المستمدة من الحياة فهي كتابة تصويرية بالإضافة لوجود حروف أبجدية وإن كانت أكثر تعقيدا من الأبجدية المعروفة الآن في اللغات المنتشرة، فالأبجدية في الهيروغليفية تنقسم لثلاثة مجموعات.

المجموعة الأولى: هي الرموز الأحادي، أي الحروف أحادية الصوت مثل الحروف المعتادة اليوم

المجموعة الثانية: الرموز الثنائية الصوت، وهي رمز أو نقش واحد ولكن ينطق بحرفين معا

المجموعة الثالثة: الرموز ثلاثية الصوت، وهي نقش أو رمز واحد ولكن يعني ثلاثة.¹

وذلك بالإضافة لمجموعة من العلامات الأخرى والتي لا تنطق نهائيا وإنما هي من أجل أغراض نحوية مثل تحديد المثنى والجمع والمذكر والمؤنث وبعض الرموز المؤكدة للمعنى والتي تعرف بالمخصصات. وقد اشتقت كلمة هيروغليفية من الكلمتين اليونانيتين (هيروس) و(جلوفوس) وتعنيان (الكتابة المقدسة أو الحفر المقدس).²

ويعتبر الخط الهيروغليفي من أقدم الخطوط المصرية وأطولها عمرا وأكثرها وضوحا وجمالا³

وتعود المحاولات الأولى لفك طلاسم الكتابة الهيروغليفية إلى الاغريق. وقد ساد الاعتقاد لديهم ان الرموز الهيروغليفية هي رموز صورية. من كتابات الاغريق عن هذا الموضوع مخطوطة واحدة هي "الهيروغليفية" لمؤلفها هورابولون Horapollon.

في أوروبا خلال العصور الوسطى لم يكن هنالك اهتمام بالهيروغليفية إلا أنه عام 1422 وصلت مخطوطة هورابولون إلى البندقية مما أثار الاهتمام بها حتى أن بعض فناني عصر النهضة قاموا برسم رموز متخيلة بناء لأوصاف هورابولون واستعملوها في رسومهم كعناصر فنية.

¹ محمد حماد ، تعلم الهيروغليفي لغة مصر القديمة وأصل الخطوط العالمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط1، 1991م ص13.

² علي مهرا ن هشام ، اللغة الهيروغليفية المصرية القديمة ، دم.س. ط ، ص 02-03.

³ محمد ابو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الادنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر ، دار النهضة العربية. بيروت. ص86.

وقد قامت عدة محاولات لكشف طلاسـم الهيروغليفيه قبل اكتشاف حجر رشيد في العصر الحديث، منها محاولات الأب كرشـر اليسوعى الذي عرف أن القبطيه ماهى إلا لهجة أو لغة منحدره من المصرية القديمة.

وأول جهود بعد اكتشاف حجر رشيد كانت محاولات فيليب دى ساسى 1802 وكان عالما بالعربية وقد انصبت محاولاته على الخط الديموطيقي لأنه ظن أن له علاقة بخط الرقعة العربي لتشابههما ظاهريا في الانسياب، إلا أن أبحاثه لم تسفر إلا عن نتيجة واحدة وهي أنه عرف أن أسماء الملوك توضع في خرطوش وهو ما أفاد شامبليون لاحقا.

بعد اكتشاف حجر رشيد خلال الحملة الفرنسية على مصر قام العالم شامبليون بنشر اكتشافه حول كيفية فك طلاسـم الخط الهيروغليفي عام 1822. وقد اعتبر شامبليون أول من اكتشف أن الرموز الهيروغليفيه هي رموز صوتية وقام بفك رموزها.¹

إلا؟ أنه عام 2004 كشف عالم المصريات عكاشة الدالي أن أول من اكتشف أن الرموز هي عبارة عن رموز صوتية أي حرف هو العالم العربي ابن وحشية وكان ذلك في مؤلفه شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام الذي درس فيه 89 لغة ونظام كتابة قديمة منها الهيروغليفيه وقام بتحليل العديد من رموزها الذي وضعه سنة 861م، وقد حقق المستشرق النمساوي جوزف همر تلك المخطوطة وترجمتها إلى الإنجليزية ونشرها في لندن عام 1806 أي 16 عاما قبل اكتشاف شامبليون، ونشر خبر ذلك في عدة وسائل اعلام غربية . وذهب البعض إلى القول أن شامبليون كان قد اطلع تلك هذه المخطوطة إلا انه لا توجد لدينا دلائل تؤكد أو تدحض هذا الادعاء.²

الهيراطيقية

نوع من الكتابة المصرية القديمة كتبت برموز مبسطة للرموز الهيروغليفيه الأصلية ولما كانت الهيروغليفيه غير ملائمة للكتابة السريعة نشأت طريقة مختصرة للكتابة للأغراض العملية هي ما عرف بالهيراطيقية حيث حل كل رمز فيها محل الهيروغليفيه الأصلية.

¹عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، كلية الآثار. جامعة القاهرة ط 09، 2011م ص 46 .

²المرجع نفسه. ص 46. 47.

اشتقت كلمة "هيراطيقي" من الكلمة اليونانية "هيراتيكوس" "Hieratikos" وتعني "كهنوتي" وإشارة إلى ان الكهنة كانوا أكثر الناس استخداما لهذا الخط حيث أن نسبة كبيرة من النصوص الهيراطيقية وخاصة في العصور المتأخرة هي نصوص دينية، وكتب معظمها بواسطة الكهنة.¹

الخط الهيراطيقي هو تبسيط للخط الهيروغليفي أو بمعنى آخر اختصار له وإن الخط الهيروغليفي وهو خط العلامات الكاملة لا يتناسب مع طبيعة النصوص الدنيوية والدينية التي ازدادت بازدياد حركة الحياة والتي تطلبت خطا سريعا، كما تطلبت مواد كتابة لا يصلح معها الا الخط السريع.

استعملت الهيراطيقية في مصر القديمة لمدة تقرب من 2000 سنة من الأسرات الأولى حتى عصر الدولة الحديثة وكانت مناسبة للكتابة على أوراق البردي والمستندات والتقارير وقوائم الجرد وفي المحاكم و....وكتبت أيضا على الأحجار في عهد الملوك الليبيين.

وكانت الهيراطيقية تكتب على البردي بعود رفيع من الغاب مدبب السن يغمس في حبر أسود أو أحمر في بداية الفقرات وفي الحسابات وفي كتابة علامات التزقيم أو عند كتابة أسماء المخلوقات الشريرة وكتبت الهيراطيقية في سطور عمودية حتى الدولة الوسطى ثم كتبت بعد ذلك بالتدرج في سطور أفقية من اليمين لليساار.

الديموطيقية

وبظهور الكتابة الديموطيقية حوالي 800 ق م فقدت الهيراطيقية قوتها وحل محلها الكتابة الديموطيقية وهي الخط الشعبي وأطلق السياح الأغريق على الهيراطيقية الكتابة المقدسة أو خط رجال الدين وذلك لاستعمالها في النصوص المقدسة وفي العصر الروماني كتبت في سطور رفيعة واستخدمت في الكتب الدينية والنصوص الأدبية في عصر الدولة الوسطى.

وقد استعملت في كل نواحي الحياة، وانتشرت في العصور المتأخرة، وعصرى البطالمة والرومان.²

الخط القبطي:

¹ المرجع نفسه ص.38.

² المرجع السابق ص.40.

هو عبارة عن استخدام الأبجدية اليونانية لكي تعبر عن أصوات اللغة المصرية القديمة، مضافاً إليها سبعة أحرف من الديموطيقية وليس لها ما يقابلها في اللغة اليونانية¹

ب_ الفنون :

عند الكلام على الفنون في القطر المصري في الفترة الفرعونية يجب أن نراعى جميع نواحيه، إذ في الواقع لم يكن يجري على نظام معين في التقدم والرفي، بل كان خاضعاً لمؤثرات عدة، أهمها المكان أو البيئة التي نشأ منها، والمعتقدات الدينية التي تحيط بهذه البيئة، وكذلك الفرعون الذي كان يسيطر على البلاد في ذلك الوقت، ومقدار تشجيعه للفنون والحرف والصناعات الدقيقة المختلفة، فقد يحدث أن تكون الفنون مثلاً في عهد أحد الملوك نامية زاهرة لتشجيعه لها، ثم يأتي بعده عدة ملوك آخرين ينحط في أيامهم الفن.²

كما أن معظم ما كتب عن الفن المصري لا يمكن فصله عن المعتقدات الدينية، إذ كان كل منها يؤثر في الآخر لأن العقائد الدينية كان لها القدر المعلى في تسيير الفن وتطوراتها، وكذلك خاضعاً للمؤثرات الدينية والجنائزية،³

بدأ في عصر ما قبل الأسرات ظهور الفن عند المصريين، وقد تمثل ذلك في بعض الصور المنحوتة في العاج أو على الأحجار الصلبة كحجر البازلت وغيره، وكذلك في صنع بعض أوان من الفخار والأحجار الصلبة وغيرها كالديوريت والشبيست والمرمر مما يدل على ذوق سليم، ولكن أمارات الفن الصحيح بدأت تظهر في أوائل عصر الأسرات وأخذت في التدرج والرفي بخطوات واسعة، حتى بلغت أوجها في عهد الأسرتين الرابعة والخامسة.⁴

- فن العمارة:

لم يبق لنا الدهر من مباني هذا العصر الديني شيئاً يذكر، ولذلك تنحصر كل معلوماتنا عن المباني فيما بقي لنا من مبانيهم الجنائزية من قبور ومعابد وهيكل إلخ. ولحسن حظ التاريخ، أن أقام المصريون هذه المباني على حافة الصحراء بعيدة عن مياه الفيضان، ولذلك بقيت لنا محفوظة حتى عصرنا هذا في الوجه القبلي مما لم توفق إليه أمة أخرى

¹ تامر محمد سعد الله ، اللغة المصرية القديمة ، مكتبة بستان المعرفة ، ط2001م ص11.

² ينظر : سليم حسن .، موسوعة مصر القديمة ، مرجع سابق ج2. ص 211 .

³ المرجع السابق 271.

⁴ المرجع نفسه ص211.

في العالم¹.

1_بناء الأهرامات :

اختلف علماء الآثار في تكييف شكل الهرم عند قدماء المصريين وأصل بنائه، والواقع أن أشكال الأهرام تختلف في منظرها وفي تركيبها في كثير من الأحيان، فمثلاً نجد الهرم المدرج في سقارة قاعدته مصطبة مربعة فوقها عدة مصاطب تصغر تدريجاً، وهناك هرم آخر قاعدته مربعة وفوقه عدة مصاطب مربعة أصغر من الأولى، ولكن بدون قمة، وهناك الهرم الرابع ويختلف عن الأهرام كلها، فإن قاعدته المربعة تحمل فوقها تابوتاً. وأحسن بناء هرمي تام أهرام الجيزة².

ولعل العلم بخواص الأحجار قد تقدم تقدماً عظيماً ، وأمكن حصر وتحديد الخصائص اللازمة في كل نوعية من أحجار البناء بما يتناسب مع استخدامه ، فبناء جسم الهرم مثلاً يتطلب نوعية متخصصة من الحجر الجيري والتي لا بد أن تتوفر فيها صفات خاصة من مقاومة عوامل التعرية وكذا صفات أخرى تتعلق بالجانب الجمالي³

ورغم كل ما كشف حديثاً حول الأهرامات ، فإن المعلومات حولها لا تزال ناقصة عن الهرم وكنهه، وإلى أن تكشف الأهرام من كل جهاتها كشافاً علمياً تاماً فستبقى الأهرام سرّاً غامضاً⁴.

2 - فنّ النقش والنحت :

بدأ الفنان المصري منذ عصر ما قبل الأسرات يظهر مهارة وحذقاً في حفر الصور، والأشكال المختلفة على الأحجار الصلبة والهشة وعلى العاج، ولا أدل على ذلك من النقوش التي أظهر فيها تفوقاً عظيماً بالنسبة للعصر الذي صنعت فيه، وقد استمر الفنان يعمل في هذا المضمار بشيء من الدقة عند انبثاق فجر التاريخ في الألواح الجنائزية، وفي صفائح العاج التي بقي منها بعض ما يدل على مبلغ ما وصل إليه من الإتقان في هذا الفن. ولا شك في أن أكبر مجال أظهر فيه الفنان المصري براعته في النقش والتصوير هي المناظر التي مثلها على جدران مصاطب الدولة القديمة، وفي معابد ملوكها. وكانت بداية هذه النقوش ما كان يكتب على اللوحة التي كانت توضع أمام باب قبر المتوفى⁵.

ج_الأدب في مصر القديمة :

¹ المرجع نفسه 212

² ينظر : سليم حسن . سليم حسن موسوعة مصر القديمة، ج1، ص 226 .

³ ينظر : محمد سميح عافية ، التعدين في مصر قديماً وحديثاً، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985، ص64.

⁴ ينظر: "سليم حسن موسوعة مصر القديمة ، مرجع سابق ج1، 227.

⁵ المرجع نفسه ص 229..

إن معظم المثقفين في مصر ... لا يزالون يعتقدون أن مصر القديمة لم يكن فيها حياة أدبية وثقافة خلقية

كالتى عند الشعوب المتحضرة¹. ولعل القصد في الحقيقة الواقعة هي أن جزءًا عظيمًا من هذا

الأدب القديم قد ضاع، وليس معنى هذا أنه لم يكن للمصريين أدب.

والكلام في الأدب المصري يقتضي التعرُّض أولاً لأنواعه، وثانيًا لأساليبه؛ فمن الناحية الأولى نرى أن الأدب المصري من النوع الغنائي أو العاطفي، وأن النوع القصصي كان الأدب بارزًا فيه، ويلى ذلك الأدب العلمي والحِكْم والأمثال، (التأملات) وليس من شك في أن الغنائي والقصصي قد نبتا في التربة المصرية؛ لأن كلا منهما يضرب بأعراقه إلى ما قبل ظهور الكتابة، وهو العهد الذي يشبه العصر الجاهلي في اللغة العربية، ولا غرابة في أن ينمو الغناء والقصص بين قوم تخطوا طور الهمجية، وأصبح لهم مشاعر ووجدانات تحتاج إلى تغذية، وهي إن لم تُؤاتهم من طريق القراءة والنظر، لا تبعد عليهم من طريق السمع والرواية، وكلنا يدرك تأثيرَ القصة الآن في العامة، وكيف أنها تجذب منهم القلوب والمسامع.²

الشعر :

لم تكشف لنا الآثار حتى الآن عن أي نوع من الأغاني والأناشيد والأحاديث المنظمة من عهد الأسرة الأولى، ولكن رغم ذلك يجب أن نسلم بأنها كانت موجودة. والواقع أنه يوجد كثير من التراكيب الشعرية في لغة العصر التاريخي مما ترجع نغماته إلى العصر السحيق، على أنه لم يبق لنا من هذا الشعر القديم إلا النزر اليسير، وهو على قلته لا يكشف لنا عن عذوبة الشعر الفطرية، لأن ما لدينا منه ينحصر في صيغ وأناشيد دينية، ومع ذلك فإن .. الذي يعرف كيف يقرأ ذلك الشعر الديني يمكنه أن يأخذ فكرة عامة عن حقيقة الشعر الدنيوي المقابل له، فهو شيء مختلف جد الاختلاف عما يصوره لنا أدب مصر في عصر ازدهاره عندما كان غنيًا بنغماته وقوافيه. ولقد كان التعبير في هذا الشعر القديم حيًا ساذجًا، وكانت الأفكار متنقلة غير مستقرة، وكانت الضمائر في هذه المتون تتغير فجأة من استعمال إلى استعمال، وكل هذا يدل على طرافة الشعر وجدته، وإذا تغاضينا عن سداجة هذه الصيغ القديمة وغرابتها فإننا نستطيع أن نكشف الغطاء من حين لآخر عن روح شعرية فطرية قل أن نجد لها في عصور أخرى أكثر تهذيبًا.³

¹ المرجع نفسه ص 304.

² ينظر: سليم حسن، موسوعة مصر القديمة القاهرة، مؤسسة هنداوي ط2018. ج 17، ص 14.

³ المرجع السابق ج2. ص315.

• المماطرة الثالثة

– حضارة بلاد الرافدين

➤ عناصر المماطرة

- ✓ _ الموقع :
- ✓ تاريخ حضارة بلاد الرافدين:
- ✓ _ الدولة السومرية : عصر فجر السلالات
- ✓ _ الدولة الأكادية
- ✓ الدولة الآشورية:
- ✓ نظام الحكم
- ✓ التشريعات والنظم السياسية والإدارية
- ✓ الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين
- ✓ الحياة الاقتصادية:
- ✓ الكتابة والأدب والفكر والعلوم .
- ✓ الفنون.

يعدّ تاريخ بلاد ما بين النهرين من بين المواضيع الأساسية، لفهم حيثيات أحداث ومنجزات منطقة الشرق الأدنى القديم، وهذا الموضوع يُدرس ضمن فرع خاص يعرف بعلم الأشوريات¹ يبحث في تاريخ الشعوب المشكلة للتاريخ العام في بلاد الرافدين ممثلاً في الشعب السومري والأكادي و البابلي والآشور و وصولاً للكلدانيين .

الموقع :

¹سمير العيداني ، المصادر المادية والأدبية لدراسة تاريخ بلاد ما بين النهرين ، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية (الجزائر) العدد7، 2016م، ص08.

بلاد الرافدين منطقة جغرافية تقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا، تربط بين القارات الثلاث آسيا، وإفريقيا، وأوروبا. ولهذا الموضوع أهمية استراتيجية و تجارية، حيث كان ملتقى طرق القوافل التجارية . وتنقسم بلاد الرافدين إلى قسم شمالي عبارة عن وديان ومرتفعات جبلية استوطنه الآشوريون قديما . وقسم جنوبي كان عبارة عن مستنقعات غير صالحة للعيش ومع ترسبات التّهين صلحت الأرض . وكان أهم سكانها السومريون، والبابليون، والعرب .

وتأسست على هذه الأرض حضارة عريقة لدول أبرزها:

الدولة السومرية : وتسمى عصر فجر السلالات:

تعتبر الحضارة السومرية التي نشأت في أرض العراق عام أربعة آلاف قبل الميلاد، من أقدم الحضارات في تاريخ الإنسانية، ، وكان لها الأثر الكبير في نشأة وتطور الحياة والإنسان. نشأت الحضارة السومرية ببلاد الرافدين ، حيث كانت تقع بين نهري دجلة والفرات في العراق، وامتدت بعد ذلك إلى سورية ومنطقة الخليج العربي، ولم تحدد بعد أصول السومريين وما تزال تلك الأصول قائمة على فرضيات العلماء، الذين يرجحون بأنهم من الأقوام الذين قاموا بالهجرة من شمالي العراق إلى جنوبه، عند مصب نهري دجلة والفرات، وتمكنوا خلال قرون من إقامة الدولة التي نمت وتطورت في حضارتها وعلومها ومعمارها وفنونها¹

أطلق على المدة الواقعة ما بين (2800 2370) (ق.م) بعصر فجر السلالات لأنه شهد ظهور أولى للسلالات الحاكمة المتمثلة بدويلات المدن السومرية في جنوب العراق مثل لكش، أويديو، الوركاء، أور، وكانت كل واحدة تتألف من مدينة مركزية هي العاصمة ويتبعها مدن أخرى... ، وقد تمتعت المدن السومرية بالاستقلال في تصريف شؤونها . ومن أشهر ملوك هذا العصر جلجامش² الذي اشتهر بمحتمته المعروفة وهي من أقدم الملاحم في تاريخ الحضارات القديمة و الملوك القدماء . وقُسمت فترة

حكم السومريين إلى ثلاث عصور:

أ عصر فجر السلالات الأول 2800 (ق.م 2700 ق.م)

ب عصر فجر السلالات الثاني 2700 (ق.م 2600 ق.م)

ج عصر فجر السلالات الثالث 2600 (ق.م 2400 ق.م)

¹ ينظر: طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الموجز في تاريخ حضارة وادي الرافدين ،بيروت ، شركة دار الوراق للنشر ، ط2 ، 2012م ، ج.1 ص.74_82.

² المرجع نفسه ص318-341.

الدولة الأكادية : ، والأكاديون هم أوائل أقوام الجزيرة العربية ، الذين وصلوا العراق منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد واستوطنوا بنحو خاص الأقسام الشمالية والوسطى منه.¹

ويعتقد أنّ الأكاديين قد عاشوا في شمال الرافدين في نفس الوقت مع السومريين، وقد قامت الدولة الأكادية على يد سرجون الأكادي الذي وحد العراق في مملكة واحدة. واستمر حكمه لمدة خمس وخمسين سنة قام خلالها بالكثير من الإصلاحات في الجيش، وفي نظام الحكم وتطورت في عهده الفنون.

الدولة البابلية: هذه المدينة كانت أعظم مدائن آسية وأبعدها ذكرًا وأرفعها علمًا وأوسعها ظلًا، وأكثرها ثروة وعمراً، وأمنعها عزة وسلطاناً صحبت الملوك دهرًا طويلاً، وتقلبت في الخصب والدولة أمداً مديداً حتى لم يكن لها ضريب في جميع المدن التي تقدمتها في تاريخ العمران، وبها سُميت المملكة بابل؛² والبابليون قوم هاجروا من سوريا إلى سهل سومر، وتُقسّم المملكة البابلية إلى **عصور ثلاثة:**

أ العصر البابلي القديم: ويُعدُّ حمورابي من أشهر ملوك هذا العصر (1728 _ 1686) (ق.م) ويفضله تم توحيد البلاد .ومن أهم أعماله سنّة قوانين موحّدة تسري على جميع بلاد الرافدين (قانون حمورابي .) وهي أولى القوانين المتكاملة في العالم التي ضمت قانون العقوبات، والقانون المدني، إضافة إلى الأحوال الشخصية. وقد تميز العصر البابلي القديم بتطور العلوم، والمعارف وازدياد عدد المدن.

ب العصر البابلي الوسيط: يعتبر العصر الوسيط عصر تراجع للحضارة البابلية .وعلى الرغم من وجود حكم سياسي في بابل إلا أنها بقيت تحت حكم وسيطرة قوى أقوى منها. ج العصر البابلي الحديث: تُعدّ فترة حكم الملك البابلي " نبوخذ نصر الثاني " من الفترات المزدهرة في تاريخ الحضارة الإنسانية والبابلية .وقد تميز عهده بازدهار العمران ، ومن أهم المعالم في عهده بوابة عشتار، والحدائق المعلقة التي تعتبر من عجائب الدنيا السبعة.

الدولة الآشورية:

أُطلق اسم " آشور " في النصوص القديمة على كل من المدينة والإله والدولة نفسها ، وقد وردت هذه الكلمة في المصادر الآرامية والعبرية بصيغة " أنور "، أمّا في المصادر السومرية فقد عرفت بلاد الآشوريين باسم " مات آشور " ، أما مصطلح " السوبارتو " بشمال بلاد الرافدين فقد كان يطلق على موطن الآشوريين لكن قبل تواجدهم واستقرارهم في أراضيها¹

¹ فوزي رشيد ،سرجون الأكدي، أول إمبراطور في العالم ، العراق ،الموسوعة الذهبية. وزارة الثقافة والإعلام دار ثقافة الأطفال،ط1، 1990م ،ص11.

² جميل نخلة المدور ، تاريخ بابل وأشور ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط2012م ص15.

وآشور، أول دولة قامت في مدينة في شمال بلاد ما بين النهرين، وتوسعت في الألف الثانية ق. م .
وامتدت شمالاً لمدن نينوي، نمرود وخورسباد .ولقد حكم الملك شمشي مدينة آشور عام 1813 ق. م .
ودمر الآشوريون مدينة بابل² .

ولما كانت الحقبة التي عاشتها بلاد آشور طويلة الأمد 612-2000 (ق. م) تخللتها عدة تقلبات،
فقد ارتأى الباحثون تقسيمها إلى ثلاثة عصور رئيسية:

-العصر الأشوري القديم- العصر الأشوري الوسيط- العصر الأشوري الحديث³
ومن أشهر ملوكها الملك "سرجون الثاني" الذي قضى على المملكة اليهودية في السامرة⁴ . و"آشور
بانيبال" الذي عُرف بحبه للأدب، والعلوم، والمعرفة .وبعد وفاة بانيبال ضعفت الامبراطورية وقامت فيها
عدة ثورات إلى أن سقطت دولة الآشوريين.

الدول المعاصرة للآشوريين:

عاصرت آشور منذ العصور المبكرة أواخر عصر الأس رات السومرية، وعاشت في تلك الفترة مثل
باقي دويلات المدن، كما خضعت للأكاديين، ومن بعدهم الجوتيين، وانهزت آشور فرصة العصر الجوتي
المظلم في الجنوب لتستقل لفترة وجيزة، اعتماداً على ما ورد في جداول الملوك الآشوريين لأسماء حكام
لا يعرف عنهم الكثير وأغلب الظن أنهم عاصروا الجوتيين، وفي عصر أسرة" أور الثالثة" ضُمَّت آشور
إلى آخر سلالة سومرية⁵

-نظام الحكم

:لا نعرف نظام الحكم الذي كان سائداً في بلاد الرافدين في العصور التي سبقت ظهور الكتابة أي في
عصور قبل التاريخ غير أننا نعرف من الوثائق السومرية أنه كان يحكم في كل دويلة من دويلات المدن
امير يسمى بالسومرية وكان الأمير يستعين بعدد من الإداريين والمفتشين والجباة في إدارة دويلة المدينة
، وقد جرت محاولات عديدة في عصر فجر السلالات لتوحيد دويلات المدن في دولة كبيرة واحدة
وقد نجح بعض الامراء السومريين فعلاً ولو لمدة قصيرة بفرض سيطرتهم على بقية المدن وتوحيد القسم
الأكبر من البلاد .ونتيجة لمثل هذا الانجاز السياسي والعسكري فقد اطلق على هؤلاء الامراء لقب
(لوكال) أي " الملك" ويعني بالسومرية " الرجل العظيم".

¹ - ينظر: أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم" العراق - إيران - آسيا الصغرى"، دار المعرفة الجامعية،
الإسكندرية، 2000، ص. 255

² ينظر :وسيم رفعت عبد الحميد ، سرجون الأشوري ، دار الجواهري . دت. ط. ص. 09.

³ قيس حاتم الجنابي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط 1 ، دار صفاء، عمان، ص. 147 - 144

⁴ بنظر :وسيم رفعت عبد الحميد سرجون الأشوري ، مرجع . سابق . ص. 09.

⁵ نبيلة محمد عبد الحليم، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، الإسكندرية، 1983 ، ص 206.

ويعدّ الملك سرجون الأكدي من أشهر ملوك العراق القديم ، ومن أبرز إنجازاته:
- قام بتوحيد وسط وجنوب بلاد الرافدين في دولة واحدة، ويعدُّ مؤسس الدولة الأكديّة.
_ اتخذ مدينة أكد عاصمة له ، غير أن التنقيبات الأثرية لم تعثر على موقع هذه المدينة حتى يومنا هذا
هذا، ويظنُّ أنها تقع وسط العراق بالقرب من مدينة " الحلة " الحالية.
- لم يلبث أن توسع على الأقاليم المجاورة وضمها الى مملكته، وبذلك أسس أو إم براطورية في العالم
القديم. وأعقبه في الحكم ولداه وبعده حفيده نيرام سين (2260 . 2223 ق.م) الذي يعدّ من أعظم
ملوك السلالة الأكديّة ومن أهم أعماله _ بناء القلعة الحصينة على نهر الخابور لحرصه على تقوية حدود
مملكته، وكان يلقب بملك الجهات الأربع وذلك للرقعة الواسعة التي شغلتها الامبراطورية الأكديّة ،
فقد ضمت تحت لوائها أقواما مختلفة وآلهة متعددة، وقد فرضت هذه الفترة عليه أن يحكم دولته
وفق مفهوم سياسي لا ديني، لكي تتمكن كل منطقة من مناطق الامبراطورية بالاحتفاظ بقوميتها
وألهتها.

-التشريعات والنظم السياسية والإدارية:

_ اهتم الحكام والملوك كثيرا بتنظيم حياة المجتمع وحماية الحقوق وذلك عن طريق تشريع القوانين التي
تحدد واجبات المواطن وتحقق نشر العدل بين أبناء المجتمع كافة؛ بحيث لا يستغل القوي الضعيف ولا
يعتدي الغني على حقوق الفقير هذه القوانين راعت بنحو كبير حقوق الانسان وحمايتها
من اعتداء الآخرين¹.

وإنّ أولى الاصلاحات الاجتماعية في العالم القديم جاءت في عصر فجر السلالات السومرية في وثيقة
تعود إلى آخر أمراء سلالة لكش الأولى (أوروا نمكينا) الذي حكم في حدود عام (2400 ق.م
نجد في هذه الوثيقة تفاصيل كثيرة عن الأحوال الاجتماعية للمواطنين في دويلة لكش قبل تسلمه
الحكم، وتعدّ هذه الاصلاحات من أقدم الاصلاحات التي عرفتها بلاد الرافدين وأهم ما جاء فيها:
أ - أنّ المواطن السومري كان مثقلا بالضرائب التي فرضها عليه الامراء الذين استولوا على الأراضي
الزراعية بصورة غير شرعية.²

-إلغاء الكثير من الضرائب، وأعاد الى الفقراء حقوقهم المشروعة ولاسيما حقوق الانسان العامة وحرياته
وكذلك حقوق المرأة وواجباتها ، وهذا دليل على إيمان الانسان العراقي بالنزاهة.

الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين:

¹ينظر: حلمي محروس اسماعيل الشرق العربي القديم وحضاراته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة مصر . مؤسسة
شباب الجامعة . ص 101.

2 المرجع نفسه 102

كانت الحياة الدينية في بلاد الرافدين تقوم على تعدد الالهة وكان يقدر عددها بالألاف وفي العصر البابلي بلغ عددها خمسة وستون الها. وكان لكل مدينة سومرية اله تحضع لحمايته كما كانت لأنواع النشاط البشري الهه توحى للناس ما يجب ان يفعلوه وتدبر لهم مختلف شئونه وتقوم بحمايتهم. كما كان لكل ظاهرة طبيعة اله خاص مثل الاله (اتو) (اله السماء) والاله (انليل) (اله الهواء)، والاله سن(اله القمر)، والاله (ادد) (اله العواصف) والاله (ابا) وهو الاله المحلي لمدينة اريدو في اقصى الجنوب وكان يقسم مع انو وانليل وحكم العالم ويسطر على المياه المحيطة بالعالم والمياه في اسفل العالم، كما كان المسؤول عن طرد الارواح الشريرة¹.

ظهر في العراق القديم، منذ الفترات التاريخية المبكرة، طبقة من الرجال المتنفذين، الذين حصروا في أيديهم السلطتين الدينية والدينيوية واعتبروا أنفسهم ممثلو الآلهة على الأرض، والوسطاء بينها وبين الناس، وتعتبر المخلفات المادية المختلفة التي تكشف عنها التنقيبات الأثرية شاهدة على ذلك التطور في التنظيم الكهنوتي، وعلى قدم هذا التنظيم، إذ خلفت معابد العراقيين القدماء مئات التماثيل التي تثبت قدم الظاهرة الكهنوتية في بلاد الرافدين، ودورها الفعال والكبير في المجتمع.

نشأة التنظيم الكهنوتي - :

إن قيام تنظيم الكهنة مرتبط بنشوء المعتقدات الدينية عن الحياة والكون والخلق والموت، فقد رسم تصور العراقيين، تبعاً لظروفهم المادية المختلفة أفكاراً خاصة في الديانة والمعتقدات، شأنهم في ذلك مثل بقية الشعوب القديمة. وقد كان ظهور الأبنية الدينية (المعبد) منذ فترات مبكرة من تاريخ حضارة العراقية، دليلاً على نجاح أفكارهم الدينية وتوضيح منهجها. أما الكهنة فكانوا على أوثق ارتباط بالمعبد، فهم الوسيلة البشرية لتحقيق الغرض الديني من المعابد، لذا يمكننا، اعتماداً على هذا الأساس، الافتراض بأن منشأ الكهنة مرتبط بمنشأ المعبد²

تميزت ديانة واد الرافدين في مختلف مراحل تطورها الحضاي بعبادة ظواهر الطبيعة المختلفة وتبلورت فكرة حيوية تلك الظواهر وما لها من تأثير في واقع الحياة المادية لذا فقد شخصت هذه الظواهر بألهة اعتُقد أنها كائنات حية لها القدرة والإرادة للإشراف وإدارة تلك الظواهر، وكانت المعابد من أولى الأبنية العامة التي شيد ها العراقيون القدماء للاجتماع فيها وممارسة الشعائر الدينية للتقرب من تلك الآلهة.

¹ حلمي محروس اسماعيل الشرق العربي القديم وحضاراته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة مصر . مؤسسة شباب الجامعة . ص 107.

² ينظر : رضا الهاشمي، النظام الكهنوتي في العراق القديم، مجلة كلية الآداب العراقية، العدد 11 . 1890 1891 ، ص

- الحياة الاقتصادية:

أ - الزراعة :

اعتمدت الحياة الاقتصادية في بلاد الرافدين على الزراعة بالدرجة الأولى، وقد نشأت حضارة السومريين في بيئة زراعية تفيض عليها المياه الغزيرة من نهرى دجلة والفرات كل عام، ولذلك فقد كانت الحضارة السومرية حضارة زراعية نهرية. ومن أجل ذلك اهتم الملوك والحكومات بشق القنوات في أنحاء البلاد، لتحمل مياه النهرين لري الحقول ولمزروعات المختلفة.¹

وقد فرضت قوانين حامورابي العقوبات على من يهمل وسائل الري، أو يلحق الأضرار بمزارع جيرانه. وقد أقام البابليون جسورا من التراب حول مزارعهم لحمايتها من مياه الفيضان، وكان يخزنون المياه الزائدة عن حاجة الحقول في خزانات لها عيون تنساب منها عند الحاجة.

الصناعة:

ومن أهمها صناعة المنسوجات والمفروشات وصناعة الاواني والادوات الفخارية والخزفية وصناعة الطوب لبناء المساكن واسوار المدن وكان البرونز (مزيج النحاس والقصدير) يستخدم في صناعة الاسلحة كما صنعت الحلبي وادوات الزينة من الذهب والفضة.

ويبدو ان الملوك السومريين قد احتكروا صناعة النسيج التي كانت واسعة الانتشار عند السومريين وكان يشرف على هذه الصناعة بدقة مراقبون حكوميون. وفي العصر البابلي كانت الآلات تصنع من الحديد والبرونز كما نشطت صناعة نسيج القطن والصوف وصبغة الاقمشة وتطريزها وعرفت صناعة طوب الاجر بعد حرق طوب اللبن مما يكسبه صلابة.²

وبعد تكاثر الحرف وعدد الصناع اسسوا لهم نقابات تسهر على مصالحهم .

النشاط التجاري:

كان للتجارة دور مهم في مدن بلاد ما بين النهرين وقد ساهمت التجارة بشكل مباشر او غير المباشر في مستوى رفع المعيشة للسكان، وانشار حضارة هذه البلاد وكان للتجارة نشاط واسع في العصر البابلي حيث اصبحت بابل مركزا للتجارة في الشرق الادنى القديم كله وحققتم من ذلك بابل ثروة عظيمة.

التجارة الخارجية:

¹ حلمي محروس اسماعيل الشرق العربي القديم وحضاراته. مرجع سابق ص 101.

² المرجع السابق ص 101 .

كانت القوافل التجارية تتجه الى المناطق الواقعة حول الخليج العربي وآسيا الصغرى والى بلاد الشام. كما يستدل من اطلال المدن السومرية على القيام بصلات التجارية بينها وبين مصر والهند. وكان التجار في العصر الاشوري لهم حرية الانتقال والاتصال وقد استوطن كثير منهم في مدينة كيش بالأناضول واتخذوا مستوطنات في اماكن اخرى بتلك المنطقة وكانوا يصدرون الانسجة المصنوعة في مدينة اشور ويقومون بدور الوسطاء في تجارة النحاس والحديد من مراكز التعدين في اسيا الصغرى وكانت تعقد المعاهدات لحماية التجارة الخارجية والتجار وتحديد مهامهم . وبوجه عام كانت تصدر منتجات زراعية وصناعية مختلفة وتستورد المعادن والاحشاب والتوابل والاعطور والاحجار الكريمة.¹

وفي بادئ الامر كانت البضائع تنقل بالطريق النهري، ثم صارت تنقل بالطريق البري، باستخدام عربات تجري على عجلات وتجرها الخيول وكان ذلك اقدم وسيلة للنقل من هذا النوع عرفها العالم وفي عهد بختنصر اصلحت الطرق الرئيسية التي تستخدمها الطرق التجارية التي كانت تحمل الى بابل منتجات الهند ومصر والشام وبلاد اسيا الصغرى.

التجارية الداخلية:

كانت التجارة الداخلية نشطة بين المدن وفي البداية قامت عملية التبادل التجاري على المقايضة ثم استخدمت سبائك الفضة في العمليات التجارية وكثيرا ما كانت تدون عمليات البيع والشراء والمعاملات التجارية المختلفة وفي العصر البابلي كان رئيس التجار موظفا كبيرا في البلاط الملكي وقد سمح لموظفي الديوان الملكي بالاشتغال في التجارة لزيادة ثروتهم.²

_ الكتابة والأدب والعلوم:

لاشك ان الكتابة هي اروع واعظم ما انتجه العقل السومري.

الكتابة المسمارية والألواح الطينية أو الفخارية:

وهي أهم أنماط الكتابة التي ظهرت في بلاد ما بين النهرين وقد سميت بالكتابة المسمارية أو الخط المسماري نسبة الى القلم الذي يشبه المسمار وهو مصنوع من المعدن ومدبب وله شكل مثلث منشوري والذي كان يستخدم في الكتابة . وكان الكاتب يمسك بهذا القلم مائلا ويضغط به ضغطا خفيفا على

1 المرجع نفسه ص. 104

2 المرجع السابق هـ 105.

لوح من الطين مسجلا المعلومات المختلفة ثم يعرض هذا اللوح للنار أو لحرارة الشمس حتى يجف ويشبه الفخار.¹

وترجع اقدم هذه الالواح الطينية او الفخارية الى حوالي عام 3200ق.م، وكانت الكتابة تقرأ عليها من اليمين الى اليسار. وفي اول الامر كانت الكتابة عن صور تعبر كل منها عن رمز معين وبعد ذلك تطورت هذه الصور فصغر حجمها وبسط شكلها بحيث اصبح تدوينها بسرعة وسهولة ثم تحولت الى علامات صوتية تعبر عن الاصوات التي ينطق بها لا عن الصورة نفسها. ولم تكن الكتابة السومرية واحدة في كل المدن السومرية وانما كانت تختلف من مدينة الى اخرى، و بقاء طابع اصلي واحد في كل انماط هذه الكتابة.²

وكانت الكتابة المسمارية على الالواح الطينية والفخارية تستخدم في تسجيل المعاملات التجارية من عقود وصكوك وتسجيل الوثائق الرسمية والاحكام القضائية والقوانين والاساطير الدينية والوصفات الطبية الخطابات الشخصية.

وفي حوالي عام 2700ق.م، انشئت دور للكتب في المن السومرية حفظت بها الالواح المسمارية. وقد عثر على احد دور الكتب في مدينة (تلو) السومرية كانت تضم مجموعة من الالواح عددها ثلاثون لوحا ومنظمة بشكل دقيق وكانت تشتمل على نماذج من الادب السومري وفي حوالي عام 2000ق.م، اخذ بعض الكتاب السومريين يدونون على الالواح تاريخ بلادهم القديم ويسجلون ايامهم التي يعيشونها. كما عثر على الواح تضم ابتهالات دينية ومرثيات واشعار جميلة.

وفي بعض المعابد السومرية عثر على بعض الالواح المدرسية عليها جداول حسابية وتمارين هندسية وغيرها، وكانت تلحق بالمعابد مدارس لتعليم النشء الكتابة والقراءة والعلوم المختلفة. وفي العاصمة الاشورية نينوى عثر في مكتبتها على 25000 من الالواح الفخارية اشتملت على وثائق رسمية ورسائل وعقود تجارية ونصوص علمية ودينية وتاريخية.

الآداب والعلوم:

في الأدب:

كانت نماذج الادب السومري تتميز بغزارة مادتها وان كانت اساليبها اقل جودة، بينما ارتقى انتاج الادب البابلي الى مستوى فائق. ويمكن تميز نموذجين اساسيين من الإنتاج الادبي، الاول شعري ، والنوع الثاني مدون بعبارات نثرية.

¹ المرجع نفسه 105.

² المرجع نفسه 105

وفي النموذج الشعري يتكون كل بيت من شطر او مقطع واحد، ويوجد اختلاف في الشكل والمضمون الشعري بين الشعر السومري والشعر الاكادي، ومع الخلفية السامية. وكانت موضوعات الشعر تشمل مواقف معينة تتعلق بحقائق الحياة، او بخلفية احداث هامة لها تأثير على البشر ومن ذلك ملحمة كلكامش اما النموذج النثري فكان يشمل النصوص الملكية التي ترجع الى بلاد بابل وآشور وتتناول وصف الانجازات البطولية لبعض الملوك ومنها اخبار(سنحاريب) ودورة في معركة (هالولة) وحملة سرجون التي توغل بها عبر جبال وغابات ارمينيا وتتناول وصف طبيعة هذه المناطق.

كما تناول النثر النزاع الاسطوري بين مردوخ وتياما ضمن قصة بدء الخليقة... .

في العلوم:

الرياضيات:

تستنبط اهم المعلومات عن علم الرياضيات في بلاد الرافدين من نوعين من النصوص، النصوص الرياضية المسماة: النوع الاول في الجداول الرياضية، والنوع الثاني في قضايا علمية ، وتم اثبات النوعين منذ العهد البابلي القلسم.

وقد رتب الجداول الرياضية لعملي الضرب والقسمة، وشملت ايضا المربعات والمكعبات والجدور الاساسية وقوائم الاعداد. كما وردت تمارين مسائل رياضية اعدت للطلاب المتقدمين في هذه المادة تتعلق بمسائل معمارية او مساحية او غيرهما، وتدل على مدى الانجاز الذهني لدى رياضي هذه البلاد في العصور القديمة.¹

والنوع الثاني في نصوص القضايا العلمية وكانت تشمل المعادلات الجبرية التربيعية وعمليات اخرى تمت صياغتها بتعابير هندسية . وقد استخدم البابليون الاوائل الجدور التكعيبية بمهارة كما كانوا ملمين بالجدور التربيعية.

وكانت الحسابات في الرياضيات تعتمد على نظام عد ستيني وعلى نظام قيمة مرتبي (مكاني) كما استخدم النظام العشري في داخل النظام الستيني.

ولكن الرقم(صفر) لم يكن معروف حتى العصر السلوقي ، كذلك كان الرياضيون البابليون ملمين ببعض الخواص الاساسية للمثلث والمستطيل والدائرة، ولكنهم لم يهتموا بخواص السطوح والخطوط والحجوم، لذلك كانت الهندسة اقل تطورا من الجبر عندهم.

الفلك:

¹ ينظر: حلمي محروس اسماعيل الشرق العربي القديم وحضاراته. مرجع سابق ص 105.

ظهر علم الفلك في بلاد ما بين النهرين بعد علم الرياضيات بأكثر من الف سنة وبعد منتصف الألف الأول قبل الميلاد حيث بدأ اهتمام المختصين في جنوب البلاد بالظواهر التي تلاحظ في السماء وخاصة حركة الكواكب والقمر والتبدلات في طوال النهار والليل.¹

وقد تميز البابليون عن سائر الأمم القديمة بعلم الفلك الذي نشأ عن اهتمامهم بدراسة حركة النجوم بقصد إرشاد السفن والقوافل في سفرها وللتنبؤ بالمستقبل والمصير للملوك وبلادهم. وكان لتقدم علم الرياضيات أثره في دفع علم الفلك خطوة حاسمة للأمام وقد وجدت الرياضيات في الفلك ميداناً رحباً في التطبيق.

وكان سكان وادي الرافدين يعتمدون على دورة القمر منذ أقدم العصور كوسيلة ملائمة لقياس الزمن وتبدأ السنة الجديدة وفق هذا التقويم مع ظهور أول قمر جديد عقب الاعتدال الربيعي وتقسّم إلى اثني عشر شهراً، ويتكوّن كل شهر من تسعة وعشرين أو ثلاثين يوماً، ويقسم اليوم إلى اثني عشر ساعة مزدوجة. ولم يكن من السهل دائماً رؤية الهلال الجديد بسبب ظهور الغيوم والضباب والعواصف الرملية من وقت لآخر في سماء البلاد. كذلك استخدم الفلكيون الرياضيات لتقرير وقت ابتداء الشهر الجديد.

ولما كانت السنة القمرية أقصر من السنة الشمسية بأحد عشر يوماً تقريباً فقد كان التفاوت يبلغ فترة فصل كامل بمرور كل تسع سنين.

وبعد مضي عدة قرون جرى حل مشكلة التفاوت بين السنة الشمسية والقمرية بشكل تحكّمي، حيث قرر الملك كبس أو إضافة شهر أو شهرين إلى السنة، وفي عام 747 ق.م، أمر الملك نبوناصر بكبس سبعة أشهر في تسعة عشر سنة قمرية.

وفي عهد بختنصر لاحظ الفلكيون مسارات الشمس والقمر، ولاحظوا ظاهري الكسوف والخسوف، وحددوا وقت الانقلاب الصيفي والشتوي والاعتدالين الربيعي والخريفي، والبابليون هم أول من ميز بين النجوم الثابتة والكواكب السيارة تمييزاً دقيقاً وقاموا برصد حركة الكواكب السيارة وتجوّالها.

والى جوار معابدهم أقام البابليون أبراجاً عالية يتكوّن كل منها من طبقات مكعبة الشكل يعلوا بعضها بعضاً ويتناقض حجم المكعب كلما زاد الارتفاع ويحيط بالبرج سلم خارجي. وهذه الأبراج كانت مراصد فلكية يستخدمها الكهنة في رصد حركة الكواكب السيارة التي يعتقدون أنّها تكشف عن كل شيء في حياة الناس. ومن هذه الكواكب الزهرة، وجوبيتر، وفينوس، وميركوري، ومارس، وساترون.

¹ قيس حازم توفيق العلوم والمعارف في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل في العصور القديمة مشروع اشورياتيبيال للثقافة ط 1، 2018، ص 59.

الطب: تستخلص المعرفة عن طبيعة ومدى علم الطب في بلاد ما بين النهرين، من النصوص الطبية التي عثر عليها وتظهر حكمة الطبيب وهي تتالف من كتيبات مختصرة ومجموعات من الوصفات الطبية، الحقت برسائل وشارات جاء ذكرها في شرائع قانونية مع افكار وردت في نصوص ادبية تصور علاقة الطبيب بالمريض ومكانة الطبيب الاجتماعية.

وقد امتزج الطب عند البابليين بالدين والسحر معا، اذ كان يعتقد ان المرض هو بمثابة عقوبة تسلبها الالهة على البشر بسبب الآثام التي يقترفها.¹

ويمكن ان تطلق الالهة ايدي الشياطين على الشخص المصاب او تجعله يخر صريعا لنوبة يسلبها احد السحرة. ولذلك كان علاج المرضى في اول الامر من اختصاص الكهنة، وذا طابع سحري- ديني، اذ يعتمد الكاهن او العراف الى اكتشاف الذنب او العيب الخفي المسؤول على اثاره حنق الالهة كما يقوم الكاهن بطرد الشياطين، باستخدام الطقوس والتعازيم السحرية، وبعد تجري محاولة استرضاء الالهة بأقامة الصلوات وتقديم القرابين، والى جانب الطب الكهنوتي السحر- ديني (اشيبوتو) كان يوجد طب اخر ذو طابع عقلائي مفيد (اسوتو).

ومنذ عهد حامورابي اصبحت مهنة الطب مستقلة على اثر التنظيمات التي ادخلها على تلك المهنة ويقوم بها اطباء يتناولون اجورهم من المرضى الذين يعالجونهم وتحدد اسعار اجراء العمليات المعينة وتوقع عليهم عقوبات خاصة اذا اخطأوا في العلاج وتسببوا في وفاة بعض المرضى او عطلوا شفائهم وتقضي هذه العقوبة بتر يد الطبيب وبعقوبة الموت اذا وقع في اخطاء وظيفية جسيمة. ولم يكن الطبيب (آسو) كاهنا او ساحرا بل كان شخصا معتبرا ينتمي الى الطبقة الوسطى في المجتمع البابلي- الاشوري.

وكان الطبيب يقضي اعوام طويلة في المدارس حيث يتعلم العلوم الاساسية المعروفة في عصوره ثم يقوم بالتدريب لعدة سنوات اخرى مع زميل اقدم منه يتعرف خلالها على اسرار مهنته . وقد حظى الاطباء في كل العصور بتقدير واحترام عاليين، وكان الحري شديدا على طلب مشورتهم وكان الملوك يتبادلون الاطباء مع بعضهم البعض في كثير من الحالات.²

¹ قيس حازم توفيق العلوم والمعارف في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل في العصور القديمة مشروع اشوربانيبال للثقافة ط 1، 2018، ص 21.

² حلمي محروس اسماعيل الشرق العربي القلم وحضاراته. مرجع سابق ص 123.

• المماطرة الرابعة

المماطرة الفينيقية

➤ عناصر المماطرة

- ✓ الموقع الجغرافي للفينيقيين.
- ✓ تاريخ دويلات المدن الفينيقية ونظام الحكم فيها.
- ✓ اهم المدن الفينيقية.
- ✓ الفينيقيون ودورهم في التجارة البحرية.
- ✓ المستعمرات الفينيقية على سواحل البحر المتوسط.
- ✓ العلوم و الفنون.

الفينيقيون وهم فريق من الكنعانيين الساميين، اتجهوا نحو الساحل السوري وأطلق عليهم الإغريق هذه التسمية نسبة الى الصباغة الحمراء التي اشتهروا بها في صناعتهم وتجارتهم¹.

الموقع الجغرافي للفينيقيين:

نزل الفينيقيون على ساحل البحر المتوسط في موقع لبنان حالياً وانحصروا في شريط ضيق من الأرض تحده من جهة الشرق جبال لبنان التي لا تبعد عن البحر أكثر من 50 ميلاً وفي بعض المواضع تلاصق البحر وفي مواضع أخرى تقترب من البحر لمسافة تتراوح بين 12 و 15 ميلاً.²

¹ ينظر: جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، تر: ربالخش، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1998م، ص31.
ينظر: حلمي محروس اسماعيل الشرق العربي القديم وحضاراته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة مصر. مؤسسة شباب الجامعة. ص 149.

² المرجع نفسه ص 150.

وتغطي الجبال الشاهقة غابات كثيفة تضم أشجار الأرز والصنوبر والسرو. ولا يزيد طول هذا الشريط الساحلي الذي نزل به الفينيقيون على مائتي ميل ويحتوي على كثير من الخلجان وعدد من الرؤوس البارزة في البحر التي تفصل الخلجان بعضها عن بعض.

كما يضم الساحل عددا من الثغور وتقترب منه بعض الجزر التي كانت أهميتها لا تقل عن أهمية الساحل نفسه. وفضلا عن ذلك كان هذا الشريط الساحلي الضيق مقسما بالطول الى عدة اقسام تفصلها بعضها عن البعض نتوءات جبلية تمتد من جبال لبنان وتقترب كثيرا من البحر بأحدارات عمودية مما يشكل حواجز طبيعية تفصل بين اقسامه المختلفة.¹

وتبعاً لذلك لم يستطع الفينيقيون تكوين دولة قوية موحدة وإنما قامت دويلات المدن الصغيرة التي كانت تتنازع كثيرا فيما بينها وتتولى احداها الزعامة حسب الظروف السياسية والاقتصادية السائدة في الفترات المختلفة. وفي نفس الوقت كان الوطن الفينيقي او (فينيقيا) معبرا للغزاة الاسويين القادمين من منطقة الجزيرة في طريقهم الى مصر كما عبرتها الجيوش المصرية عدة مرات أثناء قيام الامبراطورية المصرية وتوضح الاثار والوثائق المصرية هذه الصلة الوثيقة بين فينيقيا ومصر.

دويلات المدن الفينيقية ونظام الحكم فيها:

ونتيجة لهذه الطبيعة الجغرافية لفينيقيا وتأثرها بالمنافسات التي تجاذبت العالم القديم بالاضافة الى الاهتمام الفينيقيين بالشؤون الاقتصادية والتجارية وحرصهم على توفير الامان والاستقرار السياسي مما يساعد على تحقيق النجاح في المجالات التجارية بصفة عامة فقط انخرط الفينيقيون في وحدات سياسية صغيرة وهي ما يعبر عنها (بدويلات المدن).²

وكان لكل مدينة حكومة خاصة بها ويرأسها حاكم يتولى السلطة فيها تبعا لنظام الوراثة وقد ينتقل الملك الى اسرة اخرى او تنتزع منه السلطة على اثر ثورة تقوم بها عناصر قوية. ولم يكن الملك او الامير او الحاكم سلطة استبدادية مطلقة لان ذلك لا يتفق مع النشاط التجاري الذي كان يمارسه الفينيقيون .

والى جانب الملك كانت تقوم هيئة من رجال التشريع وكان الدين يجد من سلطة الحاكم ويحظى الكهنة بنفوذ يلي نفوذ الحاكم في الدولة. وكانت الموارد المالية تعتمد اساسا على التجارة وعلى حصيلة المكوس

1 المرجع السابق 151.

2 المرجع نفسه 154..

او احتكار السلع او منهما معا. وفي بعض الاحيان كانت تعقد مؤتمرات يحضرها ممثلون عن المدن الكبرى للتداول في الشؤون العامة المشتركة وكانت مدينة طرابلس غالبا مقرا لهذه الاجتماعات العامة وكثيرا ما كانت ترتبط فيما بينها بنوع من التحالف، وخاصة في وقت تعرضها للأخطار الخارجية وحيانا تجمعها المصالح المشتركة .

وكانت زعامة هذه الاحلاف تنتقل بين المدى الكبرى فكانت لمدينة اوجاريت في القرن السادس عشر قبل الميلاد ولمدينة جبيل في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ولمدينة صيدا بين القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد ولمدينة صور بعد القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، ثم انتقلت الى مدينة طرابلس في القرن الخامس قبل الميلاد.¹

وكانت بعض المدن الفينيقية تشغل موقعين احدهما على الساحل والاخر على الجزر الصغيرة في مواجهتها للساحل حيث كان السكان يلجأون اليها لحمايتهم وقت اشتداد الاخطار الخارجية. كما كان لكل مدينة مرفأين احدهما شمالي والاخر جنوبي وتلجأ السفن الى المرفأ المناسب حسب الفصول السنوية واتجاه الرياح. وفي مدينتي صيدا وصور تفصل بين المرفأين مسافة ملاحية يوم كامل.

أهم المدن الفينيقية:

جبيل:

وتقع على بعد 40 كم الى الشمال من مدينة بيروت الحالية وكانت تعرف عند المصريين القدماء باسم كبر او كبير ثم اطلق عليها الاغريق اسم بيبيلوس وكانت آهله بالسكان منذ اقدم العصور كما كانت من المراكز القديمة الهامة لعبادة الالهة عشتار.

وبحكم موقعها الجغرافي كانت جبيل ذات مركز تجاري هام وكانت لها علاقة وثيقة مع الدول المجاورة. وتشير الاساطير والاثار المصرية الى عمق العلاقة بين مصر وجبيل وامتدادها الى عصور ما قبل التاريخ.

¹ ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمت عبد الهادي شعيرة، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، ص373..

وتشير اسطورة أوزيروت الى اقدم العلاقات بين مصر وجيبيل وتقول هذه الاسطورة (ان جثة أوزير الذي قتله اخوه ست ووضعه في تابوت والقاءه في البحر،....اذن لها الملك بحمل التابوت وبدخله جسد زوجها وعادت الى مصر.¹

وكانت مصر ترتبط بمدينة جيبيل بعلاقات تجارية فقد كانت تستورد من منطقتها اخشاب الارز والصنوبر التي كانت تستخدم في بناء مقابر الملوك وفي صناعة السفن الكبيرة وذلك منذ عصر ما قبل الاسرة الاولى .

وفي عهد الدولة القديمة كان ميناء جيبيل اكبر ميناء تجاري في غرب اسيا وكان اكبر ميناء تجاري تتعامل معه مصر واحيانا كان يقوم بدور الوسيط التجاري بين مصر وكريت، وفي ميناء جيبيل كانت تقيم جالية مصرية من التجار.

وفي عهد الدولة الوسطى خضعت جيبيل ومدن اخرى بالمنطقة لنفوذ مصر وقد اعترف امير بيبيلوس باكير بأنه (خادم ملك مصر)، كما استعمل امراء بيبيلوس الالقاب المصرية وكتبوا اسمائهم باللغة الهيروغليفية المصرية واستخدموا ادوات الزينة المصرية ، فجبيل المدينة الفينيقية الوحيدة التي تظهر فيها بوضوح طبقة الركام الأثري الفينيقي.²

وفي عهد الدولة الحديثة كانت بيبيلوس والامارات التي حولها تدين بالولاء لمصر ولما تقلصت الامبراطورية المصرية في هذه المنطقة ظل ريعدي امير جيبيل على ولائه لمصر حتى سقطت مدينته في ايدي الاموريين ولم يهتم ملك مصر بإنقاذه رغم رسائل النجدة التي بعثها اليه.

كما اخضعت جيبيل للملك الاشوري تجلات - بلاسر الاول وقدمت له الجزية حينما اجتاحت فينيقيا بجيوشه وجلب منها كميات من اخشاب الارز . ومن ملوك جيبيل المعروفين، اجيرام- ايتوبعل، ابي- بعل - ايلي - بعل، شيببت - بعل، الذين حكموا من حوالي القرن العاشر الى القرن الثامن قبل الميلاد.

صيدا:

1 حلمي محروس اسماعيل. الشرق العربي القديم وحضاراته مرجع سابق.ص 154.

2 جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية ، تر: ربالخش ، سوريا ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط 1، 1998م ، ص 43.

تقع صيدا على بعد 45 كم الى الجنوب من بيروت وعلى بعد 40 كم شمالي صور، في سهل ساحلي شديد الخصوبة ووافر المياه ولكنه ضيق يصل اتساعه الى نحو ميلين وينحصر بين السفوح الغربية لجبال لبنان الجنوبية وبين البحر، ويعتقد أنها قد أسست قبل صور.¹

وفي بادئ الامر انشئت مدينة صيدا على راس جبلي وكان لها سور لحمايتها ولها مرفأان يتكونان من سلسلة من الجزر الصغيرة المتلاصقة احدهما في الشمال والاخر في الجنوب ويسمى (المرفأ المصري) وهو اكبر من المرفأ الشمالي ولكنه اقل من امنا .

وقلعة صيدا الحالية التي تسمى (قلعة البحر) ترجع الى الحروب الصليبية .وقد اشتق اسم صيدا من الصيد وخاصة صيد الاسماك وينسب اليها الاله الفينيقي الوثني (صيدون) ويذهب البعض الى انها كانت محلة صغيرة لصيادي الاسماك.

وعند الاشوريين عرفت صيدا باسم (صيدونا) وعند المصريين القدماء (صيدونو) وفي العبرية (صيدون) وفي التوراة تنسب مدينة صيدا الى (صيدون) وقيل انه الابن الاكبر لكنعان بن حام بن نوح وبذلك تنسب التوراة الكنعانيين – الفينيقيين) الى الحاميين وليس الساميين مع انهم يتكلمون لغة سامية وذلك لاعتبارات سياسية ودينية. ويسمىها الصليبيون (ساجيتا) بمعنى السهم في اللغة اللاتينية الذي كان شعار صيدا في فترة الغزو الصليبي.²

وكانت الحرفة الرئيسية للسكان في صيدا الصيد، وتشمل صيد الاسماك واستخراج القواقع او الاصداف التي كانت تأخذ منها الاصباغ الارجوانية الحمراء وهذه الحرفة كانت من اسباب ازدهار التجارة الفينيقية. صور :

وتقع على بعد 40 كم جنوب صيدا وتعتبر.... اعظم المدن الفينيقية جميعا ومن اقدمها وشيدت في الاصل على جزيرة تبعد عن الساحل بعدة اميال واستخدمت كحصن في بادئ الامر. وكان مرفؤها الرئيس يقع في جنوب الجزيرة وبسبب توفر الامن في مينائها وسلامة المدينة من الغزو سرعان ما اصبح

¹ المرجع نفسه .ص57.

² المرجع السابق .ص57.

لها مركز الزعامة على المدن الفينيقية وقصدها التجار والعبيد من جميع بلاد البحر المتوسط واصبحت من اعظم موانئ حوض البحر المتوسط الشرقي.¹

وكانت مدينة صور تتمتع بالثورة والرخاء بسبب التجارة وازدادت ازدهار في عهد ملكها (جرام) (980-936ق.م) الذي كان يعاصر الملك النبي سليمان عليه السلام وفي عهده شيدت حول المدينة الاسوار العالية والابراج الشاخنة. وقد حافظت صور على استقلالها حتى قدوم الاسكندر الكبير وفي عام 332ق.م، الذي تمكن من اخضاعها بعد حصار من البر والبحر دام سبعة سنوات اشهر وعقب ذلك امعن الاسكندر في تقتيل واضطهاد سكانها وباع الكثير منهم في سوق النخاسة وبعد ذلك بنى سدا طوله نصف ميل لربط الجزيرة بالبر.

ارواد:

وكانت تقوم فوق موقعين احدهما على احدى الجزر في شمال فينيقيا والآخر على البر في مواجهتها واطلق عليها الصليبيون اسم (طرطوس) .

وعلى البر اشتغل سكانها بالزراعة والتجارة مع المناطق الداخلية وعلى الجزيرة اشتغلوا بالملاحة ومهروا فيها وكان لهم وحدات كبيرة ضمن الاسطول الفينيقي وكان سكانها يخزنون مياه الامطار في صهاريج اقاموها في الجزيرة بالاضافة الى استخدام المياه من نبع مياه عذب تحت البحر كانوا يحصلون عليها باستعمال انبوب من الجلد.²

وبالرغم من صغر مساحة مدينة ارواد فكان لها السيادة على كثير من المدن المجاورة مثل (سميرا) و(مارثوس). ومثل المدن الفينيقية الرئيسية الاخرى فقد تعرضت الى ارواد الى اطماع الشعوب المجاورة ودمرها شعوب البحر في غزواتهم في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ثم جرى احيائها وقاست من غزوات الاشوريين المتكررة بعد ذلك واخيرا فتحت ابوابها امام الاسكندر الاكبر عند قدومه.

توسع الفينيقيين في حوض البحر المتوسط:³

¹ المرجع نفسه، ص47.

² المرجع السابق، ص50.

³ غاتم محمد الصغير ، معالم التواجد الفينيقي . البوني في الجزائر ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع . الجزائر ، ط2003م، ص177-

تأثر الفينيقيون الى ابعد الحدود بالبيئة التي عاشوا فيها فقد كانت جبال لبنان التي تقع خلف مواطنهم تعرقل صلة السهول الساحلية بالأقاليم الداخلية . كما ان هذه البيئة المحلية لم تعد تكفي لإعاشة السكان الذين يتزايد عددهم باستمرار ولم يعد انتاج الزراعة يكفي لإطعام سكان المدن الساحلية.

ونتيجة لهذه الظروف الطبيعية الصعبة كان على الفينيقيين ان يلتمسوا سبلا اخرى للمعيشة فلم يجدوا مخرجا اخر لهم سوى ان يتجهوا للبحر وساعدهم على ذلك توفر الموانئ الصالحة في سواحل بلادهم.¹

الفينيقيون ودورهم في التجارة البحرية:

يعتبر الفينيقيون اول امة بحرية في التاريخ وفي البداية كانت رحلاتهم البحرية قصيرة لصيد الاسماك وللحصول على انواع من الاصداف التي يستخرجون منها نوعا من الاصباغ التي عرفت باسم (الارجوان) او للبحث عن الزجاج والصلصال وبعض السلع الاخرى.

وكان الفينيقيون يتبادلون التجارة مع البلدان التي ترسو سفنهم على سواحلها. ثم ازداد هذا النشاط التجاري بعد القرن الثالث عشر او الثاني عشر قبل الميلاد بتأثير ضغط الاراميين عليهم وسط سوريه في اعقاب هجمات شعوب البحر على سورية ومن جانب الإسرائيليين والفلسطينيين الذين احاطوا بهم من الجنوب وقد دفعهم هذا الوضع الجديد الى انشاء محطات تجارية ومراكز استيطان لهم تتوفر فيها وسائل المعيشة والامن. وعلى اثر ذلك اصبحت مراكز الاستيطان الداخلية ذات اهمية ثانوية.

وكانت السفن الفينيقية بسيطة في بادئ الامر وتشبه الزوارق المكشوفة قليلة الارتفاع ولا تستطيع ان تتوغل وسط البحر بسبب الامواج الهادرة ثم اخذ الفينيقيون يطورون في صناعة السفن فكبر حجمها وسمكها واتخذوا الشراع والمخداف في تسيير سفنهم التي كانت تصنع من خشب الارز واخيرا توصلوا الى بناء سفن ضخمة التي تقوى على التوغل في المحيطات كما بزغ الفينيقيون في فن الملاحة واستطاعوا ان يشقوا لأنفسهم مسالك وطرق بحرية اكتشفوها واقبلوا على الابحار ليلا بالاعتماد على النجوم وخاصة النجم القطبي الذي ادركوا اهميته.²

وبذلك رادت قدرة الفينيقيين في السيطرة على البحر واخذوا يجوبون البحار بين الشرق والغرب وتضاعف نشاطهم التجاري وضمن نقوش المصريين القدماء والاشوريين توجد مناظر لسفنهم.

1 المرجع نفسه ص186..

2 المرجع السابق، ص185..

وقد وصلوا في رحلاتهم الى سواحل بريطانيا التي كانوا يحصلون منها على القصدير مقابل الخزف والملح والاولاي النحاسية. واهم رحلاتهم واطولها التي استغرقت حوالي ثلاثة اعوام دوراتهم حول سواحل افريقيا ووصولهم الى راس الرجاء الصالح واستخدموا في هذه الرحلة سفن نخاو الثاني (610-595ق.م) وهو ثاني ملوك الاسرة السادسة والعشرين المصرية.

كما كان لهم علاقات تجارية مع مصر واسبانيا ومع قبرص وصقلية وسردينيا وغيرها من جزر البحر المتوسط.¹

وكان الفينيقيون يصدرون الاخشاب والقمح والزيت والخمر والمصنوعات المعدنية والمنسوجات وكانوا يستوردون الفضة والذهب والحديد والقصدير والرصاص والاولاي النحاسية والكتان والاغنام والتوابل والرقيق.

المستعمرات الفينيقية على سواحل البحر المتوسط:

وكان الفينيقيون يعملون على الاستقرار والاستيطان في الاماكن التي ينزلون بها للتجارة على سواحل البحر المتوسط.

واذا كانت البلاد التي ينزل بها الفينيقيون تتوفر فيها الامن بفضل حكامها القادرين فانهم يكتفون بإقامة مراكز تجارية لهم ويحصلون على حق حرية التجارة كما فعلوا في مصر حيث اقاموا مراكز تجارية عند مصبي فرعي دمياط ورشيد للنيل.²

وفي اماكن اخرى على ساحل البحر المتوسط وبعض الجزر كان الفينيقيون يستقرون ويقيمون المستعمرات وينشؤون مدنا فينيقية جديدة ويواصلون اتصالاتهم بالمدن الفينيقية الكبرى في وطنهم الاصلي عن طريق البحر ويقومون بتصريف المنتجات الفينيقية في البلاد التي اقاموا فيها مستعمراتهم وجمع المواد الخام المطلوبة وارسالها الى بلاد الشام.³

¹ المرجع السابق 186..

² حلمي محروس اسماعيل. الشرق العربي القديم وحضارته مرجع سابق. ص 158.

³ المرجع نفسه، 159.

وكان الفينيقيون يتجنبون اثاره الشكوك حولهم ولم يتخذوا اتجاهها سياسيا معينا ولم يحاولوا اثاره فزع السكان الاصليين في المواطن التي نزلوا بها وسرعان ما كانوا يتلاءمون مع البيئه الجديدة التي يعيشون فيها.

وكانت اقدم المستعمرات الفينيقية ومن اهمها التي اقاموها في جزيرة قبرص في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد بسبب قربها من الوطن الام حيث ساد التبادل التجاري بينهما لدرجة انه كان يصعب التمييز بين المنتجات الفينيقية والقبرصية.

كما استقروا في جزيرة رودس في ذلك الوقت وبعد ذلك انشأوا مستعمرات في جزر كريت ومالطا وصقلية وسردينيا. وكان للفينيقيين عدد من المستعمرات في اسبانيا مثل (ترشيش) وتعني باللغة الفينيقية (منجم او معمل تكرير) و(مقة) ومعناها معمل صغير او حانوت صغير. وفي بلاد اليونان اقام الفينيقيون بعض المستعمرات.

قرطاج:

اما اشهر واعظم المستعمرات الفينيقية فكانت قرطاج وتقع قرب مدينة تونس الحالية ويرجع تأسيسها الى عام 814 ق.م، ويعني اسمها (المدينة او القرية الحديثة) ويروي ان الاميرة (البسا) ابنة اينان(ملك صور هربت من ظلم اخيها) (نيحماليون) لدى اعدام زوجها فنقلت معها اموالها ومجوهراتها ورافقها عدد من الامراء الى شاطئ افريقيا الى العرب حيث تأسست هذه المستعمرة في هذه البقعة.

ومنذ تأسيس قرطاج اعتبرت تابعة الى مدينة صور بفينيقيا ، وبعد ذلك اضمحلت صور منذ القرن السادس قبل الميلاد وبدأت قرطاج تستقل سياسيا وسرعان ما تدهورت واصبح لها الزعامة على المدن الفينيقية في اواسط البحر المتوسط وعلى سواحلها.¹

وقد بلغت قرطاج الذروة في السيادة التجارية والسياسية عندما انشأت امبراطورية واسعة امتدت من الساحل العربي لليبيا الى مضيق جبل طارق واسبانيا واقامت مستعمرات جديدة في هذه المواقع وضمنت جزر الباليار ومالطة وسردينيا وبعض المواقع على ساحل اسبانيا.

¹ جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية ، مرجع سابق، ص153..

ودخلت قرطاج في حرب مع اليونانيين ومع الرومان بسبب التنازع على السيادة على البحر المتوسط وتجارته وانتهت الحرب البونية الثالثة في عام 146 ق.م، مع روما بتدمير وحرق قرطاج التي تحولت بعد ذلك الى ولاية رومانية.¹

من إنجازاتالعلمية :

اختراع الأبجدية:

يجمع معظم علماء اللغات والآثار على أن اختراع الأبجدية الأم، التي ولدت منها جميع أبجديات العالم مثل اليونانية واللاتينية والعربية والعبرية تم على أيدي الفينيقيين حيث وجد أقدم رقم (لوخ فخاري) مكتوب عليه الأبجدية في أوغاريت قرب مدينة اللاذقية في سوريا. المؤرخ هيرودوتس اليوناني نسب الاختراع إلى قدموس الفينيقي السوري. ولما انتقل قدموس إلى طيبة نشرها بين شعوب أوروبا. وهناك آثار في مدينة طيبة في مصر (الأقصر حالياً).. عبارة عن نقش لصورة قدموس يعلم أبناءه الحروف الأبجدية. ومن أقدم الكتابات التي كتبت بالأبجدية الفينيقية منقوشات قبر أحيرام ملك جبيل أو "بييلوس". يذكر أنه وجد آثار لنصوص فينيقية في كل من مصر وقبرص وفي أكثرية حوض البحر المتوسط، وكانت تكتب اللغة الفينيقية من اليمين إلى اليسار. ويعد اختراع الأبجدية من أعظم ما قدمته الحضارة الفينيقية للبشرية. ابتكرت هذه الكتابة عام 1100 ق.م وتتألف من 22 حرفاً يمثل كل واحد منها صوتاً معيناً. وسميت أيضاً بأبجدية جبيل.

استعان الفينيقيون بالكتابة السومرية والمصرية القديمة ثم طوروها مع مرور الزمن. في البداية، كانت تكتب هذه الحروف على ألواح من الطين أو الفخار ثم فيما بعد، كتبت على أوراق البردى المصرية. لقد كتب الفينيقيون هذه الحروف من اليمين إلى الشمال (مثل العربية) ونشروها في جميع بلاد العالم شرقاً وغرباً، أسهم في نشرها قدموس السوري. أكسب اختراع الأبجدية فينيقيا مكاناً مهماً في تاريخ الحضارة.²

¹ المرجع نفسه، ص159..

² ينظر : ج. كونتو، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص332..

علم الفلك

يبدو أنّ علم الفلك كان مألوفاً لديهم، ومن أبرز الشواهد على ذلك أنّ نجمة القطب بقيت زمناً طويلاً تدعى النجمة الفينيقية.¹

الفنون:

لم تكن مجالات الفن الفينيقية مخصصة لمنطقة معينة أو لاستخدام محدود لكنها كانت واسعة وتقتصر على تحويل بعض المواد إلى الاستخدام²، عالمية ومتنوعة. بين الفنون المعتمدة نجد الكثير من القطاعات، كعمل الزجاج والسيراميك، والمعادن، والعاج، والمجوهرات وإكسسوارات التجميل والتصنيع الأرجواني، والعملات، ... دون أن ننسى قطاع العمارة والهندسة أو الفن في خدمة الإلهية والمقدسات

التسيح:

تمتعت منسوجات الفينيقيين القطنية والصوفية بالجودة وصارت لها شهرة واسعة، حتى أنّ رجال ونساء طبقة الأشراف الرومان كانوا يتهافتون على منسوجاتهم الرائعة.³

اكتشاف الصباغ الأرجواني:

كان الفينيقيون أول من اكتشف اللون الأرجواني فاستخرجوه من أصداف المريق وهي نوع من المحار وجد بالقرب من الشواطئ الفينيقية. أدخل الفينيقيون الصباغ الأرجواني على أقمشتهم فاشتهروا بصناعة الأقمشة الأرجوانية اللون.⁴

صناعة السفن:

اهتم الفينيقيون بصناعة السفن التي كانت في البداية تلبية لحاجة التنقل والصيد، فقد كان الفينيقيون بحاجة للسفن نتيجة لدوافع وعوامل طبيعية تتمثل أساساً في طبيعة الموقع الجغرافي، فالساحل الفينيقية الممتد بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب منحصر بين البحر والجبل، فكان عليهم إيجاد وسيلة تسهل عليهم التنقل بين المدن الفينيقية⁵

صناعة السيراميك

¹ جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، مرجع سابق، ص 69.

² المرجع نفسه 163..

² المرجع السابق، ص 57..

³ جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، مرجع سابق، ص 163.

⁴ ينظر: كارلهايتز برنرديت، لبنان القلم، ترجمة ميشيل كيلو، ط 1، 1999، قدمس للنشر والتوزيع، ص 11

⁵ ينظر: السيد غلاب، الساحل الفينيقية وظهره في التاريخ والجغرافيا، دار العلم للملايين، بيروت، 1969، ص 46_47

لم تتلقى دراسة السيراميك الفينيقية نفس درجة الاهتمام التي كُتبت للفخار اليوناني. ويرجع ذلك أساساً إلى طبيعته وإلى أشكاله التي لا يمكن أن تتنافس مع جماليات الإنتاجات اليونانية الأكثر جاذبية ومهارة.

استمدت صناعة السيراميك في المدن الفينيقية مباشرة من الفخار السرياني الفلسطيني وذلك منذ نهاية العصر البرونزي. استعملت في العديد من المجالات المنزلية، التجارية أو الجنائزية. تم تقسيمها إلى شكلين كلاسيكية، ذات الرؤوس المفتوحة أو الواسعة وتلك الضيقة أو المغلقة

● **المحاضرة الخامسة**

– الحضارة الإغريقية

➤ **مخاضر المحاضرة**

- ✓ الموقع
- ✓ التقسيم الزمني للحضارة اليونانية
- ✓ . الحياة الاجتماعية.
- ✓ الدين.
- ✓ معالم الحضارة اليونانية.
- العمران والفنون.
- الآداب .
- الفلسفة.

الموقع

بلاد اليونان قطعة صغيرة من الأرض تمتد في البحر المتوسط على مسافة متساوية من آسيا الصغرى إلى الشرق وإيطاليا إلى الغرب، يحدها من الشمال مكدونية التي هي الآن قسم من بلاد الدولة العلية، ويحيط بها البحر من سائر الجهات، والقسم الجنوبي من بلاد اليونان عبارة عن أرخيل؛ أي مجموع جزائر بعضها في غاية الجمال. وكانت تقسم قديماً إلى عدة مقاطعات يحكم كلاً منها دولة مستقلة، أهم تلك المقاطعات مقاطعات أثينا وسبارطة وقورنثية وطيبة وإركادية ومكدونية. وفي كثير من هذه الجزائر مدنٌ عجيبية كمدينة تدعى انتيبارس، وهي مشهورة بمغارة لها تحت الأرض إذا أضيئت بالمصابيح ظهرت أنها قاعة واسعة قائمة على ألف عامود تلمع كالفضة، وبعض جزائر اليونان قد تنأت من وسط البحر بسبب البراكين وبعضها غارَ فيه¹.

وفي القسم الجنوبي من اليونان وبين جزائرها الهواء معتدل ومناخ البحر² وتنتبت فيها أنواع الفاكهة والتمر، أما في القسم الشمالي فالهواء بارد، فإذا مرت ببلاد اليونان يظهر لك جمال مناظرها فتشاهد عند سواحلها كثيراً من الخلجان الصغيرة والمين، ويخطر لك أن شعب تلك الأنحاء كان ميالاً لصناعة الملاحة على أنك لو بحثت الآن لرأيتهم كذلك. وفي تلك البلاد أحراج وغبابات تستحق الاعتبار معظمها من الصنوبر، وأشجار أخرى ذات أخشاب صلبة كالسنديان، هذا في الأقسام العليا منها، أما في الأقسام السفلى فالجوز واللوز كثير، أما البقول فغزيرة، وأخص محصولات تلك البلاد عنب الثعلب والقطن والحريير والصوف والأرز والتبغ والحنطة، أما المعامل فقليلة ومعظمها تشتغل بالقطن والحريير والصوف، وأهم الأثمار الزيتون والعنب والليمون والبرتقال والتين واللوز والتمر والرمان وعنب الثعلب³.
يمكننا تقسيم اليونان إلى أربعة عهود رئيسية، هي:

1- عهد الملوك (1100-750 ق.م)

أ- دور الاستقرار، وفيه خاضوا عدة حروب ضد السكان الأصليين ومنهم الإيجيون. وأسسوا - عدة مدن، كان على رأس كل منها ملك، فهو قائد الجيش وكاهن الشعب الأكبر.

1 جورجى زيدان ، خلاصة تاريخ اليونان والرومان ، مصر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط 2012م، ص11.

2 ينظر: ابتهاج عادل ابراهيم الطائي، تاريخ الإغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني. دار الفكر ، ط1،

2014، ص12.

³ ينظر: المرجع نفسه 12

ب- دور اقتباس الحضارة من الأمم المجاورة لهم، فمن الفينيقيين اقتبسوا الحروف الهجائية والورق في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ومن الإيجيين اقتبسوا صناعة الأواني والفخارية المزركشة. ونظر لكثرة حروبهم إما ضد بعضهم أو الأمم المجاورة لهم طوروا أسحتهم.

2- عهد الإقطاع:¹

في هذه المدة ظهرت طبقة ملاكي الاراضي الواسعة، وتجمعت الثروة بيدهم لذلك هاجرت الطبقة الكادحة إلى الخارج، واهتمت بالتجارة بعد أن تعلم أفرادها إنشاء السفن على الطراز الفينيقي، كما دخلوا عدة حروب في حوض بحر إيجه والأبيض والأسود. وأسسوا لهم عدة مستعمرات مثل قبرص وسيدة السفن (قرب الإسكندرية) وقيرين (طرابلس الليبية) وجنوب إيطاليا الذي دعوه بلاد الإغريق الكبرى، وصقلية. وانتشار الإغريق تولد عنه رواج التجارة والصناعة، مما أدى إلى تغيير الأوضاع الاقتصادية، وبالتالي نظام المجتمع والحكم.

3- عهد الاستبداد (625- 525 ق.م):

كانت ثروة النبلاء مستمدة من الزراعة، ولما توسعت التجارة ونشطت الصناعة تركزت الثروة في طبقة التجار والصناع وتدخلوا في السياسة، وابتدأ يهددون بالثورة حكم النبلاء، إلى أن قضا عليه وقاموا بإصلاحات عديدة في مختلف المجالات لتحسين أوضاع الطبقة العامة. وأشهر هذه الإصلاحات هي: إصلاحات "صولون" لكن الثورات، والاستيلاء على السلطة بالقوة كان الطابع العام لهذه الفترة إلى أن اهتدى أهل أثينا (كليشينير) إلى طريقة الاقتراع العام، لنفي أخطر شخص على سلامة الدولة، فكان هذا بداية الحكم الديمقراطي، الذي اتضح بصورة خاصة في عهد "بريكليس" 460- 430 ق.م، على أننا لا ننكر بأن بعض المدن حافظت على الحكم الاستبدادي مثل اسبارطة.

4- عهد الإمبراطورية:

كان اليونان ومستعمارتهم عبارة عن دويلات (دول المدن) لكل مدينة نظامها الخاص، وحاولت بعض القادة العسكريين الأثينيين خاصة توحيد هذه المدن في إمبراطورية واحدة وتحت زعامة واحدة، ولتحقيق ذلك دخلت أثينا في عدة حروب دون أن تنجح في تحقيق الوحدة إلى أن ظهر الإسكندر الأكبر.

¹ ينظر: سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، القاهرة، دار النهضة العربية، ط2، 1976، 24.

ومن بين هذه الحروب، تلك التي كانت بين اليونان والفرس، وقد استغرقت مدة طويلة استنزفت قوى الجيش، ومن ثم تشجعت أثينا التي كانت أكبر دول (مدن) اليونان على توحيد أجزاء الإمبراطورية، لكنها اصطدمت مع أسبارطة (منافستها)، ودخل الجانبان في عدة حروب كان النصر في أغلبها لسبارطة وحلفائها.

لكن النزاع استمر بين الطرفين إلى أن ظهر على مسرح السياسة العالمية "إسكندر المقدوني" الذي تمكن في مدة 10 سنوات من تأسيس إمبراطورية كبيرة امتدت من اليونان إلى الهند بما في ذلك الشام ومصر والعراق.

وقد تزوج بأميرة عراقية، واتخذ بابل عاصمة له أثناء عودته من الهند، لكنه سرعان ما توفي سنة 323 ق.م في بابل، ونقلت جثته إلى الإسكندرية بمصر.

وبعد وفاته نشبت عدة ثورات وخصومات على الملك أدت إلى تقسيم إمبراطوريته إلى ثلاثة أجزاء:

أ- منطقة مقدونيا في أوروبا:¹

وقد أصبحت من نصيب البيزنطيين في ما بعد إلى القرن 15م حيث أصبحت من ممتلكات الدولة العثمانية.

ب- مملكة الشام:

وأصبحت من نصيب البيزنطيين إلى الفتح الإسلامي.

ج - مملكة مصر:

وأصبحت من نصيب البطالمة فالبيزنطيين إلى الفتح الإسلامي.

الحياة الاجتماعية:

كان المجتمع اليوناني مقسما إلى عدة طبقات، وتختلف أهمية هذه الطبقات باختلاف الرقي الفكري والانتعاش الاقتصادي من مدينة لأخرى، ففي أثينا التي كانت تتمتع بنوع من الديمقراطية في ذلك العصر (القديم) نجد مجتمعها مقسما إلى ثلاث طبقات متميزة عن بعضها البعض:

¹ ابتهاج عادل ابراهيم الطائي تاريخ الإغريق مرجع سابق، ص239...

1- المواطنون الأثينيون في الأصل.

2- المستوطنون، وهم القاطنون في أثينا وليسوا من أبوين أثينيين.

3- طبقة العبيد والأسرى. وبخصوص الأسرة اليونانية، فهي تتمتع بحرية واسعة، ولأب السلطة العليا، فهو كاهنها الأكبر، وعندما يموت تعبد روحه.

وكان الزواج يعد في منزل العروس أولاً ثم في منزل العريس، كما كانوا مولعين بالألعاب الأولمبية وخصصوا لها ملعباً خاصاً.

الدين:

كانت ديانة اليونانيين وثنية، فقد عبدوا آلهة وأنصاف آلهة،¹ وهي عبارة عن تشخيص لقوى الطبيعة أو الأبطال الذين قاموا بأعمال مجيدة خلدت ذكركم. وكان لكل مدينة أو قرية، بل لكل أسرة إلهها وأعيادها الدينية الخاصة بها. ومع ذلك فهناك آلهة اشتهرت وأصبحت تعبد من مختلف اليونانيين، وأشهرها: "زيفيس" رب السماء والآلهة والبشر عامة، وموطن الآلهة هو جبل أولمبس المغطى بالثلج.

أ - هاجرت قبائل آرية من شواطئ بحر قزوين واستوطنت اليونان منذ القرن 20 ق.م، وفي خلال 10 قرون (2000 - 1000 ق.م) استولوا على شبه جزيرة اليونان وجزر إيجه وسواحل آسيا الصغرى، وأسسوا مدناً غدت ممالك صغيرة، وحاولت أثينا تأسيس إمبراطورية لكنها فشلت رغم حروبها العديدة مع أسبارطة وفارس إلى أن نجح الإسكندر الأكبر في تأسيس إمبراطورية كبيرة.

ب- اقتبس اليونانيون بعض مظاهر حضارتهم من بابل ومصر وفينيقيا وكريت وطوروها حتى أصبحت من أرقى الحضارات، فأسسوا العمارات الضخمة (الأكربول) واشتهروا بالألعاب الأولمبية كما اشتهروا بالعلوم المختلفة من الفلسفة "سقراط، أفلاطون" والطب، والتاريخ "هيروودوت" ... الخ

مر العراق بسلسلة من الهجمات الاستعمارية وذلك لعدة أسباب منها موقعه الجغرافي المهم الذي يربط دول العالم القديمة إضافة إلى المساحة المترامية الأطراف التي وصلت إليها الإمبراطوريات التي حكمت وادي الرافدين، وكان أول احتلال اجنبي لبلاد وادي الرافدين هو الاحتلال الفارسي الاخميني والذي بدأ

¹ يظر : ابتهاج عادل ابراهيم الطائي، تاريخ الإغريق، مرجع سابق، ص 239-240..

من سنة 539 ق.م وينتهي بفتح الاسكندر سنة 331 ق.م، ليستمر الحكم المقدوني لفترة ليست بالطويلة ليحل محله الاحتلال السلوقي في سنة 311 ق.م ليستمر حكمهم لآكثر من قرنين أي بحدود 139 ق.م، حيث انتزع الفرس الفرييون العراق من السلوقين، وذلك في منتصف القرن الثاني ق.م، ودام حكمهم الى سنة 227 ق.م، أي حوالي استمر الحكم الفريي لثلاثة قرون في العراق، وجاء بعده الحكم الفارسي الساساني (227 ق.م - 637 م) الذي استمر حين ظهور الاسلام .

معالم الحضارة اليونانية:

ساعد اتصال اليونانيين بحضارات الشرق على اقتباس بعض مظاهر هذه الحضارات فقد تأثروا بحضارة العراق، البابلية، وحضارة مصر، وحضارة الفينيقيين، وحضارة الإيجيين.

العلوم:

أدى اختلاط اليونانيين بالفينيقيين إلى تعلمهم الخط الفينيقي منذ القرن 9 ق. م، ومن ثم أخذت علومهم تتطور إلى أن أصبحت راقية، وبصورة خاصة في أثينا، فاشتهروا بالرياضيات، ووضع "بيثاغور" نظريته المشهورة، كما نبغوا كذلك في الفلك، والطب، واشتهر اليونانيون كذلك بالتاريخ والجغرافية، ومن أشهر مؤرخيهم "هيرودوت" الملقب بأبي التاريخ.¹

العلوم اليونانية

1- مجال الأدب : هي التي ضمت إنجازات فريدة ورائدة في أكثر من جنس أدبي ، أهم ذلك ما كان في مجال الأدب الملحمي والأدب الغنائي والأدب الدرامي ، وظهرت فيه أسماء لامعة هوميروس وبيندار واسخيلوس وسوفوكليس وايريوبيدس. وايرستوفانوميناندر وغيرهم²

2- مجال الفكر النظري (الفلسفي): هي التي امتلأت بنظريات وأفكار أنتجها أعلام غيروا تاريخ الفكر البشري مثل: طاليس، وأفلاطون، وسقراط وأرسطو.

مجال العلوم التطبيقية : ضمت نتاجا مهما ورائدا في مجالات الفلك والهندسة ، برز فيها كثيرون أهمهم ممن برع فيها :

¹ ينظر: لطفي عبد الوهاب يحي ، اليونان . مقدمة في التاريخ الحضاري ، مصر ، دار المعرفة ط1991م، ص21_23.

² ينظر: فؤاد المرعي المدخل إلى اللاداب الأوروبية ، لبنان ، عالم الأدب للترجمة ، ط1، 2016. ص26_30.

- هيبارخوس 190-120 ق م . في مجال الفلك

- أرخميدس المتوفى سنة 212 ق م . المولود بصقلية والمتوفى باليونان الذي يعد أباً للهندسة والميكانيكا

- فيثاغورس في القرن السادس قبل الميلاد وهو يوناني درس في العراق ، وفي مصر

- أرسطرخس الساموسي :عاش ما بين 310 ق م – 230 ق م عالم فلك ورياضيات يوناني كبير، من مدرسة الإسكندرية القديمة، ولد في ساموس باليونان. يتميز أرسطرخس بفكره الفلكي الجريء، فقد درس الفلك وقدم فيه إنجازات عديدة ومهمة، ومن أهمها: فكرته حول مركزية الشمس داخل النظام الشمسي.

العمران والفن:

ويبلغا اليونانيون في العمران والفن درجة راقية، وكان للانتعاش الاقتصادي والرقى العلمي أثرا عظيما في تقدم الفن العمراني عندهم و يتجلى ذلك واضحا في المعابد خاصة . وأشهر آثارهم الخالدة "الأكروبول" في أثينا. كما تتضح لنا قيمة الفن اليوناني في نحت التماثيل التي خلدت لنا الكثير من أبطالهم.

وأهم ما تتميز به العمارة الإغريقية في أساس تكوينها بناء الأعمدة التي اهتموا بدراساتها فأجادوا وكانت على طرز ثلاث ،العمود الدوري والأيوبي، والكورنثي.¹

__ هضبة الاكروبول صرح اثينا العظيم. فقد كان الطريق المؤدي من قلب المدينة إلى قمة الهضبة ينتهي بأعمدة البروبيلاي (مدخل الاكربول) وهو عبارة عن بوابة فسيحة ذات جناحين يمتدان مسافة سبعة وأربعين مترا وقد شيد من الرخام الأبيض والأحجار السوداء وكان يجتذب إليه الأنظار لاحتوائه على التمثال البرونزي للآلهة أثينا.²

-1تمثال زيوس :زيوس هو كبير آلهة الإغريق القدماء، أحد شخصيات الأساطير الإغريقية الشهيرة التي حظيت بإجلال وتقدير الشعب انهار التمثال ما بين القرن الخامس الى السادس ميلادية بسبب فيضان اصاب المدينة.

¹ سيد محمد عمر ، محاضرات في الآثار اليونانية ط2005م ،ص72.

² المرجع نفسه ،ص88.

2- **ضريح موسولوس:** اتخذ الملك اليوناني القديم (موزول) عام 337 ق.م. من مدينة هليكارناسوس عاصمة لمملكته كاريا التي تقع غرب الأناضول (تركيا حالياً)، تمتع هذا الملك بشهرة واسعة في عصره حيث كان ميالاً لحياة البذخ والترف، مما دفعه لأن يشيد لنفسه وهو على قيد الحياة ضريحاً فخماً يتناسب مع مكانته في مدينة **بودروم** والذي سرعان ما اعتبر من عجائب الدنيا السبع القديمة لضخامته، ونقوشه الباهظة التكاليف، وزخارفها التي تتسم بالبذخ والعظمة أطلق على هذا البناء في ذلك الوقت **(الموزوليوم)**.

_ **فنار الإسكندرية أو منارة الإسكندرية:** وكان موقعها على طرف شبه جزيرة فاروس وهي المكان الحالي لقلعة قايتباي بمدينة الإسكندرية المصرية. تعتبر أول منارة في العالم.

_ **الأدب الإغريقي**

تكونت بنية الأدب الإغريقي بجهود أعلام أنتجوا ما كانت حصيلته أدباً عالمياً رائداً ، ومؤثراً ، بعد مروره في بواكيره بمرحلة الأدب القومي الذي لم يخرج في نطاقه عن بلاد الإغريق.

أما أولئك الرواد الصانعين لمجد الأدب الإغريقي فأهمهم التالي ذكرهم :

- **هوميروس:** هو أشهر الأسماء الذين صنعوا شهرة وتميز الأدب الإغريقي لا سيما في مجال الملاحم ، وحياته غامضة المعالم ، فاقدة للتفاصيل ، لافتقادنا المصادر التي تكشفها . كان أهم ما كتبه ملحمة **الإلياذة ، والأوديسة**.

- **الإلياذة:**

هي نص شعري يرجع إلى القرن التاسع، أو الثامن، قبل الميلاد، وقد جمعت سنة 700 ق م. أي بعد مئة سنة على موت هوميروس على الأقل. تحكي قصة حصار طروادة الذي حدث سنة 1200 ق م ، أو 1194 ق م. في آخر إحدى وخمسين يوماً من الحصار. فيها قصة إبحار أخيل إلى طروادة من بلاد الإغريق ؛ كي ينتقم من باريس الذي أغوى هيلين وهرب بها ، وكانت زوجة لملك أسبرطة ، الذي بعث أخاه أجاممنون لحربه .

_ **الأوديسة :**

تروي قصة الأمير الإغريقي أوديسيوس ، عند عودته من طروادة وتعرضه لأخطار السفر مع طاقم سفينته.¹

هزيود - (هسيود : Hesiod -)

(و. 846 ق.م. - 777 ق.م.) هو أحد أعظم شعراء اليونان القدامى، ويضعه هيرودوت في نفس المرتبة مع معاصره هوميروس. ولد في بلدة كيمي في آسيا الصغرى.

- يوربيدس : عاش تقريبا ما بين سنتي 480-406 ق.م)

أحد أهم ثلاثة كتاب تراجيديا من الإغريق.

_مواضيع الأدب الإغريقي:

كانت كتاباتهم محكمة بمواضيع مركزية ، مثل مواضيع :

- 1- خلافات وصراعات الآلهة فيما بينها من جهة ، ومع البشر من جهة أخرى.
 - 2- مواضيع الحروب والصراعات بين أقاليم الإغريق وجيوشهم من ذلك صراعات آثينا وأسبرطة.
 - 3- مواضيع السياسة والأوضاع الداخلية ، وشخصيات القادة السياسيين والحكام.²
- وقد أثر الأدب الإغريقي بلا خفاء في أهم ما أنتجه العالم من ملاحم تالية ، وقد نحا نحوهم فرجيل في اللاتينية ، ودانتي في إيطاليا ، وملتون في إنجلترا .

الأجناس الأدبية الإغريقية:

- 1_ الشعر الملحمي : أشهر مثالاته الأوديسة ، والإلياذة ، اللتين كتبهما هوميروس.
- 2- الشعر الغنائي : كان ظهوره بعد الشعر الملحمي ، وتميز بأنه أقصر كميّاً.
- 3- سير البطولات (القصص).
- 4- الرسائل الأدبية .
- 5- المسرحيات : وقد انقسمت لنوعين هما: المسرحيات المأساوية ، والمسرحيات الهزلية.

¹ فؤاد المرعي المدخل إلى الآداب الأوروبية ، لبنان، عالم الأدب للترجمة ، ط1، 2016، ص 26_30.

² المرجع نفسه. ص 49_51.

هاته هي الأجناس التي توزعت إليها كتابات الإغريق في المجال الأدبي، ولنا في أواخر مقامنا هذا ان نطرح سؤالاً ملحا هو : لماذا لم يترجم المسلمون -وقت نشاط الترجمة - الأدب الإغريقي ، واكتفوا بترجمة الفلسفة ، وبعض العلوم التحريبية.

الفلسفة اليونانية :

مرت الفلسفة اليونانية بثلاثة أدوار : دور النشوء ودور النضوج ودور الذبول. والدور الأول فيه وقتان : الوقت المسمى بما قبل سقراط، وهو يمتاز باتحاد وثيق بين العلم الطبيعي والفلسفة، ووقت السوفسطائيين وسقراط يمتاز بتوجه الفكر إلى مسائل المعرفة والأخلاق.

والدور الثاني يملؤه أفلاطون وأرسطو، اشتغل أفلاطون بالمسائل الفلسفية كلها، وجهد نفسه في تمحيصها، ولكنه مزج الحقيقة بالخيال، والبرهان بالقصة، حتى إذا ما جاء أرسطو عاجلها بالعقل الصرف، ووفق إلى وضعها الوضع النهائي.

والدور الثالث يمتاز بتجديد المذاهب القديمة وبالعود إلى الأخلاق والتأثر بالشرق، والميل إلى التصوف مع العناية بالعلوم الواقعية¹.

واشتملت الفلسفة اليونانية منذ نشأتها على جميع فروع الفلسفة، كالمنطق، والفلك، والاقتصاد، والأخلاق، بالإضافة إلى العديد من الفروع الأخرى، وعن طريق هذه الفروع تمكنت الفلسفة اليونانية من البحث في الوجود الكلي المجرد؛ لأن الهدف من هذه الفلسفة هو معرفة ماهية الأشياء وحقائقها وخصائصها، وبقيت هذه الخاصية ضمن أدوار الفلسفة اليونانية على اختلاف الفلاسفة.

¹ يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مصر ، مؤسسة هنداوي ، ط2012م ، ص18_19.

● المحاضرة السادسة

– الحضارة الرومانية

➤ عناصر المحاضرة

✓ الموقع والخصائص الجغرافية

✓ التركيبة البشرية

✓ روما بين العهد الملكي والعهد الجمهوري

✓ الأدب الروماني

✓ الفنون والعمارة عند الرومان

الموقع الجغرافي: لم ينحصر التاريخ الروماني في القديم في الكيان الجغرافي لشبه الجزيرة الإيطالية بل تعداه وقد ولدت الإمبراطورية الرومانية رسمياً عام 27 ق.م وانتهت مع احتلال روما من جانب قوط الألاريك Goths d'Alarie عام 410 أو عام 476 تاريخ سقوط إمبراطور الشرق نتيجة غارات الجرمان. وإيطاليا هو الاسم الذي أطلقت اليونان القدماء على الطرف الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة الإيطالية¹

¹ ينظر : محمود ابراهيم السعدني ،حضارة الرومان منذ نشأة روما حتى نهاية القرن الأول ،، عيالن للدراسات والبحوث الإنسانية ط1، 1998م،ص39.

تتكون إيطاليا من قسمين رئيسيين، يختلف أحدهما عن الآخر:

-القسم الشمالي : وهو عبارة عن سهل فسيح، تطوقه سلسلة جبال الألب على هيئة هلال غير منتظم ممتد من البحر الادرياتيكي حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط¹، ونتيجة وجود ممرات في هذه الجبال فلم تصبح حاجزًا ومانعًا أمام الهجرات القادمة من القارة الأوربية، ويعتبر نهر " البر " من أعظم أنهار إيطاليا، وقد هيأت لهذا القسم عاملان رئيسيان لازدهار الزراعة وهما :خصوبة التربة، ووفرة المياه، ولم تعرف إيطاليا الموانئ النهرية الكبيرة².

-القسم الجنوبي : ويتكون من شبه الجزيرة الإيطالية الطويلة تقع بين البحر التيراتي في الغرب، والبحر الأدرياتيكي في الشرق، وهذا القسم تحيط به الشواطئ على طول امتداده.

-جزيرة صقلية : قامت هذه الجزيرة بدور هام في التاريخ الروماني، وخاصة أثناء الصراع بين روما وقرطاجنة أقامت إيطاليا مستعمرات لها في صقلية وكانت تمارس نشاطها التجاري الواسع فيها³.

البحر:

كانت سواحل روما لا تضم رغم طولها الظاهري سوى عدد قليل من التعاريج، ونظرا لقلّة التعاريج وعدم وجود الرياح المواتية للملاحة؛ أثر ذلك في تأخر دخول إيطاليا في ميدان النشاط البحري فترة متأخرة كثيراً عن تلك التي برزت فيها في بلاد اليونان⁴.

المناخ:

المناخ بوجه عام من الطراز الشائع في حوض البحر المتوسط وهو جاف صيفاً ممطر شتاءً دون إفراط في درجة الحرارة أو البرودة⁵.

خصائص الموقع الجغرافي لروما (عاصمة إيطاليا):

- 1 - كانت روما هي المدينة المركزية لإيطاليا بحكم توسعها لشبه الجزيرة.
- 2 - وقوع روما على نهر التبر وهو النهر الوحيد الصالح للملاحة فكان للمدينة خصائص وكانت في مأمن من غزوات القراصنة.
- 3 - كانت وما منذ أقدم عصورها مركزاً هاماً من مراكز اللاتيين وكان إقليمهم لايتوم محاطاً بأقوام معادية من جميع الجهات.

¹ ينظر : ابراهيم أيوب التاريخ الروماني ' لبنان الشركة العالمية للكتاب ، ط1 ' 1996م، ص14

² ينظر : حسين الشيخ، الرومان، مصر، دار المعرفة الجامعية، ط2005م، ص21.

³ المرجع السابق ص22

⁴ المرجع نفسه ص22

⁵ مرجع نفسه ص23 .

4- وقوع روما على سبع تلال بمجموعتين يفصل بينهما ساحة متسعة وتقع التلال السبعة وسط سهل زراعي خصب، وهذه التلال أبعدت روما عن التعرض لفيضانات التبر وكان وقوع روما على هذه التلال أحد أسباب خيبة حصار أغال لروما عام 390 ق.م. تم غزو سوريا عام 190 ق.م واسبانيا 123 ق.م وامتدت الإمبراطورية من نهر دجلة والفرات إلى المحيط الأطلنطي بينما يوليوس قيصر عام 49 - 58 ق.م اتجه إلى الراين والقناة الإنجليزية¹

التركيبة البشرية

سكان إيطاليا القدماء (شعوب إيطاليا):

ينقسم سكان إيطاليا في القرن السادس قبل الميلاد إلى قسمين:

أ- الإيطاليون:

*اللاتين : Latin عاش اللاتين على الضفة الجنوبية لنهر التيبر في المناطق السهلية

*الكمبانيون : Campaniens في الكمبانيا الرومانية

*الأومبريون Ombriens والسابينيون : Sabinuns في جبال الأبين الوسطى

*السامنيون Samnties ، الايكوبين : Aequi في جبال الأبروز

*الغاليون : Les Gaulois في أقصى الشمال، وهكذا فالإيطاليون من أصول شتى.

ب- غير الإيطاليين:

-الليجور : في المنطقة الشمالية الغربية ما بين جبال الألب حتى نهر أرنوس

الأتروسكان :هاجر الأتروسكان من آسيا الصغرى الغربية استولوا على الساحل الغربي من

نابولي إلى جنوى منذ القرن الثامن قبل الميلاد

الإغريق (اليونان :)أنشأ الإغريق مستعمرات في جنوب إيطاليا وعلى الجنوب الشرقي لصقلية

وأخذ منهم الإيطاليين صناعة الفخار والبرونز.

فالإيطاليون قسمان :الإيطاليون الشرقيون يمثلون القسم الأكبر من الإيطاليين وهم سكان

الأقسام الجبلية والإيطاليون الغربيون وهم سكان الأراضي السهلية².

روما بين العهد الملكي والعهد الجمهوري

روما في العهد الملكي:

¹ ينظر : محمود ابراهيم السعدني ، حضارة الرومان ، مرجع سابق، ص55_57.

² ينظر : ابراهيم رزق الله أيوب ، التاريخ الروماني ، الشركة العالمية للكتاب ، لبنان ط 1، 1996 ، ص19-21.

تأسست في هذا العصر الملكية ودولة روما في 753 ق.م. ويعتبر العلماء روم ولوس مؤسس الملكية في روما وانحدر من سلالته سبعة ملوك آخرين، وفي هذا العصر توسعت روما وزاد نفوذها ودفعها هذا التوسع الى النمو والتطور والازدهار.

نظام الحكم لم يكن وراثيا بل كان موظفا منتخبا من قبل مجلس الشيوخ وله السلطة المطلقة التي كانت سببا في انهيار النظام الملكي بعد تدمير الطبقة الأرستقراطية و آخر الملوك تاركوينيوس سوبريوس الذي أطلق عليه لقب المتكبر وفوق ذلك كان أجنبي¹، وقد كانت الأسرة هي أساس بناء المجتمع الروماني في العهد الملكي يمارس رب الأسرة سلطة مطلقة من حقه ضربهم وقتلهم وحتى بيعهم عبيدا دون خوف من قانون أو محاسبة، أما الانتظام الأسري لا يكون الا في الطبقة العليا وحدها لأن هذه العشائر لم تكن تنظيمات سياسية وإنما اجتماعية... وقد انقسم المجتمع الروماني إلى طبقتين

اجتماعيتين : الطبقة العامة من متوسطي الحال وطبقة

البطارقة أو الأرستقراطية من كبار ملاك الأراضي و عشائرها أكثر تدريبا ويتفق العلماء على أن هذا العصر انتهى في نهاية عام 510 ق.م. بإعلان الجمهورية وبداية عصر جديد²:

-تأسيس مدينة روما 753 ق.م. وقيام دويلة روما.

-روم ولوس وتأسيس الملكية وحكم سبعة ملوك.

حكم في تلك الفترة حوالي سبع ملوك ثم تمكن روم ولوس من تأسيس دويلة روما بالقوة .

-توسع روما وزيادة حدودها وتطورها.

-الثورة ونهاية العصر الملكي وقيام الجمهورية.

روما في العهد الجمهوري³

ينقسم المجتمع إلى طبقة النبلاء والأشراف (أقلية) وطبقة عامة الشعب وهم الأغلبية، وكان

النبلاء والأشراف يتمتعون بجميع حقوقهم السياسية والمدنية والاجتماعية وانفرادهم بالمال

والأراضي، في حين كانت طبقة عامة الشعب محرومة من هذه الحقوق، وكان الحكم عند الرومان

في العصر الجمهورية يتكون من:

أ السلطة التشريعية-

ب السلطة التنفيذية- .

ولا يمكن أن نذكر العهد الجمهوري الروماني دون ذكر يوليوس قيصر.

¹ ينظر : المرجع نفسه، ص25.

² المرجع السابق ، ص26-27.

³ محمود ابراهيم السعدني ، حضارة الرومان مرجع سابق ص75..

يوليوس قيصر:

من طبقة النبلاء والأشراف ولكنه يميل إلى مناصرة عامة الشعب وتولى جميع مناصب الدولة بالتدرج حتى وصل إلى وظيفة قنصل أو رئيس الدولة وكان معادياً لمجلس الشيوخ والسناتو ومحبوياً من عامة الناس والجيش. عندما انتهت فترة حكمه كقنصل رفض مجلس الشيوخ التحديد له فعاد مع جيشه وسيطر بالقوة العسكرية على روما وأصبح سيد البلاد والحاكم الغير منافس في عام 59 ق.م، وقد أحبه الشعب لما قام به من إصلاحات وما حققه من انتصارات عسكرية في أوروبا وشمال إفريقيا. ومن أبرز إصلاحاته:

-قضى على سلطة مجلس الشيوخ وحوله الى هيئة استشارية.

-أصلح نظام الحكم في الولايات ونظام الضرائب واختار الأكفاء للمناصب.

-غير التقويم واعتمد التقويم الشمسي وسمى الشهر الذي ولد فيه وهو شهر يولييه باسمه، وجعل السنة تبدأ من شهر يناير.

-سمح للجمعيات الشعبية بالاستمرار في العمل ولكن بسلطة محدودة¹.

الأدب الروماني²

في البداية كان نصيب الرومان من الإنتاج الأدبي محدوداً.

ولكن كان لاتساع الإمبراطورية الرومانية عاملاً بالغ الأثر في نمو الأدب الروماني وازدهاره وكان لانتشار تعلم الإغريقية بين الرومان وتذوقهم لآدابها حافزين قويين على إقبال الرومان على القراءة والكتابة.

المسرح: استمد الأدب المسرحي والمسرحيات الكوميديّة من الأصول الإغريقية.

كما ظهرت البذور الأولى للمسرح الروماني من خلال الأشعار الشعبية المبتذلة التي كانت

تنشد في حفلات الزواج و أعياد الحصاد ومواكب النصر وسميت (الأشعار الفسقنية **Versus**

) (**enninifesc**) كما عرضت لأول مرة مشاهد من الرقص والموسيقى³.

عرف الرومان قبل أواخر القرن الرابع قبل الميلاد شيئاً من القصص المسرحي الساخر والذي

اشتهرت به مدينة أتلا **Atella** في قمبرانيا. فأطلق الرومان على هذا اللون اسم (مسرحيات أتلا)،

هذا النوع من المسرحيات كان لا يخلو من أربع شخصيات وهي:

¹ ينظر: ابراهيم رزق الله أيوب ، التاريخ الروماني ، مرجع سابق ، ص232.

² ينظر : فؤاد المرعي المدخل إلى اللاداب الأوروبية ، لبنان ، عالم الأدب للترجمة ، ط1، 2016.ص 75.

³ ينظر : ابراهيم أيوب التاريخ الروماني ، مرجع سابق،ص105.

- ماقوس (Maccus ،المضحك الشره الأكل)

- بابوس (Pappus الرجل العجوز المهرج) ،

- بوقو (Bucco صاحب السان الطويل)

- دسنوس (Dossanus الأحدب .)¹

الكوميديا والمأساة

تطور النوع الهزلي والمأساوي في روما تحت تأثير صور اليونان القديمة. لذلك ، منذ العصور القديمة ، لا تعتبر الكوميديا والمأساة من الأنواع المحلية للثقافة الرومانية. كان الرومان البدائيون من النوع الذي يسمى ساتورا. هذه الكلمة لها معنى الأطباق المملوءة بمختلف المنتجات.

ثم بدأت تشير إلى مزيج من آيات من اتجاهات مختلفة ، متحدة في صورة واحدة. لا يهم الحجم ، لذلك يمكن أن يكون حجم هذه القصائد كبيراً وصغيراً.

إيني هو أحد الشعراء الذين عملوا بهذا الأسلوب. نشر مجموعته ، التي تضمنت قصائد شبه الترفيه والقصائد المفيدة.

قدمت مساهمة كبيرة في تطوير ساتورا Lutsiliy غي. في عمله ، ترك نوع مماثل علامة كبيرة. في أقل من 72 عامًا ، كتب لوتزيلي حوالي 30 ساتورا ، تتعرض فيها شرور البشرية والمعاصرين: الرشوة. الجشع. الأخلاقية "المتعفة" ؛ الجشع. لأعماله ، وجد في Lutsilii شخصيات من الحياة الحقيقية. في ذلك الوقت ، ازدهرت العبودية والاقتصاد ، وأدى النجاح في قتال الإمبراطورية الرومانية إلى زيادة الثروة المتراكمة والمركزة في نفس الأيدي بين الدائرة الضيقة للنخبة. الأرستقراطيين ، سعيا وراء الذهب والمال ، مرت على ما يسمى الانحلال الأخلاقي.

وفقًا للمؤرخين ، أنجبت ساتورا اتجاهًا للأدب مثل الواقعية الرومانية. بعد وفاة الكاتب العظيم ،

Lutsilia ، تم تعريف satura على أنه عمل صغير الحجم ذو دلالة اتهامية²

الكتابة والنقوش: تعلم الرومان الكتابة من الاتروسكيين منذ القرن السادس قبل الميلاد

فدونوا القوانين والمعاهدات وحوليات كبار الكهنة والنقوش الجنائزية التي كانت توضع

تحت صور أو أقنعة الموتى ومن هذه النقوش، نقوش تابوتي لوقيوس قورنيوس

سقيبيو (بارباتوس) وابنه وهما اللذان تولى أولهما القنصلية عام 298 ق.م وثانيهما في

عام 259 ق.م وتابوتا هذين الرجلين أقدم ما عثر عليه حتى الآن من توابيت عليها

1 ينظر: كمال الدين عيد ،أعلام ومصطلحات المسرح الأوروبي ، مصر، دار الطباعة لدنيا الطباعة والنشر . ط1، 2006م ، ص44. و ابراهيم نصحي ،تاريخ الرومان ، ط2، 1978م ، 416-418.

² ينظر: كمال الدين عيد ،أعلام ومصطلحات المسرح الأوروبي مرجع سابق356_357.

نقوش رومانية¹.

الأغاني: ويمكن اعتبار الأغاني التي كانت تنشأ في مادب الأثرياء وقوائم الحكام البداية الشعرية الحماسية والتاريخ الروماني.

الفن عند الرومان²

ويرجع ما عثر عليه من صور بالألوان، إلى أوائل عهد الجمهورية وهو لا يعد كونه مناظر حربية تقليدية صورت على جدران مقبرة نحتت في صخور تل اسكويلينوس في خلال القرن الرابع قبل الميلاد . كما أن جدران معبد سالوس الذي أقيم في عام 302 ق.م زينت بمجموعة من الصور الملونة المنسوبة إلى أحد البطارقة المدعو (مايوس) فطغى عليه لقب بيكتور Pictor أي المصور . وهناك أيضا مجموعتان من الصور الملونة تعودان إلى عامي 272 و 263 ق.م تخليدا لذكرى انتصار الرومان على بوروبس و قرطاجة.

وكمثال لذلك نذكر فسيفساء شرشال بنوميديا حوالي عام 210 ق.م وتبلغ المساحة المصورة 4.9م ارتفاع و3م عرض وهي موجودة في متحف مدينة شرشال .وفسيفساء نبتون وامفيريتي وقد عثر على هذه القطعة في مدينة كودية عاطي (قسنطينة حاليا) وتعتبر القطعة الفسيفسائية من أكثر النماذج تأكيدا على سيطرة الأساطير والآلهة على الفن الروماني، وترجع القطعة إلى عام 325ق.م وهي محفوظة في متحف اللوفر بباريس1

ابتكر الرسّامون الرومان فن تصوير المناظر الطبيعيّة، وكانوا يرسمون لوحاتهم الفنية باستخدام الشمع أو باستخدام خليط من صفار البيض والأصباغ، والذي يُعرف بخليط التّمبير. وقد أبدع الرومان في رسم الجداريات الزيتيّة مختلفة الأحجام، وتُعتبر لوحات مدينة هيركولانيوم ولوحات مدينة بومبي من أهمّ الفنون الرومانيّة التي وصلت إلينا في مجال الرّسم . والملاحظ أن مستوى الفن الروماني في النصف الأول من عهد الجمهورية دون مستوى نماذجها الإغريقية والقرطاجية.

وفي الأخير يلاحظ كما سبق ان ذكرنا أن الرومان اجتهدوا أن يجعلوا كل النسب والبروزات والقطاعات.. الخ على أساس ثابت ويزر ذلك في الطرق المعمارية الخمسة:

*التوسكاني * Tuscan الايوني * Ionoc الدوري Doric

*الكورنثي * Corinthian المركب. Composite

العمارة الرومانية

¹ ينظر : ابراهيم أيوب التاريخ الروماني ،مرجع سابق،ص104_105.

²محمود ابراهيم السعدني ،حضارة الرومان مرجع سابق ،ص190.

اشتقت العمارة الرومانية عناصرها من الإغريق ومن الحضارات السابقة لها، ومع ذلك فقد طبعها الرومان بالطابع الروماني الذي لا يمكن أن يخطئه أحد.

□ المعابد:

في بداية عهد الجمهورية استكمل بناء المعبد الكبير (الجوبيتر و جونو و منيرفا) وهو المعبد الذي بدأ إنشاؤه أواخر عهد الملكية، وفي القرن الأول من عهد الجمهورية تم بناء أربعة معابد:

– الأول للإله مرقوريوس Marcurius في عام 459 ق.م

– الثاني معبد للثالوث المكون من (قرس وليبر و ليبرا) Ceres, Liber, Libera في عام 493 ق.م

– المعبد الثالث للإلهين التوأمين (كاستور Castor و بولوكس Pollux) في عام 484 ق.م

– المعبد الرابع للإله ابولو في عام 431 ق.م.

اعتمدوا في بنائهم على الإغريق فاتسمت معابدهم بالسمة الإغريقية على الرغم وجود اختلافات منها ارتفاع قاعدة المعابد الرومانية وافتقارها عادة إلى بهو أعمدة يحيط بالمعبد، بالغ الرومان في استعمال الأعمدة للغرض الإنشائي وفي بعض الأحيان للزخرفة فقط¹.

أما المنشآت الأخرى التي أقيمت في تلك الفترة من عصر الجمهورية الرومانية فتتمثل في: أولاً: بناء سور ضخيم من الحجارة يحيط بمدينة روما بعد غزوها من الغال في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد

ثانياً: إنشاء طريقيين عامين، طريق لاتيوم Via Latium الذي لا يعرف تاريخ إنشائه بالتحديد. والطريق الآخر هو طريق آيوس Via Appia الذي أنشأه قلاديوس في عام 312 ق.م ويصل بين روما و قايوا

ثالثاً: أعيد بناء المنصة Rostra في الفوروم².

أما في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد أخذ انتشار تماثيل لأبطال روما العسكريين في الفوروم مثل التمثالين الذين أقيما لقنصلي عام 338 ق.م لوقيوس قاميلوس L. Camillus و غايوس مايينوس G. Maenius بعد هزيمتهما للقوات اللاتينية. كما أقيم من البرونز لذئبة ترضع توأمين من البشر. 2

¹ ينظر : ابراهيم أيوب التاريخ الروماني ، مرجع سابق، ص 106_108.

² المرجع نفسه ، 108_110.

– الماخزة السابعة

– الماخزة الفارسية

➤ عناصر الماخزة

- ✓ نشأة الماخزة الفارسية
- ✓ مظاهر الماخزة الفارسية:
- ✓ النظم الاجتماعية والإدارة:
- ✓ التعليم في الماخزة الفارسية:

✓ العلوم :

✓ الفن والعمارة:

✓ بناء الطرق

الماخزة الفارسية

هي إحدى الماخزات العالمية الكبرى، كانت في شمال شرق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وتقع على الهضبة الإيرانية شرق بلاد الرافدين، يبتدئ التاريخ الحقيقي للإمبراطورية الإيرانية التي أسستها أسرة الأخمينيين بحد سيوفهم؛ في خلال الثلث الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد، والواقع أننا نجد أقواماً ومدنات أخرى في العالم قد استمرُّ وُ جودها في تلك الفترة، ولكن نجد بوجه عام في العالم المعمور وقتئذٍ أن دولة «إيران» كانت تحتل بين هذه المدنات المكانة الأولى دائماً. ويرجع الفضلُ دائماً إلى ملوك أسرة الأخمينيين في فكرة تكوين دولة إيران وتنشئتها، ولا نزاع في أن طول عمرها المديد واستقلالها الطويل

يعدان إرثًا خلفه هؤلاء الملوك لمن بعدهم من أكاسرة «فارس» بسبب ما اتبعوه من سياسة حكيمة تنطوي على التسامح والمهارة في فن الحكم¹.

ومما يلفت النظر هنا أن السياسة الحكيمة الداخلية التي أنتجها ملوك الأخمينيين لا تشبه — بحال — السياسة التي قام بها أباطرة الرومان الذين أجبروا الأقوام المغلوبين على أن يرتقوا إلى مستوى ثقافتهم، وأن ينضموا إلى اقتصادهم الجماعي؛ فقد كان الرومان يتطلبون السمو إلى هذا المستوى العالي في معظم الأحيان من أناس من أصول مختلفة جدا في الثقافة، بالإضافة إلى اختلاف تقاليدهم وإمكانياتهم، ولكن نجد أن الحال كانت تختلف تماما بالنسبة لما قام به كل من «سريوس» و«دارا» ملكي الفرس؛ وآية ذلك أنهم قد ضموا إلى إمبراطوريتهم، وهي الأولى من نوعها في تاريخ العالم من حيث عظم ضخامتها، عدا بعض أقاليم شاذة ذات حضارة منحلة المستوى؛ عدة عناصر من المدنيات القديمة، فكانت تحت سيادتها بلاد «مسوبوتاميا» (ما بين النهرين) و«سوريا» و«مصر» و«آسيا الصغرى»، هذا إلى مدن وجزر إغريقية وجزء من بلاد الهند⁶⁵.

وقد رأى ملوك فارس أن محاولة وضع هذه البلاد في مستوى حضارتهم يعني جعلهم يرجعون إلى الوراء؛ وذلك لأن ملوك أسرة الأخمينيين قد فطنوا أنهم يعدون أنفسهم أقواماً دخلاء جددًا في المجتمع العالمي القديم، ومن ثم لم يكن في مقدورهم أن يتجاهلوا أن ما كان للحضارات القديمة من نُفوذ وسلطان على حضارتهم يرجع إلى آلاف السنين² وقد اشتهرت هذه الحضارة بالإمبراطورية الفارسية، وكان سكانها في البداية غالبيتهم من الفرس، ثم تطورت هذه الحضارة فامتدت رقعتها دولتها الجغرافية، فضمت عددًا من الشعوب الأخرى، ثم انتهت بظهور الإسلام، وكانت هذه الحضارة تتميز بالقوة العسكرية، ومر بها العديد من الأحداث والحروب التاريخية الكبرى.

يبدأ تاريخ الحضارة الفارسية بحضارة عيلام، وهي واحدة من أولى الحضارات في المنطقة، وينتمي شعبها إلى الشعوب الهندو أوروبية، وتوجد آثارها في محافظة ايلام وإقليم خوزستان، واستمرت منذ 7000 سنة ق.م، وعندما استقر فيها الآريون، تأسست الحضارة الفارسية وازدهرت عام 550 ق.م بقيادة قورش الأكبر، كما اتسعت في عهد داريوس حتى امتدت إلى نهر السند في الشرق، وإلى نهر الدانوب غربًا، حتى استولى عليها الإسكندر المقدوني عام 330 ق.م، ثم تحررت من السلوقيين خلفاء الإسكندر حوالي عام 250 ق.م، وقد ساعد في قيام هذه الحضارة كثرة تنوع البيئة والتضاريس والمناخ، ووجودها في طريق الحرير، كما تأثرت بحضارات الساميين القديمة، وكذلك الصينية والهندية، وقد انتهى عصر الإمبراطورية الفارسية تمامًا بفتحها في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

¹ ينظر: موسوعة مصر القديمة، من العهد الفارسي إلى دخول الاسكندر الأكبر مصر، مصر، مؤسسة هنداوي، ط2017. ج13، ص

.475

² المرجع نفسه 476.

يرجع الفضل في حضارة الفرس إلى "آل ساسان" الذين حكموا فارس في القرن الثالث الميلادي، وككل القوى العظمى كان للفرس حضارة علمية لا يُستهان بها، وكان أبرز ما عُرفت به الحضارة الساسانية علم نظم الإدارة، والتنظيمات السياسية، التي بدأت منذ أقرّ "أردشير" (أول الحكام الساسانيين) عددًا من الأنظمة والقوانين في الدولة، منها وضع ديانة أساسية للبلاد، ووقع اختياره على الديانة الزرادشتية، التي كانت سائدة لدى الشعب، وأمر كبير وزرائه "تنسر" بجمع كافة النصوص المتعلقة بكتابتها المقدس المدعو "الفستا" أو (الأبستاق) في مجلدٍ واحد، وأجازته باللغة البهلوية، واعتبره الكتاب المقدس.

وفي عهد ولده وخليفته "سابور" أدخل رجال الدين إلى هذه النصوص الدينية نصوصًا طبية وفلكية وطبيعية، عدّوها نصوصًا تعليمية، وجبت إضافتها إلى ثقافة الزرادشتي الصالح لدينه ووطنه.¹

النظم الاجتماعية والإدارة:

بدأ "أردشير الأول" في إرساء أول نظام اجتماعي عرفته الحضارة القديمة، ارتكز على تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات رئيسية؛ تأتي في مقدمتها طبقة "رجال الدين"، ثم طبقة "رجال الجيش"، ثم طبقة "الكتّاب"، ثم طبقة "الفلاحين والعمال".

وتذكر المصادر أنه بعد وفاة "أردشير" تولى الحكم ابنه "شابور" الذي ورث دولة قوية، واهتم بتدعيم الدولة، وأعاد تنظيم الامبراطورية، وأقام سدّ "شستر"، وأنشأ العديد من المدن، كما اهتم بالعلوم فأمر بترجمة الكثير من الكتب الإغريقية في شتى العلوم، كالطب والفلك والفلسفة.²

التعليم في الحضارة الفارسية:

يذكر "ول ديورانت" في قصة الحضارة أن الفرس كان لديهم عاداتٌ خاصّة في تعليم أبنائهم، فيقول: "كان الوليد يبقى في أحضان أمه حتى السنة الخامسة من عمره ثم يحتضنه أبوه حتى السابعة، وفي هذه السنة يدخل المدرسة. وكان التعليم يُقصر في الغالب على أبناء الأغنياء، ويتولاه الكهنة عادةً؛ فكان التلاميذ يجتمعون في الهيكل أو في بيت الكاهن؛ وكان من المبادئ المقررة ألاّ تقوم مدرسة بالقرب من السوق حتى لا يكون ما يسودها من كذب وسباب وغش سببًا في إفساد الصغار. وكانت الكتب الدراسية هي "الأبستاق"³ وشروحها، وكانت مواد الدراسة تشمل الدين، والطب أو القانون، أمّا طريقة الدرس فكانت الحفظ عن ظهر قلب، وتكرار الفقرات الطويلة غيبًا.

أمّا أبناء الطبقات غير الموسرة فلم يكونوا يتلقون ذلك النوع من التعليم، بل كان تعليمهم مقصورًا على ثلاثة أشياء: ركوب الخيل، والرمي بالقوس، وقول الحق.

¹. عبد الحفيظ يعقوب: من ملامح الحضارة الإيرانية القديمة. ص 80

². حسن برنبا: تاريخ إيران القلم ص 230

³. ول ديورانت: قصة الحضارة ج 2 ص/443

وكان التعليم العالي عند أبناء الأثرياء يمتد إلى السنة العشرين أو الرابعة والعشرين، وكان من يُعَدُّ إعدادًا خاصًا لتولي المناصب العامة أو حكم الولايات؛ يُدرَّبون على القتال بلا استثناء.

وكانت حياة الطلاب في هذه المدارس العليا حياة شاقة؛ فكان التلاميذ يستيقظون مبكرين، ويدرَّبون على الجري مسافات طويلة، وعلى ركوب الخيل الجامحة وهي تركض بأقصى سرعتها، والسباحة، وصيد الحيوان، ومطاردة اللصوص، وفلاحة الأرض، وغرس الأشجار، والمشى مسافات طويلة في حر الشمس اللافتح أو البرد القارس؛ وكانوا يدربون على تحمُّل جميع تقلبات الجو القاسية، وأن يعيشوا على الطعام الخشن البسيط.

لقد كان هذا في الحق تعليمًا ينشرح له صدر فريدرك نشته في اللحظات التي يستطيع فيها نسيان ثقافة اليونان الأقدمين وما فيها من تنوع وبريق

العلوم :

العلوم الطبية

كان الفرس الساسانيون يثقون بعلوم الإغريق والرومان، خاصة في الطب، حيث تؤكد المصادر أن معظم أطباء الملوك كانوا إغريقًا أو رومانًا، ومع ذلك تتضمن "الأوتسا" وشروحها، وأشهرها "نسك هُبارم" معلومات طبية جيدة، تستهلها بحقيقة أن "أهورامزدا" ردَّ على "أهريمن" الذي خلق الأمراض لقهر الإنسان بأن أوجد لكل مرض نباتًا يشفى منه، كما يتضمن (النسك) تفاصيل عن صفات الطبيب الجيد، ومراحل تعليمه، وواجباته تجاه مرضاه ومجتمعهم، إضافة إلى أجوره التي تختلف حسب حالة المريض الاجتماعية ونوعية المرض، ونجد في "النسك" توجيهًا للمرضى الإيرانيين بضرورة اللجوء إلى الطبيب الوطني، قبل الاستعانة بالطبيب الأجنبي، وكذلك تفاصيل أخرى عن أنواع الأمراض وأشكال الأوبئة، وكذلك أمراض الحيوانات الأليفة وعلاجها.

ولعل أبرز ما في هذا النسك من معلومات طبية، هو تقديمه معلومات عن الطب النفسي، وتفريقه بين صحة الجسد وصحة الروح، وتأكيده على أهمية طيبب الروح، علمًا بأنه لا يستخدم أدوية بل يستخدم طرقًا معنوية للعلاج.

وقد أوردت كتب التراث العلمية الساسانية ثلاث طرق للعلاج، وهي: العلاج بالأعشاب وهي "كالأدوية"، والعلاج بالسكين وهي "الجراحة"، وثالثها الكلام المقدس، وهو "العلاج النفسي"، وكان يُضاف له حرقُ البخور لطرد الأرواح الخبيثة، ويبدو أن الأطباء النفسيين كانوا يقتربون بحسب علومهم من رجال الدين أكثر من رجال العلم، حيث كان هؤلاء يشبهون الإثم بالمرض،

ويوازن بينهما، ويعتقدون أن الرذائل كالجهل والغرور والخداع ما هي إلا أسباب لا مرئية لأمراض الزكام والإسهال والجفاف والحمى وغيرها.

ويبدو أن نجاح العلوم الطبية المعاصرة التي أثبتت وجودها في المجتمع الساساني دفعت في اتجاه إنشاء مدرسة لتخريج الأطباء، وقد سهّل تحقيق الهدف لجوء عدد كبير من الأطباء الرومان إليهم (أثناء اضطهادهم في رومانيا)، مما دفعهم لتأسيس أفضل مدارس الطب في "جنديسابور" آنذاك، وظلّت هذه المدرسة مزدهرة، وتُخرّج العديد من الأطباء حتى بدايات العصر الإسلامي¹.

العلوم الأخرى:

وهي تلك العلوم التي ازدهرت استمرارًا للعلوم التي عرفتها دول إيران الأقدم من الدولة الساسانية، ومعظم هذه العلوم كان منذ عهد كسرى الأول (531 . 579م) الذي كان - على الرغم من كونه زرادشتيًا - واسع الأفق، حرّ التفكير، ذا عقلية علمية متميزة؛ إذ كان يتقبل بحث الآراء المختلفة في مسائل الطبيعة العلوم المختلفة، ولم يتردّد في الاستعانة بأبناء الديانات الأخرى (كالنصارى) في الوظائف التعليمية أو العلمية ذات النفع العام، وكان مثقفًا يتقن اللغة السريانية، والسنسكريتية، وكان معجبًا بفلسفة أفلاطون وأرسطو، لدرجة أنه كلّف أحد المطارنة بترجمة كتب المنطق التي كتبها أرسطو، والتي تحدث فيها عن الآراء التاريخية بوصف الآلهة والعالم، ونظريات الخلف.. وغيرها

ويبدو تأثير ذلك الملك عظيمًا في إيران، وذلك لحرصه على نقل معارف الأمم المجاورة إلى بلاده، ففي عهده نقلت مجموعة الكتابات الهندية والبوذية إلى اللغة البهلوية والساسانية².

الفن والعمارة:

كان للفرس طراز فني خاص في العمارة؛ فقد شيّدوا في أيام قورش (550- 529 ق. م)، مقابر وقصورًا، كشف علماء الآثار القليل منها، وقد يستطيع المعول والمجرف - وهما المؤرّخان اللذان لا ينقطعان عن البحث والتنقيب - أن يكشفوا لنا في المستقبل القريب ما يُعطي من تقديرنا للفن الفارسي.

وإلى أقصى الجنوب عند نقش رستم غير بعيد من برسبوليس يقوم قبر "دارا" الأول منحوتًا في واجهة صخرة في الجبل كأنه ضريح هندوسي، وقد نُقشَ مدخله ليمثل لمن يراه واجهة قصر لا قبر، وأقيمت عند هذا المدخل أربعة عمُد دقيقة حول باب غير شامخ. ومن فوق هذا الباب شخصوص قائمة كأنها فوق سقف يمثل أهل البلاد الخاضعة للفرس تحمل منصة رُسم عليها الملك كأنه يعبد أهورا- مزدا، والقمر. والفكرة التي أوحى بهذا الرسم وطريقة تنفيذها تسري فيهما روح البساطة والرّقة الأرستقراطية.

أما أروع الآثار الفارسية القديمة التي تنفج عنها الأرض الكتوم يومًا بعد يوم فهي الدرج الحجرية والأرصفة والأعمدة التي كشفت في برسبوليس؛ ذلك أنّ دارا (521 ق. م) ومن جاء بعده من ملوك

¹. حسن برنيا: تاريخ إيران القلم 300 وما بعدها ص

2 من ملامح الحضارة الإيرانية، ص101

الفرس قد أقاموا لهم فيها قصورًا يحاولون بما أن يرجئوا الوقت الذي تُنسى فيه أسماؤهم. ولسنا نجد في تاريخ العمائر كلها ما يشبه الدرج الخارجية العظيمة التي كان القادم من السهل يرقاها إلى الربوة التي شيّدت عليها القصور.

وأكبر الظن أن الفرس أخذوا هذا الطراز عن الدرج التي كانت توصل إلى (الزجورات)، أي أبراج أرض الجزيرة، وتلتف حولها، ولكنها كان لها مع ذلك خصائص لا يشاركها فيها غيرها من المباني.¹ ذلك أنها كانت سهلة المرتقى واسعة يستطيع عشرة من رُكّاب الخيل أن يصعدوها جنبًا إلى جنب. وما من شك في أن هذه الدرج كانت مدخلًا بديعًا إلى الطور الفسيح الذي يعلو عن الأرض المجاورة له علوًا يتراوح بين عشرين وخمسين قدمًا، والذي يبلغ طوله ألفًا وخمسمائة قدم، وعرضه ألفًا، والذي شُيِّدت عليه القصور الملكية، وكان عند ملتقى الدرج الصاعدة من الجانبين مدخل أمامي كبير نُصِبَت على جانبيه تماثيل ثيران مجنحة ذات رؤوس بشرية كأشبع ما خلّفه الفن الآشوري. وكانت في الجهة اليمنى بعد هذا المدخل آية العمائر الفارسية على الإطلاق، ونعني بها (الجهل - منار)، أو الرّدهة العظمى التي شادها خشيارشاي الأول، والتي كانت هي وغرفات الانتظار المتصلة بها تشغل رقعة من الأرض تربو مساحتها على مائة ألف قدم مربع، فهي أوسع من معبد الكرنك الفسيح، ومن آية كنيسة أوربية عدا كنيسة ميلان.²

ولا يزال ثلاثة عشر عمودًا من الاثني والسبعين التي كانت قائمة في قصر خشيارشاي باقية إلى اليوم بين خربات القصر، كأنها جذوع نخل في واحة مقفرة موحشة، وتُعدُّ هذه الأعمدة المبتورة من الأعمال البشرية القريبة من الكمال، وهي أرفع من مثيلاتها في مصر القديمة أو اليونان، وتعلو في الجو علوًا لا تصل إليه معظم الأعمدة الأخرى، إذ يبلغ ارتفاعها أربعة وستين قدمًا، وقد خطت في جذوعها ستة وأربعون محزًا، وتشبه قواعدها أجراسًا تغطيها أوراق أشجارٍ مقلوبة الوضع، ومعظم تيجانها في صورة لفائف من الأزهار تكاد تشبه اللفائف "الأيونية"، يعلوها صدرا ثورين أو حصانين مقرنين يتصل عنقاهما من الخلف وترتكز عليهما عوارض السقف. وقام من خلف الجهل - منار، أي من شريقها "بجو العُمد المائة" ولم يبق من هذا البهو سوى عمود واحد والحدود الخارجة لتصميمه العام. ولعلّ هذين القصرين كانا أجمل ما شاده الإنسان في العالم القديم والحديث على السواء.

وأقام أرت خشتر الأول والثاني (379-382م) في مدينة السوس (في منطقة الأحواز) قصرين لم يبق منهما إلا أساسهما. ذلك أنهما شُيِّدا من الآجر المكسو بأجمل ما عُرف من القرميد ذي اللؤلؤ الزجاجي.

1 أ.ت.ألمست، الامبراطورية الفارسية عبر التاريخ. تر. مجموعة مؤلفين، لبنان. الدار العربية للمؤسسات. ط. 2012. ص 131. ++-

2. ول ديورانت: قصة الحضارة 449/2

ولم يكن التصوير والنحت في السوس وفي غيرها من العواصم فنين مستقلين، بل كانا تابعين لفن العمارة، كذلك كانت الكثرة الغالبة من التماثيل من صنع فنانين جيء بهم من آشور وبابل وبلاد اليونان.¹

بناء الطرق

أنشأ المهندسون طاعةً لأمر دارا الأول (521 - 486 ق. م) طرقاً عظيمة تربط حواضر الدولة بعضها ببعض، وكان طول أحد هذه الطرق (وهي الممتدة من السوس إلى سرديس) ألقاً وخمسائة ميل، وكان طولها يقدر تقديراً دقيقاً بالفراسخ (وكان الفراسخ 3.4 ميل)، ويقول هيروودوت: "إنه كان عند نهاية كل أربعة فراسخ محاط ملكية وتُزل فحمة، وكان الطريق كله يخترق أقاليم آمنة عامرة بالسكان"، وكان في كل محطة خيول بديلة متأهبة لمواصلة السير بالبريد، ولهذا فإن البريد الملكي كان يجتاز المسافة من السوس إلى سرديس بالسرعة التي يجتازها بها الآن رتل من السيارات الحديثة، أي في أقل قليلاً من أسبوع، مع أن المسافر العادي في تلك الأيام الغابرة كان يجتاز تلك المسافة في تسعين يوماً. وكانوا يعبرون الأنهار الكبيرة في قوارب، ولكن المهندسين كانوا يستطيعون متى شاءوا أن يقيموا على الفرات أو على الدردنيل نفسه قناطر متينة تمر عليها مئات الفيلة الوجلة وهي آمنة، وكان ثمة طرق تصل فارس بالهند مجتازة ممرات جبال أفغانستان، وقد جعلت هذه الطرق مدينة السوس مستودعاً وسطاً لثروة الشرق التي كانت حتى في ذلك العهد البعيد ثروة عظيمة لا يكاد يصدقها العقل. وقد أنشأت هذه الطرق في الأصل لأغراض حربية وحكومية، وذلك لتسيير سيطرة الحكومة المركزية وأعمالها الإدارية؛ ولكنها أفادت أيضاً في تنشيط التجارة وانتقال العادات والأفكار.²

¹. ول ديورانت: قصة الحضارة 2/449

² المرجع السابق. ج.2، ص.413.

المحاضرة الثامنة

المحاضرة المندية

محاضر المحاضرة

الموقع وأهميته:

نشأة الحضارة الهندية وتاريخها:

الحضارة الهندية قبل الميلاد

التاريخ الإسلامي والتأثير البريطاني في الهند

مظاهر وتراث الحضارة الهندية

الحياة الثقافية والعلمية في الحضارة الهندية

الهند اسم الهند مشتق من اسم نهر هندوس، وقد كان في الأصل يُطلق على بلاد السند وجزء من البنجاب وحسب. وفي وادي هندوس وضحت أمارات الحضارة الهندية باللغة القديمة، وحسبنا أن نذكر كتابات الملك داريوس (321 _ 485 ق.م) و سندهو باللغة السنسكريتية أما هندو بالفارسية فهو اسم لنهر، أما هندوستان فمعناها بلاد النهر.¹

فالهند زُبدة جميع العوالم، وخلاصة ناطقة لجميع أدوار التاريخ، وصورة صادقة للأطوار المترجحة بين الهمجية الأولى والحضارة الحديثة، ولا يتجلى الماضي للسائح كتجليه في بلاد الهند، ولا يحس السائح ما اعتور أجيال البشر من تطور وما بين هذه الأجيال من فروقٍ ومن روابطٍ بأحسن مما في الهند؛ فالسائح

¹: ينظر عبد الله حسين، المسألة الهندية، مصر، مؤسسة هنداوي، ط2012م، ص19.

يعلم هنالك، فقط، أن الحاضر منحدر من الماضي، وأنه يحمل في أثنائه بذور المستقبل¹.

الموقع وأهميته:

تقع الهند جنوب قارة آسيا، في الشمال تحدها جبال همالايا وهضبة التبت، ومن الشرق الهند الصينية وخليج البنغال (أكبر خلجان آسيا)، ومن الجنوب المحيط الهندي وجزيرة سيلان، ومن الغرب بحر العرب وإيران وأفغانستان. تتمتع الهند بموقع ممتاز نظراً لكونها تتوسط جنوب آسيا، الأمر الذي يسهل عليها الاتصال بغرب وشرق القارة، مثل ممر خير، كما تساعد المياه على الاتصال بالعالم الخارجي².

_نشأة الحضارة الهندية:

تدل الحفريات الأثرية التي أجريت في أكثر من منطقة واحدة في الهند على قدم وأصاله الحضارة الهندية التي تعود إلى العصور الحجرية، واتضحت معالمها بصورة جلية في الألف الثالث قبل الميلاد بوادي السند وروافده الخمسة، ولذلك يعرفها البعض بحضارة السند. ومن أسباب ظهور الحضارة الهندية على نهر السند هو وفرة المياه وملائمة المناخ والتربة الخصبة ووفرة اليد العاملة وتفتح للحضارات الأجنبية كحضارة وادي الرافدين والحضارة الهيلينية وغيرها.

الحضارة الهندية قبل الميلاد:

لقد عاشت الأمة السامية في ربوع الهند منذ أقدم عصور التاريخ، واستطاعت أن تتوجه لبناء حضارة جمعت العناصر الصالحة للمدنية الإنسانية، بينما كانت الأمم السامية الأخرى في نزاع أذى أخيراً إلى مذابح البابليين والآشوريين والكلدانيين في مواطنها المعروفة، فكانت الدماء تسيل جري الماء في أودية الرافدين وما حولها من البلدان العامرة، ولا شك أن هذه الحروب المستمرة قد قضت على كثير من معالم الجنس السامي، كما قضت على أرواح كثيرين من رسل الحضارة البشرية. وفي منأى عن هذا التطاحن كانت الأمة السامية الهندية تعيش في منعزل عن العالم السامي وتنتج حضارة إنسانية كاملة لا تقل قيمتها التاريخية عن حضارة المصريين الأقدمين. وكلما درسنا معالم حضارة الهنود القدماء ومعالم حضارة المصريين الأقدمين رأينا وجوه التشابه كثيرة، بيد أن الستائر الكثيفة التي أسدلها الآريون قد شوّهت كثيراً من وجوه ذلك التشابه بين الأمتين القديمتين³.

وقد كان لحضارته الهند التي نشأت قبل الميلاد تأثير كبير في تطوّر البلاد فيما بعد، بالإضافة إلى تأثيرها في طريقة معيشة سكان شرق آسيا عموماً، إضافة إلى أنّ أقدم القطع الأثرية التي تعود إلى العصر الحجري، تم العثور عليها في نيودلهي، حيث كانت عبارة عن أدوات حجرية، كما شهد العصر تطوُّراً

¹ غوستاف لوبون تاريخ حضارات الهند . تر: عادل زعيتر ، مصر، مؤسسة هنداوي ط2012م ص09.

² ينظر :محمد اسماعيل الندوي ، الهند حضاراتها ودياناتها، مصر ، دار الشغب ' ط1970م،ص11.

³ عبد الله حسين ، المسألة الهندية ، مرجع سابق ، ص21.

كبيراً في قطاع الزراعة، والصَّيد، والرعي، وقد ظهرت فيها أول حضارة هندية أُطلق عليها اسم (حضارة هارابا)¹، كما ظهرت في فترة ما قبل الميلاد ثقافتان من حضارة العصر الحجريّ: الأولى، نشأت في المنطقة الشماليّة، أي في وادي السند وباكستان، والثانية، نشأت في الجزء الجنوبيّ، وأُطلق عليها اسم (ثقافة مدراس).²

مظاهر الحضارة الهندية:

تتمثل مظاهر الحضارة الهندية في الحالة الاجتماعية والاقتصادية والدينية.

الحياة الاجتماعية:

كان على رأس المجتمع الملك وأسرته، ثم طبقة الدم والقبيلة (البرهمان) طبقة الكهان و(الكشتاتريان) النبلاء والعسكريون الذين لم يكن نفوذهم عظيماً في بادئ الأمر، ثم الجماهير العريضة – (فيسياس) وأخيراً (الكودرا) المنبوذون.³

الحياة الاقتصادية:

كانت الحياة الاقتصادية في الهند راقية، الأمر الذي يدلنا على مدى ازدهار المدينة عندهم، وكانت الزراعة تمثل العمود الفقري للاقتصاد الهندي قديماً، لذلك اعتنوا بها عناية فائقة، فشقوا القنوات والترع لري الأراضى، كما استخدموا الأسمدة والمحراث الذي تجره الحيوانات، ولذلك ازدهرت المنتجات الزراعية كالشعير والقمح، وبعض الخضّر، وقضب السكر، الأرز⁴ وبعض الزهور التي استخرجت منها العطور (الروائح) والبخور.⁵

أما الصناعة: فإنها كانت متقدمة نسبياً ومنها النسيج الزخارف الجواهر، صناعة ادوات العمل (مناجل، مناشير ..)، أسلحة (خناجر، سهام وقذائف) صناعة القرميد الفخار صناعة العجلات والآلات الزراعية... الخ

وكان لهذه الصناعات أثر كبير في تنشيط التجارة الداخلية والخارجية.⁶

أما التجارة:

¹ دياكوف كوفاليف، الحضارات القديمة تر: نسيم وكيل البيازجي، دمشق، منشورات علاء الدين، ط1، 2000، ج1، ص210

² المرجع نفسه، ص19

³ المرجع نفسه، ص212

⁴ ينظر: محمد اسماعيل الندوي، الهند حضاراتها ودياناتها، مرجع سابق، ص43.

⁵ المرجع نفسه، ص210 و219.

⁶ المرجع نفسه، ص210.

فإنها كانت رائجة ومریحة، وهي على نوعین: برية وتعتمد على القوافل والعربات ذات العجلات ، وبحرية وتعتمد على السفن العادية ، وكان لهذه التجارة القائمة بين الهند والهند الصينية، والصين، وفارس أثر كبير في تقارب فنون جنوب شرق آسيا عامة.

الديانة:

عبد الهنود بعض الحيوانات مثل: الأفاعي، القروء، الثيران... الخ كما عبدوا بعض المظاهر الطبيعية، مثل: الجو، ويسمى إله الجو (قارونا)، والأرض (بريثقي)، واله النار (أجيني)، واله الصواعق (اندار)، واله الشمس (فشنا).

على أن الحركة الفكرية التي قادها الفلاسفة الهنود في القرن السادس ق م أدت إلى ظهور وتبلور عدة ديانات أشهرها:

1- الجينية: jainism

لقد ظهرت الجينية كرد فعل عنيف ضد عقيدة التناسخ الكهنوتية التي ظهرت لإيجاد التفرقة العنصرية الطبقية كان مؤسسها فارادامانا وقد ثار هذا الزعيم الديني ضد الكهنوتية ويدعو مذهبه (الجينية) والمشتق من جينا ومعناه المنتصر على العواطف والرغبات.¹

2- البراهمانية:

تقوم العقيدة البراهمانية على ثلاثة أركان أو ثلوث ، الإله المقدس، الإله الأعلى البارهمان وهو الخالق المنتصف بالمعرفة والحكمة.

فشنا المتميز بالحب والمحافظة على الكون والعاطفة والتدبير.

شيفا، وهو المخرب المدمر.

البوذية:

أسس الديانة البوذية بوذا وقد عاش بين (560 و 480 ق.م) ولد ببيهار قرب الهملايا ابن أحد أمراء الهند، وقد ساعده مركزه الاجتماعي على أن يطلع على حياة الأغنياء، وقارن بينها وبين حياة الفقراء المحرومين، وفكر في إتباع حياة التقشف، ودفعه هذا إلى ترك أهله والبحث عن الحقيقة والحكمة. وأخذ يتنقل من قرية إلى أخرى، والتف حوله الأنصار يعلمهم أسس فلسفته القائمة على

¹ ينظر: محمد اسماعيل الندوي ، الهند حضاراتها ودياناتها، مرجع سابق، ص142_143..

ضبط النفس والقول بمبدأ العقاب. وحارب عقيدة تناسخ الأرواح التي هي أم الخبائث وأس المشكلات وسبب الآلام.¹

-الحياة الثقافية والعلمية في الحضارة الهندية:

1-الكتابة:

استخدم الهنود نوعاً من الكتابة² الصورية برموز غامضة فكانت صعبة التداول، كما اخترع الآريون الكتابات المقدسة باسم الفيديا(اللغة السنسكريتية)، ثم سرعان ما دخلت الحروف السامية إلى الهند بواسطة التجارة والتي ساهمت في تطور الحضارة الهندية وازدهارها.³

2-الرياضيات:

مما لا شك فيه أن الهنود كان لهم باع كبير وإسهام عظيم في تطوير الرياضيات :حيث تعرفوا على القوانين الجذرية لعلم المثلثات و المربعات والمكعبة وعرفوا قمة العدد وتعرفوا على حساب المثلثات⁴، كما استخدم الهنود الأعداد العشرية وكتابة المعادلات المختلفة وكذا كتابة الأرقام والأعداد، كما صاغ الهنود قواعد التبديل والتوفيق، كما حلوا الكثير من المعادلات من الدرجة الثانية، ولعل السمة المميزة لهم أنهم صاغوا أفكارهم في قالب شعري موزون.

3-الطب:

اهتم الهنود بعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، كما استخدموا جس النبض والسمع بالأذن في التداوي، وبجثوا كذلك في علم إطالة الأعمار، كما اشتهر الهنود بالجراحة ومارسوا عمليات التجميل، واستخدموا العديد من الأدوات الطبية والأدوية النباتية في العلاج، إلا أن الطب الهندي عموماً كان ممزوجاً بالخرافات والأساطير والتعاويذ السحرية في العلاج.⁵

4-الفلك:

¹ ف.دياكوف: الحضارات القديمة، تر: نسيم اليازجي، منشورات دار علاء الدين، سوريا، ط2000، ج1ص145_148..

² المرجع السابق.221.

³ عبد الله حسين ، المسألة الهندية ، مرجع سابق ، ص51.

⁴ المرجع نفسه ، ص221.

⁵ ينظر :محمد اسماعيل الندوي ، الهند حضاراتها ودياناتها، مرجع سابق،ص258.

عرف الهنود مختلف الوسائل الفلكية التي تعود إلى 425 ق م، كما عرفوا الكسوف والخسوف ودرسوا الاعتدالين كما تعرفوا على كروية الأرض ودورتها اليومية حول محورها، كما تعرفوا على مسار الشمس والاستدلال على مواقعها انطلاقاً من موقع القمر، ويذهب الكثير من المؤرخين إلى اعتبار أن علماء الفلك الهنود قد تمكنوا من اكتشاف دوران الأرض حول محورها والذي ينتج عنه تعاقب الليل والنهار. لقد أثرت الحضارة الهندية أيما تأثير في الحضارات التي تلتها بما فيها الحضارة العربية ثم الغربية بعدها مما جعل العديد من المؤرخين يعتبرون أن أوروبا الوسيطة وكذا الحديثة مدينة في علومها للعرب بطريق مباشر وللهنود عن طريق العرب¹

الأدب الهندوسي واللغة السنسكريتية

الفيدا هو الكتاب الذي جمع الأساطير والأغاني والصلوات والترانيم والأشعار التي راجت خلال الغارات والغزوات القديمة. والفيدا على هذا هي الكتاب المقدس عند الهندوس و الذين يعتقدون أنه وحي من الله موجه إلى قادة الماضي وأنبيائه وعنهم تلقاه البراهمة أي طبقة الكهنة أو القسس.، كما أنه كتاب تاريخ وعقيدة وحكمة، يعدُّ أقدم الأدب الآري، فهو يتألف من كتب الفيديا الأربعة باللغة الفيديا، إلا أنها أقدم أشكال اللغة السنسكريتية، فإنها لغة المنشدين من الكهنة؛ أي لغة الخاصة، هذا والفيديا معناها القصة المقدسة وكان الهندوس يحفظون كتب الفيديا عن ظهر قلب حتى بعد أن عرفوا الكتابة وإلى نحو نهاية عصر الفيديا كانوا يتناقلون الكتب مشافهة في دقة لا خطأ فيها².

أما اللغة السنسكريتية، ومعناها الحربي (الموضوعة معاً) فهي ما تطورت إليه اللغة الفيديا، وكانت لغة البراهمة وأرستقراطي الآريين أو لغة أرض الآريين. أما العامة فكانوا يتكلمون بالباركيتية كما كانت اللغتان الفرنسية النورماندية والساكسونية منتشرتين في إنجلترا بعد الفتح. هذا وقد لبثت اللغة السنسكريتية لا تتغير أكثر من ألفي سنة، غير أن لغة الكلام في الهند قد تفرعت من السنسكريتية إلى ٢٢٢ لغة أو لهجة، ترجع إلى خمس لغات أصلية:

1 (أقدمها الأوسترية: يتكلمها جماعة الموندا في كوتا ناجيور والمراكز الشمالية في مدراس ولغة القبائل البدائية مثل الجوند، وهي أكثر لغات العالم انتشاراً؛ إذ يتكلمها أناس من لغة إيستار في جنوب أمريكا إلى مدغشقر ومن نيوزيلند إلى البنجاب

¹ المرجع السابق 259.

² عبد الله حسين، المسألة الهندية، مرجع سابق، ص 38_37.

- 2الدارفينية :يتكلمها الهنود الذين ليسوا من أصل آري، ومنها التاميلية والتيلوجية وخمس لغات أخرى تنقسم إليها ويتكلمها ٨٦ مليوناً في الهند الوسطى والجنوبية.
- 3 الهندوآرية :وتنقسم إلى الهندية وهي لغة ثلث سكان الهند، والبنغالية والمراثية والجوجيراثية والبنجابية.
- 4 السامية :التي أدخلها في الهند فاتحوها المسلمون .
- 5 التيتوصينية.¹

_كتب الهندوس المقدسة:

الفيدا وتشتمل الفيذا الجديدة والقديمة على:

- 1 (الريجفيدا : ١٠٢٨ نشيداً .
- 2 (الساما فيدا :وهي مجموعة أغانٍ من الريجفيدا
- 3 (الياجورفيدا) :وتشتمل على صلوات قربانية شعراً ونثراً..
- 4 (الأثارفافيدا :التي تصف عقائد الجمهور في الأرواح الشريرة والسحر والرؤية . منذ ثلاثة آلاف سنة .وهذا الكتاب قد لبث وقتاً لا يُعترف به ككتاب سماوي مقدس، بل لا يزال براهمة الهند الجنوبية لا يعترفون به.²

الفنون والعمران : إن عالم الآثار الذي يطوف في الهند، وهو يعرف أن ماضيها حافل بالحضارات الكثيرة القوية، لُيْهت مما يراه ومما لا يراه فيها، فلا تجد في الهند حجراً أثرياً من بقايا أقدم حضاراتها، وإن شئت فقل من حضارتها التي ظهرت قبل الميلاد بخمسة عشر قرناً فأشادت بذكرها كتب الأدب، ولا تجد من الحضارة التي قامت بعد تلك بنضج دام ألف سنة سوى بقايا لا تكفي لإيضاح تاريخها وإن كفت لإثبات عظمتها، والمباني، حين حضارات الهند بدت في الهند بغتة قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون، مثلت بدرجة من الكمال لم تُجاوَز قط مع تعاقب القرون.

ولا يكتشف الباحث في أية ناحية من الهند الأدوار الأولى التمهيدية التي تدل عليها بقايا الحضارات الأخرى على الدوام تقريباً. وتاريخ ماضي الهند وحده يمكنه أن يُلقي بعض النور على الشذوذ الظاهر الذي تسفر عنه دراسة أطلالها. لم تبدأ الهند، على ما يُحتمل، تعرف المباني الحجرية التي وصل إلينا بعضها إلا في عهد أشوكا أي في القرن الثالث قبل الميلاد، ومن المحتمل أن صنعها بناءً وها منقولة عن المباني الخشبية القديمة، فعلى هذا الرأي كثير من العلماء، وقد وجدت ما يؤيده فيما شاهدته بنيبال من اقتباس بنائها، بضبط، في المعابد الحجرية أعمدة المعابد الخشبية المنقوشة.³

¹ المرجع السابق ص 38

² المرجع نفسه ص 38

³ غوستاف لوبون تاريخ حضارات الهند . مرجع سابق ص 381.

تقسيم مباني الهند العام

1- (فن عمارة الهند البُدْهيُّ) بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الثامن بعد الميلاد أمثلة .: أعمدة تَكَارية، معابد وأديار منحوتة في الصخر

مباني الهند الأولى

أعمدة لله آباد ودهلي التذكارية، مباني بهاجا وكارلي وأجنتا، إلخ.

مبانٍ بُدْهيّة أنشئت فوق الأرض. أمثلة: مباني بھارت وسانجي وسارناتھهـ وَبُدْهَة غيا، إلخ.

مبانٍ يونانية هندوسية في شمال الهند الغربي. أمثلة: مباني ببشاور وكشمير، إلخ.

2- (فن بناء البراهمية الجديدة في شمال الهند ووسطها) بين القرن الخامس والقرن الثامن عشر من الميلاد

فن العمارة في شمال الهند الشرقي. بهو ونيشور، « أمثلة: مباني ساحل أوريسهـ . «حكن ناتھه، إلخ

فن العمارة في راجبوتانا وبنديل كهند. أمثلة: مباني كهجورا وغواليار وجتورـ . وجبل أبو وأوديور وناغدها، إلخ.

فن العمارة في كجرات. أمثلة: مباني أحمد آباد، إلخ .

فن عمارة الهند الوسطى. أمثلة: مباني إيفنتا وإيلورا وأمبرناتھه، إلخ .

3- (فن عمارة الهند الجنوبية) بين القرن السادس والقرن الثامن عشر من الميلاد

معابد جنوب الهند المصنوعة تحت الأرض. أمثلة: مباني مهابلي بور وبادامي، إلخ.

فن عمارة المعابد في جنوب الهند. أمثلة: مباني شلمبرم وتانجور وتريبتيـ

وكانجي ورم وبيجانغر ومدورا وسري رنكهم، إلخ.

4- (فن العمارة الهندوسي الإسلامي بين القرن الثاني عشر والقرن الثامن عشر من

الميلاد) ، فن العمارة الإسلامي قبل العصر المغولي. أمثلة: مباني دهلي القديمة ومبانيـ أجمير وبيجابور وغول كوندا، إلخ.

فن العمارة في العصر المغولي. أمثلة: مباني أغرا ودهلي وفتح بور ولاهور، إلخ .

فن العمارة التي توحى بالمؤثرات الإسلامية في مختلف بقاع الهند التي يختصـ

الهندوس بأكثر مبانيها. أمثلة: المباني الإسلامية في غواليار ومهوبا ومدورا،

إلخ.

5_ (فن العمارة الهندوسي التبتى بين القرن الثاني من الميلاد والزمن الحاضر

أمثلة: مباني شم مجوناتهم وئدهمة ناتهه وبجات غاؤن وبتن وكهات ماندو، إلخ.

6_ (فن العمارة الهندوسي الحديث). أمثلة: مباني بنارس وأمرتسر، إلخ¹.

¹ المرجع السابق، ص388_389.

● المماضرة التاسعة

- المماضرة الصينية

➤ عناصر المماضرة

✓ الموقع وأهميته.

✓ نشأة وتاريخ الحضارة الصينية.

✓ مظاهر الحضارة الصينية.

✓ التراث الأدبي والعلمي.

الموقع وأهميته:

تقع الصين في الطرف الشرقي لآسيا، أكبر القارات، وعلى الحافة الغربية للمحيط الهادي (أضخم المحيطات على الإطلاق)، كما تحدها من الجنوب أطول سلسلة جبلية في العالم، حيث توجد قمة إفريست، ومن الشمال تحدها صحراء (غوبي).¹

كانت هذه المنطقة التي ظهرت فيها حضارة الصين ذات بيئة قاسية، كثيرة المستنقعات والاحراش والفيضانات، ويسودها مناخ متطرف.

ولكن إذا نظرنا على موقعها بالنسبة للشرق الأقصى فنجدها تحتل موقعا متوسطا على ساحل آسيا الشرقي الذي يكفل لها الاتصال بجزر المحيط ومن ثم بالعالم الخارجي.

تحتم طبيعة الصين الجغرافية على السكان الانعزال، ونظرا لقساوة البيئة وصعوبة المواصلات البرية تأخر الممالك. وأول أسرة حاكمة ظهرت في التاريخ الصيني أسرة شانغ، وذلك في مدينة أنيانغ، ثم تلتها أسر عديدة، أشهرها أسرة شو التي دام حكمها من سنة 1112 إلى 255 ق.م، وفي عهدها ظهرت تعاليم

¹ ينظر: العز و عبد العزيز حمد ، نبذة عن الصين ، مصر ، مؤسسة هنداوي ، ط2012م ، ص 09.

كونفشيوس التي كان لها تأثير على المجتمع الصيني، لاسيما الصين الشمالية وحاول سكان المنطقة نشر تعاليم كونفشيوس في منغوليا، الأمر الذي أدى إلى احتكاكهم بالمغوليين وقيام حرب بين الطرفين أدت إلى دخول قبيلة تسين للصين، حيث تمكنت من تأسيس إمبراطورية عظيمة عرفت بالإمبراطورية الصينية نسبة إلى قبيلة تسين. وقد دام حكمها من سنة 255 ق.م إلى سنة 206 ق.م، وإلى هذه الأسرة يعزى تشييد (سور الصين العظيم) وذلك لحماية الإمبراطورية من هجمات القبائل المحيطة بها، ومع ذلك فإن أتباع كونفشيوس تمكنوا من التغلب على التسينيين وأسسوا إمبراطورية حكمت من سنة 206 ق.م إلى سنة 221 م، ولم تكتف بما ورثته بل توسعت غربا بحجة المحافظة على الطرق التجارية الرابطة بين الصين والعالم الهندي من جهة والساسانيين من جهة ثانية، ونظرا لقيام العلاقات التجارية بين الهند والصين من ناحية واضطهاد البوذيين من قبل الكهان في الهند من ناحية أخرى، فقد انشرت البوذية بالصين، وبنفس الطريقة أي بواسطة التجارة نشر المسلمون الديانة الإسلامية في الصين حيث اعتنقها بعض السكان.

نشأت الحضارة الصينية في العصر الحجري الحديث، وبلغت طور النضج على ضفاف النهر الأصفر الجنوبي في منتصف الألف الثاني ق.م، ومن العوامل التي ساعدت تطور الحضارة الصينية ملائمة المناخ، ووفرة المياه، والتربة الخصبة، وكثرة اليد العاملة، وتأثر الصين بالحضارة الهندية، ومع ذلك فقد اضطبغت الحضارة الصينية بصبغة محلية ذات طابع خاص يختلف عن الحضارات القديمة الأخرى، وذلك لتمسك الصينيين بعاداتهم وتقاليدهم.

مظاهر الحضارة الصينية:

نظام الحكومة :

لم يهتم الصينيون منذ القديم بشيء اهتمامهم بنظام حكومتهم، ولذلك فلست تجد في جميع كتب حكمائهم وفلاسفتهم إلا ما يدل على أن نظام الحكومة كان شاغلهم الوحيد في جميع أدوار التاريخ. قال أحد فلاسفتهم (مثل حكم المملكة كمثل شي السمكة 😊) أما النظام الذي سارت عليه الحكومة الصينية فهو في مبدأ الأمر الحكم الاستبدادي، شأن كل أمة تبتدئ في السير على شكل حكومة منتظمة ذات قوانين نافذة، وبعد ذلك صارت الحكومة إلى ما يقرب من شكل الحكومات الدستورية، بمعنى أن الإمبراطور بقي ذا سلطة مطلقة، ولكن المتعلمين أصبحوا ذوي نفوذ وتداخل يؤثران عليه في أعماله. وكان من حقوق الإمبراطور أن يُعتبر كالأب الوحيد للأمة، فله أن يفعل ما يشاء، ولكنه في مقابل ذلك مسئول عن كل ما يلزم بالأمة من الأضرار. أما تولي الحكم فلم يكن وراثيًا في العائلات، إلا أن الإمبراطور كان دائمًا يختار ولي عهده قبل موته، إما من أفراد عائلته الذكور، وإما من المعروفين بالفضائل في الأمة، ومتى تولى الملك وجب عليه أن يصدر

القوانين اللازمة لسير الحكومة، ولم يكن يصدرها إلا بعد وضعها ومناقشتها بين أيدي لجان خصوصية تشبه ما يسمى اليوم بمجلس شورى القوانين والنظار، وكانت هذه القوانين نافذة على الجميع ما عدا الملك وأفراد عائلته وبعضاً من كبار الأمة الذين كانوا يخضعون لقوانين خاصة لا محل لذكرها هنا. على هذا النظام، وبهذا الترتيب سار الملوك الأول، وسنوا القوانين، إلى أن جاءت دولة (هيا) ثم دولة (شانغ) فامتازت الأولى بعلو نفس ملوكها واتباعهم للقوانين في مقدمة الرعية، ونشرت الثانية المعارف، وأسست المدارس للفلسفة في جميع أنحاء البلاد، وعرفت أيضاً بحفظ السلام وتنشيط الزراعة، وبعد هاتين الدولتين أخذ محور الحكومة يتقلب ويتغير إلى أن جاءت دولة تسين ففرضت العمل بالقوانين مرة واحدة ولكن دولة الهان التي عقيبتها رجعت إلى احترام الدستور. هذا هو النظام القديم للحكومة الصينية¹. أما نظامها الجديد فهو وإن كان يقرب من الأول إلا أنه يختلف عنه بعض اختلافات جوهرية تجعله أقرب إلى النظام الدستوري منه إلى نظام السلطة المطلقة؛ ذلك لأن الإمبراطور الذي لم يزل يسمى بابن السماء، ولم يزل صاحب السلطة المطلقة قد أصبح مقيداً ببعض التقييد، أولاً بمجلس المملكة، وهو مجلس أنشئ في عام ١٧٣٠ م ويتكوّن من ستين مستشاراً، وثانياً بالسكرتارية العظمى، وهي ديوان مؤلف من أربعة أعضاء، نصفهم صينيون والنصف الثاني مندشوريون، وثالثاً بالنظارات الست التي هي الداخلية والمالية والحربية والحقانية والأشغال والتشريفات، يتأس كل واحدة منها ناظران أحدهما صيني والآخر مندشوري.²

المجتمع:

تمتاز الأسرة الصينية بتمسكها الشديد بالدين والتقاليد القديمة، ويعد الأب صاحب السلطة والكلمة النافذة في العائلة، أما في القبيلة فإن مكانة الفرد تقاس بمركزه الاجتماعي أو العسكري أو الديني، وهذا يعني بأن الطابع العام للمجتمع الصيني هو النظام الهرمي، فالملك يتأس المملكة يساعده مجلس أغلب أعضائه من المحاربين والكهان، ويولي هؤلاء طبقة أرباب الأراضي الإقطاعية الواسعة، ثم التجار والصناع، وأخيراً العامة الذين يمثلون قاعدة الهرم الاجتماعي.³

الديانة:

عبد الصينيون عدة مظاهر طبيعية وبعض الحيوانات كالتماسيح التي تملأ أنهار الصين، وكنتيحة لقيام الحركة الفكرية والفلسفية في أواخر القرن السابع بدأت بعض الديانات تجذب إليها أتباعاً، ومن أشهرها:

¹ ينظر: أبو العز و عبد العزيز حمد ، نبذة عن الصين ، مرجع سابق ، ص 29_30.

² ينظر :المرجع نفسه ص 30.

³ ينظر: ول وايريت ديورانت: قصة الحضارة .الشرق الأقصى الصين ، تر : محمد بدران ، د،ت ، ط ، مج 1 ج4ص166-168.

أ_ الكونفوشيوسية:

نسبة إلى كونفوشيوس (551- 406 ق.م) أحد أعلام الحكمة والفلسفة المشهورين الذين - أنجبهم الصين، وتدعو تعاليمه إلى تحقيق السعادة في كافة أنحاء الإمبراطورية الصينية، ولتحقيق هذه السعادة بنى فلسفته على تهذيب الأخلاق من الفرد، فالأسرة، فسكان الولايات، ومن ثم سكان الإمبراطورية قاطبة. والكونفوشية مذهب يتسم بنزعة اجتماعية دنيوية ومع الوقت صار ديانة مبنية على عبادة آرباب الطبيعة وعبادة الأسلاف¹

ب- الطاوية:

وهو اسم مشتق من سعي أصحابها للبحث عن (TAO طاو) أي الطريق الحقيقية وتدعو فلسفته الدينية إلى - البساطة التي كانت في العهود القديمة ونبذ كل ما هو جديد ومعقد. فالطاوية برغم كونها نهجا دينيا و شعريا كانت ايضا نهجا علميا وديمقراطيا وثوريا سياسيا².

ج_ البوذية:

وهي ديانة ظهرت في الهند أولا، ومنها انتقلت إلى الصين على يد بعض البوذيين الذين هاجروا على إثر اضطهاد البراهمانيين لهم، ومما ساعد على انتشار البوذية هو ذلك الشبه الموجود بينها وبين الطاوية، وقد أثرت البوذية تأثيرا كبيرا على الصينيين ورغم انقسام البوذية طوائف غير أنهم يتفقون على مبادئ (كارما KARMA) الأربعة التي وضعها بوذا :

- المعاناة موجودة .
- سبب المعاناة الشهوة أو الرغبة .
- قهر المعاناة ممكن.
- رياضة النفس والكف عن الرغبة يذهب المعاناة.³

الصنائع :

اشتهر الصينيون بكثير من الصنائع المتقنة، كما اشتهروا بالاختراعات والعلوم والآثار،

¹ جوزيف نيدهام ، موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين ، تر: محمد غريب جودة ، مصر الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط1995م ص135.و147.

² المرجع نفسه، ص148_150.

³ المرجع نفسه، ص 418-422.

من جملة ما مهر الصينيون في صناعة الحرير الملون بالألوان الجميلة الثابتة، وتاريخه يبتدئ من امرأة الإمبراطور هوانغ تي مؤسس الدولة الأولى، التي علمتهم تربية دود القز، ثم الأصباغ المتقنة، خاصة مع توفر أشجار كثيرة لا توجد عند غيرهم، ومنها يستخرجون أغلب الألوان العزيزة المثال، ثم الخزف الصيني، الذي لم تستطع أوروبا إلى الآن أن تساويهم فيه ثم التصوير وقد قال عنهم فيه ابن بطوطة إنهم أتقنوه غاية الإتقان حتى لقد صوروه هو وبعضاً من أصحابه حين مروره بالعاصمة بأسرع ما يكون. ومما ساعد الصينيين على إتقان الصنائع أن كثيراً من حكامهم شجعوا الصناع، ووضعوا لهم القوانين الصارمة فمن ذلك ما حكاه أحمد بن شهاب الدين العمري أنه عرف في الصين قانوناً يفرض على كل من صنع شيئاً يستجلب الأنظار أن يضعه على باب قصر الإمبراطور سنة كاملة، فإذا استطاع أحد أن ينتقده وكان محقاً، غضب الإمبراطور على صانعه. وأما إذا لم يستطع أحد ذلك أو كان المنتقد لم يفعل إلا الحزارة في النفس، نال الصانع كل نعمة، وقُتِل المنتقد¹.

العلوم والعمارة:

استعمل الصينيون الكتابة بالصور، وهي عبارة عن رسوم اصطلاحية للدلالة على الأشياء، وهي أصعب الخطوط القديمة على الإطلاق (ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا) يمتاز التاريخ الصيني القديم بكثرة السجلات التي خلفها المؤرخون وهي محشوة بالأساطير كأسطورة (الخليفة)، ومضمونها: أن خلق الكون تم في مدة طويلة دامت 18 ألف سنة، وإذا كانت كتبهم التاريخية لا تعدوا عن كونها أساطير فكذلك الحال بالنسبة للأدب، على أن هذا لا ينطبق على بقية علومهم كالمهندسة والكيمياء... الخ إذ تتميز هندستهم المعمارية بالطابع الصيني، وأشهر آثارهم المعمارية على الإطلاق السور الصيني الذي شيده أسرة تسين في القرن الثالث ق.م وقد اشتغل في تشييد هذا السور عشرة آلاف من العمال لمدة عشر سنين، ويعد بحق من أعظم ما خلفه القدماء، وفيه يقول الصينيون (لقد أهلك السور جيلاً من البشر وأنقذ أجيالاً عديدة)، وإلى جانب سور الصين العظيم نجد المعابد الدينية وهيكلها، وتعد هذه المعابد مراكز للاحتفالات الدينية².

التراث الأدبي والعلمي.

كان للحضارة الصينية منجزات عظيمة في مجال العلوم والصناعة والطب والفلك والمعمار؛ ففي مجال العلوم كتب الصينيون عن الخسوف وعن مجموعات من النجوم كما أوردوا ملاحظات على الضوء، وعلى المرايا بأنواعها: المقعرة والمحدبة والمستوية، كما أدركوا النسبة الصحيحة في النحاس والقصدير.

¹ ينظر: العز و عبد العزيز حمد ، نبذة عن الصين ، مرجع سابق، ص 35_36.

² ينظر: بول وايريت ديورانت: قصة الحضارة. الشرق الأقصى الصين، تر: محمد بدران، د، ت، ط، مج 1 ج 4 ص 169_188..

وتذكر كتب التاريخ فضل أسرة (سونج 960-1279م) في النهضة العلمية بالصين القديمة؛ حيث حَفَلت فترة سونج بالعديد من الاختراعات، ونشأت في عام 1100م مصانع الحديد والصلب العملاقة والتي أنتجت حوالي 150 ألف طن من الحديد والصلب. وأنتج الصينيون عام 1078م من الصلب ما يعادل ما أنتجته إنجلترا في بداية الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر. وكانت الدولة تكافئ المخترعين على اختراعاتهم. ومن أهم الاختراعات التي قام بها الصينيون: **الطباعة واختراع الورق: صنع** الصينيون (105م) الورق من قشر الشجر والقنب والخرق، وقد كانوا قبله يكتبون على الخيزران والحزير. وقد حوت المتاحف وقيمتها مجموعات موحية من النقوش الفنية على البرونز وأحجار اليشب¹، ومن الصور الزيتية والمخطوطات؛ وأنشئت في البلاد دور الكتب التي بقي بعضها بعد أن زالت آثار الحروب، وكانت كلتا العاصمتين الشمالية والجنوبية من أهم مراكز العلم في آسيا. وقد دخلت الطباعة في أيام أسرة سونج فأحدثت في حياة الصين الأدبية ثورة كاملة وإن لم يدرك الناس - حينها - مداها، وكان هذا الفن قد نما شيئاً فشيئاً خلال القرون الطوال حتى بلغ أوجَه في أيام تلك الأسرة، فأتم مرحلتيه الكبيرتين؛ إذ صُنعت الألواح المحفورة لتُطبع عليها صفحات كاملة، وصُنعت الحروف المفككة المفردة من المعادن المجموعة في القوالب، وكان هذا الاختراع الصيني الخالص أعظم اختراع في تاريخ الجنس البشري بعد الكتابة.² وكانت الخطوة الأولى في هذا الاختراع العظيم هي كشف مادة تكون الكتابة عليها أسهل منها على الحزير أو الغاب اللذين قنع بهما الصينيون؛ ذلك أن الحزير غالي الثمن والغاب ثقيل، وكانوا يحتاجون إلى ثلاث عربات نقل تحمل عليها الكتب المدونة على شرائح الغاب التي كانت أثمن ما يملكون من متاع الدنيا آنذاك. وكان اختراع الحزير أيضاً في بلاد الشرق. نعم إن المصريين قد صنعوا الورق والحزير في العهد الذي نستطيع أن نسميه أقدم العهود، ولكن الصين هي التي أخذت عنها أوروبا طريقة خلط الحزير بسناج المصاييح. ولقد كان "الحزير الهندي" صيني الأصل، وكذلك كان الحزير الأحمر المصنوع من كبريتور الزئبق شائع الاستعمال في الصين من أيام أسرة (هان)؛ فلما ظهر الحزير الأسود في القرن الرابع الميلادي أصبح استعمال الحزير الأحمر ميزة خاصة بالأباطرة. وكان اختراع الحزير الأسود من العوامل المشجعة على انتشار الطباعة؛ لأنه كان أصلح المواد للاستعمال في القوالب الخشبية، ويمتاز بأن

¹نوع من الأحجار الكريمة، كانت تستخدم للكتابة عليها.

² ول وايريت ديورانت: قصة الحضارة. الشرق الأقصى الصين، مرجع سابق، مج 1 ج 4 ص 152.

الكتابة به لا تكاد تُمخى مطلقًا؛ فلقد وُجِدَت أكداًسٌ من الورق في آسيا الوسطى ظلت تحت الماء حتى عطنت، ولكن ما عليها من الكتابة ظلَّ واضحًا تُستطاع قراءته¹. وكان استخدام الأختام في مهر الأوراق هو البداية غير المقصودة التي نشأت عنها الطباعة، ولا يزال اللفظ الصيني الذي يطلق على الطباعة هو نفسه الذي يطلق على الخاتم، وكانت الأختام الصينية تطبع في بادئ الأمر على الطين كما كانت تُطبع عليه في بلاد الشرق الأدنى، ثم أخذوا في القرن الخامس الميلادي يُنَدُونها بالخبر، وفي هذه الأثناء كانت أمهات الكتب الصينية القديمة تُحَفَّر على الحجر في القرن الثامن بعد الميلاد، وسرعان ما نشأت بعدئذٍ عادةُ استخراج صورٍ من هذه النقوش المحفورة بعد طلائها بالخبر. وفي القرن السادس نجد الدَّوَّيين يستعملون أختامًا من الخشب لطبع الرُّقى السحرية، وبعد مائة عام من ذلك الوقت أخذ المبشرون البوذيون يُجْرُونَ التجارب بقصد استخراج عدَّة نسخ مطبوعة باستخدام أختام وألواح وورق نضّاح وطباعة على المنسوجات، وقد أخذوا هذا النوع الأخير عن الهنود، وأقدم ما وصل إلينا من الطباعة على لوح محفور ألف ألف رُقِيَّة سحرية طُبِعَت في اليابان حوالي عام (770م) مكتوبةً باللغة السنسكريتية وبحروف صينية، فهي بذلك مثل طيب لتفاعل الحضارات في بلاد آسيا. وطبعت أشياء أخرى كثيرة من القوالب (الكليشيات) في أيام أسرة تانج، ولكن يُلَوَّح أنها قد تلفت أو فُجِدَت في أثناء الفوضى والقلاقل التي أعقبت عهد (منج هوانج). وقد كان الباعث الأول على اختراع الطباعة في بلاد الصين باعثًا دينيًا²، كما كانت الحال في أوروبا في العصور الوسطى المتأخرة، وكما هي الحال بين بعض الشعوب البدائية في الوقت الحاضر؛ ذلك أن الأديان في ذلك الزمن القديم كانت تسعى لنشر عقائدها عن طريق العين وعن طريق الأذن معًا، ولجعل صلواتها ورقاها وأقاصيصها في متناول كل إنسان. لقد كان الصينيون أقدر على الاختراع منهم على الانتفاع بما يَخْتَرعون؛ فقد اخترعوا البارود في أيام أسرة (تانج)، ولكنهم قصرُوا استعماله وقتئذٍ على الألعاب النارية، ولم يستخدموه في صنع القنابل اليدوية وفي الحروب إلا في عهد أسرة سونج (عام 1161م). وقد عرف المسلمون ملح البارود (نترات البوتاسا) - وهو أهم مركبات البارود - في أثناء تجارهم مع الصين وسمَّوه (الثلج الصيني)، ونقلوا سِرَّ صناعة البارود إلى البلاد الغربية، واستخدمه المسلمون في إسبانيا في الأغراض الحربية، ولعلَّ سير روجر بيكين - أول من ذكره من الأوروبيين - قد عرفه من دراسته لعلوم المسلمين، أو من اتصاله بـ (ده-

¹ المرجع نفسه ص 151_155.

² المرجع نفسه ج4، ص155.

بروكي) الرّحالة الذي طاف في أواسط آسيا. والبوصلة البحرية أقدم عهدًا من البارود، وإذا جازفنا بأن نصدّق ما يقوله عنها المؤرّخون الصينيون فإن دوق جو قد اخترعها في عهد الإمبراطور تشنج وانج (1078-1115 ق. م) ليهتدي بها بعض السفراء الأجانب في عودتهم إلى بلادهم. ويقول الرواة: إن الدوق أهدى إلى السفارة خمس عربات جهزت كل منها "بإبرة تشير إلى الجنوب". وأكبر الظن أن الصينيين الأقدمين كانوا يعرفون ما لحجر المغناطيس من خواصّ مغناطيسية، ولكن استعماله كان مقصورًا على تحديد الاتجاهات في بناء الهياكل، وقد ورد وصف الإبرة المغناطيسية في (السونج- شو) وهو كتاب تاريخي مؤلّف في القرن الخامس الميلادي، ويقول المؤلف: إنّ مخترعها هو الفلكي جانج هنج (المتوفى في عام 139م)¹، على أن هذا العالم لم يفعل أكثر من أن يكشف من جديد ما كانت الصين تعرفه قبل أيامه. وأقدم ما ورد عن الإبرة من حيث فائدتها للملاحين هو ما جاء في كتاب ألف في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي وهو يعزو استخدامها في هذا الغرض إلى البحارة الأجانب- وأكبر الظن أنّهم من المسلمين - الذين كانوا يُسيّرون سفنهم بين سومطرة وكانتون وكان الصينيون من أوائل الأمم التي اتخذت الفحم وقودًا واستخرجوه من الأرض بكميات قليلة منذ عام 122 ق. م. وأنتجت الحضارة الصينية كذلك كتبًا من أرقى الكتب الدراسية في الزراعة، وفي تربية دود القز قبل ميلاد المسيح بقرنين كاملين، وألّفت رسالاتٌ قيّمة في علم تقويم البلدان. وقد خلّف عالمها الرياضي المعرّم جانج تسانج (المتوفى في عام 152ق. م) وراءه كتابًا في الجبر والهندسة فيه أول إشارة معروفة للكميات السالبة، وقد حسب (دزو تسو تشونج- جي) القيمة الصحيحة للنسبة التقريبية إلى ثلاثة أرقام عشرية، وحسّن المغناطيس أو "الأداة التي تشير إلى الجنوب"، وقد وردت عنه إشارة غير واضحة قيل فيها: إنه كان يجري التجارب على سفينة تتحرك بنفسها. واخترع تشانج هنج آلة لتسجيل الزلازل (سيمسغرافا) في عام 132م [8]. الرياضيات: أكبر الظن أن علماء الرياضة الصينيين قد أخذوا الجبر عن علماء الهند، ولكنهم هم الذين أنشأوا علم الهندسة في بلادهم مدفوعين إلى هذا بحاجتهم إلى قياس الأرض، وكان في وسع الفلكيين في أيام (كونفوشيوس) أن يتنبأوا بالخسوف والكسوف تنبؤًا دقيقًا، وأن يضعوا أساس التقويم الصيني بتقسيم اليوم إلى اثني عشرة ساعة، وتقسيم السنة إلى اثني عشر شهرًا يبدأ كل منها بظهور الهلال، وكانوا يضيفون شهرًا آخر في كل بضع سنين لكي يتفق التقويم القمري مع الفصول الشمسية. الطب: وكان الطب في الصين خليطًا من الحكمة التجريبية والخرافات الشعبية، وكانت

¹المرجع السابق ص 156.

بدايته فيما قبل التاريخ المدوّن، ونبغ فيه أطباء عظماء قبل عهد أبقرراط بزمن طويل، وكانت الدولة من أيام أسرة (جو) تعقد امتحانًا سنويًا للذين يريدون الاشتغال بالمهن الطبية، وتُحدّد مرتبات الناجحين منهم في الامتحان حسب ما يظهرون من جدارة في الاختبارات، وقد أمر حاكم صيني في القرن الرابع قبل الميلاد أن تُشرّح جثث أربعين من المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام، وأن تُدرّس أجسامهم دراسةً تشريحيةً، ولكن نتائج هذا التشريح وهذه الدراسة قد ضاعت وسط النقاش النظري، ولم تستمر عمليات التشريح فيما بعد]. وكتب (جانج جونج- تنج) في القرن الثاني عدّة رسائل في التغذية والحِميات (الريجيم) ظلّت هي النصوص المعمول بها مدى ألف عام، وكتب (هوا- دو) في القرن الثالث كتابًا في الجراحة، وأشاع العمليات الجراحية باختراع نبيذٍ يحدّر المريض تحديراً تامًا. ومن إهمال المؤرّخين أن ضاعت أوصاف هذا المخدّر فيما بعد، ولم يُعرّف عنها شيءٌ. وفي أوائل القرن السادس كتب داو هونج- جنج وصفًا شاملاً لسبعمئة وثلاثين عقارًا مما كان يستخدم في الأدوية الصينية، وبعد مائة عام من ذلك الوقت كتب جاو يوان- فانج كتابًا قيمًا في أمراض النساء والأطفال ظل من المراجع المهمة زمنًا طويلًا. وكثرت دوائر المعارف الطبية في أيام أباطرة أسرة تانج، كما كثرت الرسائل الطبية المتخصصة التي تبحث كل منها في موضوع واحد في عهد الملوك من أسرة سونج، وأنشئت في أيام هذه الأسرة كُليّة طبية؛ وإن ظل طريق التعليم الطبي هو التمرين والممارسة. وكانت العقاقير الطبية كثيرة متنوعة حتى لقد كان أحد مخازن الأدوية منذ ثلاثمائة عام يبيع منها بنحو ألف ريال في اليوم الواحد. وكان الأطباء يطنبون في تشخيص الأمراض؛ فقد ميّزوا من أنواع النبض أربعًا وعشرين حالة، واستخدموا اللقاح في معالجة الجدري، وإن كانوا لم يستخدموا التطعيم للوقاية منه، ولعلّهم قد أخذوا هذا عن الهند، ووصفوا الزئبق للعلاج من الزهري. ويبدو أن هذا المرض الأخير قد ظهر في الصين في أواخر أيام أسرة (منج)، وأنه انتشر انتشارًا مروعًا بين الأهليين، وأنه بعد زواله قد خلّف وراءه حصانة نسبية تقيهم أشد عواقبه خطورة. ولم يتقدم علم الطب تقدمًا يستحق الذكر من أيام (شي هوانج- دي) إلى أيام الملكة الوالدة، ولعلّ في وسعنا أن نقول هذا القول بعينه عن علم الطب في أوروبا من عهد أبقرراط إلى عهد باستير. وغزا الطب الأوروبي بلاد الصين في صحبة المسيحية ولكن المرضى الصينيين من الطبقات الدُّنيا ظلوا إلى أيامنا هذه يقصرون الانتفاع به على الجراحة، أمّا فيما عداها فهم يفضّلون أطباءهم وأعشائهم القديمة على الأطباء الأوروبيين والعقاقير الأوروبية.

• الماخزة العاشرة

➤ حضارة جنوب الجزيرة العربية

➤ عناصر الماخزة:

✓ الموقع وأهميته .

✓ نشأة وتاريخ حضارة جنوب الجزيرة

✓ الكتابة و الخطوط القديمة والأدب في شبه الجزيرة العربية

اصطلح النسابون العرب والرواة والأخباريون على تقسيم العرب إلى ثلاث طبقات

:العرب البائدة، العرب العاربة، العرب المستعربة، وبينما جعلوا قحطان جدًّا أكبر للعرب

العاربة، التي كانت منازلها الجهات الجنوبية من شبه جزيرة العرب "اليمن"، جعلوا عدنان جدًّا للعرب

المستعربة التي كانت منازلها الجهات الشمالية منها "الحجاز". وقد أرجعوا هذين الجددين إلى سام بن نوح

وكذلك جد العرب البائدة، ولكنهم اختلفوا في اسم الجد الذي تنتسب إليه الطبقة الأخيرة: هل هو إرم

بن سام أم لاوز بن سام بن نوح؟ ومضى النسابون في ذكر أسماء أولاد كل من قحطان وعدنان، ومن

تناسل من ذريتهما، بينما ذكروا أسماء القبائل البائدة دون أية تفصيلات.¹

تشغل شبه الجزيرة العربية الجزء الجنوبي من آسيا العربية، وتمتد متجهة من الشمال الغربي إلى الجنوب

الشرقي، من بوادي الشام والعراق إلى المحيط الهندي، وهي تقع بين درجتي عرض 32.12 شمال خط

الاستواء، ودرجتي طول 60.35 شرق غرينتش.

يحيط بشبه الجزيرة العربية: خليج البصرة من الشرق، وخليج عُمان من الجنوب الشرقي، وبحر العرب من

الجنوب، والبحر الأحمر من الغرب. وكان العرب يعدون الفرات حدًّا شماليًّا لها، حتى أطلقوا عليها اسم

(الجزيرة العربية)، بيد أنها تشمل من الناحية الطبيعية الأجزاء الجنوبية من بوادي الشام والعراق، وتبلغ

مساحتها أكثر من 3 ملايين كم تقريباً.

¹ توفيق برو ، تاريخ العرب القدم ، دار الفكر ، ط2، 2001م، ص54.

تتألف شبه الجزيرة العربية من قاعدة من الصخور الغرانيتية الصلبة، تشكلت في العصور القديمة، وغطتها المواد الرسوبية، وخاصة في الزمن الثاني. وفي الزمن الثالث حدثت التواءات في جنوبها الشرقي كوَّنت جبال عُمان، وانكسارات في غربها كوَّنت حفرة البحر الأحمر وجباله. وفي الزمن الرابع غمرت المفتتات الريحية والمائية قسماً كبيراً من الصخور، وانتشرت الرمال على مساحات واسعة في الشمال والجنوب والشرق، وسميت بالنفوذ.¹

ترتفع الحافات الجبلية الغربية المطلة على البحر الأحمر، وتنحدر انحداراً شديداً نحو بمدرجات انكسارية. ويميل السطح ميلاً خفيفاً نحو خليج البصرة. وتظهر الصخور المتبلورة القديمة في معظم أنحاء نجد الوسطى والغربية، وفي السلاسل الجبلية المطلة على البحر الأحمر، وتشاهد البراكين والأغطية البركانية المسماة (حزّات) في بقعة تمتد من تبوك إلى جنوب مكة المكرمة. أما البوادي والصحاري فهي أراض كلسية، وأحياناً رملية تعلوها طبقات ثخينة من الرمال، وتقطعها الرواشن (الكويستات) في خطوط متوازية، تمتد من صحاري النفوذ وتعطف نحو جبل طويق. وتختص سواحل الخليج العربي بأراض منخفضة تلالية، تكثر فيها الواحات.

يمكن تقسيم سطح شبه الجزيرة العربية إلى المناطق الطبيعية الآتية:

أ. هضبة نجد:

تتوسط هضبة نجد شبه الجزيرة العربية، ويبلغ متوسط ارتفاعها 900م، وتتصل بحزّات الحجاز من الغرب، وبمنبسّات كلسية تميل نحو صحراء الدهناء في الشرق، وتحدها صحراء النفوذ الكبرى من الشمال، والربع الخالي في الجنوب. وأعلى جهات نجد هي الأجزاء الشمالية الغربية للهضبة، وتتألف من جبل شمر الذي يرتفع 1700م، وله كتلتان: الأولى جبل أجأ في شمال حائل، وجبل سلمى في جنوبها. وتتخلل المرتفعات الجبلية واحات كثيرة، وتقسم طبيعياً عدّة أقسام، أشهرها من الشمال إلى الجنوب: القصيم، الوشم، العارض، الخرج، الأفلاج، الوادي (وادي الدواسر).

ب. الربع الخالي:

تمتد صحراء الربع الخالي بين نجد وحضرموت واليمن وعمّان، وتشغل نحو ربع مساحة شبه الجزيرة، وهي صحراء مقفرة صعبة الاجتياز، مغمورة بالرمال الكثيفة التي تحركها الرياح فتشبه أمواج البحر، ماعدا

¹ الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ط2، مج11، ص580.

قسمها الجنوبي الشرقي الذي يشبه النجود السهبية، وتتوافر فيه بعض الآبار الغنيّة والمراعي القليلة، إذ تصيبه بعض الأمطار الموسمية.¹

ج. الحافة الغربية والجنوبية الغربية:

يتألف القسم الغربي من شبه الجزيرة من سلاسل جبلية مرتفعة تمتد من جبال الشراة في الأردن إلى مضيق باب المنذب، وتفصل بينها وبين البحر الأحمر سهول تهامة الضيقة.

العرب: نسبة ليعزب وهو الراجح.

أصلهم: ليس العرب كلهم من أصل واحد، وجئوا الجزيرة من الشمال فارتين من وجه أعدائهم فعاشوا فيها عيشة بدو على الأنعام والأعشاب فتنازعوا البقاء، وهكذا نشأ الغزو وكانت الغارات. **موطنهم:** شبه جزيرة العرب — وإن لم يكونوا كلهم فيها — وهي واقعة في الجنوب الغربي.²

حدودها: تحدها شمالاً بادية الشام، وشرقاً الخليج الفارسي وبحر عُمان، وجنوباً المحيط الهندي، وغرباً البحر الأحمر.

طبيعتها: أكثرها صحراء، والصحراء ثلاث مناطق:

أ بادية السمارة: مرملية، شحيحة الماء لقلة الآبار والعيون، مجدبة، قيطانها شديد، وأغلب سكانها بدو.

يقع جنوبيها جبل شمر المعتدل المناخ الغزير المطر والنبات، فيه قرى وبلدان عديدة ويُعرف بجبل طيء.

ب صحراء الجنوب: أرضها صلبة مجدبة في الغالب إلا إذا أمطرتها السماء. في بعض بقاعها نخيل وأشجار، فيها الأحقاف والدهناء، وتعرف كلها بالربع الخالي. أدب العرب

ج الحوار: أرض بركانية تمتد من شرقي حوران حتى المدينة.³

الحجاز واليمن: إذا أغفلنا شأن الصحراء فالجزيرة تتألف من جزأين: الحجاز واليمن.

أ الحجاز: في الشمال، يمتد من العقبة إلى اليمن، وسمي حجازاً لفصله تهامة

¹ المرجع السابق، ص 581.

² مارون عبود، أدب العرب مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم، مصر، مؤسسة هندواوي 2013م، ص 10_09.

³ المرجع نفسه 11_12.

عن نجد . والحجاز قطر كان فقيراً — قبل ظهور النفط — كثير الأودية الشتوية، قليل الماء، حار المناخ، ما عدا الطائف . أكثرية سكانه الساحقة بدو، وقع على الطريق التجاري الذي يربط اليمن ببلاد الشمال فكان ذا أهمية تجارية، فأمة اليهود في وغيرهما، يثرب الجاهلية فاستعمروا خيبر والمدينة

ب اليمن : يقع جنوبي الحجاز في الزاوية الغربية الجنوبية من الجزيرة . اشتهر بالغنى والخصب، أشهر مدنه : صنعاء، نجران، عدن . لسكانه القدماء علاقات بالهند والشرق الأدنى . وتلي اليمن شرقاً حضرموت، وهي صقع جبلي كان عامراً بدليل الخط المسند الموجود على بعض خرائبه، وظفار، مصدر التوابل، تقع شرقي حضرموت . وفي الزاوية الجنوبية عمان، وهو قطر جبلي على شاطئ البحر، اشتهر سكانه بالملاحة، وفي الشمال الغربي من عمان قطر البحرين الممتد إلى حدود العراق .

نجد : أما نجد فهي الجزء المرتفع الممتد من جبال الحجاز إلى صحراء البحرين شرقاً، فيه الصحاري والأراضي الزراعية، وهو أصح بلاد العرب وأجودها هواء .

مناخ الجزيرة عموماً : شديد الحرارة، يعتدل في الجبال ليلاً في الصيف، وتتجمد مياهه في الشتاء، أحسن هوائها الرياح الشرقية المعروفة بالصَّبا، وأردأ الرياح ربح السموم .

أحسن أيام الجزيرة فصل الربيع غب المطر؛ إذ ينبت العشب، وبحقّ سمى العرب المطر غيثاً؛ لأنه غوث لهم¹ .

سكان الجزيرة : تصورهم لنا التوراة تجاراً يربطون مصر وسوريا وفلسطين، في حين أنهم لم يكونوا في أول عهدهم غير نقلة التجارة وحماة القوافل في أرضهم من اعتداءات إخوانهم، إلى أن تدرجوا في سلم التجارة وصار بعضهم في آخر جاهليتهم تجاراً . وبيننا التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء سوريا مرتين متتجراً .

العرب وبلادهم وأنسابهم:

أما أصلهم، فيزعم بعض المؤرخين أنهم وسكان الفرات ووادي النيل من أصل واحد، تحضّر أولئك وغرق العرب في بداوتهم فكانت سبب تأخرهم عن حولهم، فعاشوا قبائل متكلمين على الأرض والسما، لا يفكرون بالرقى، ولا يستخدمون عقولهم في تنظيم شئون حياتهم، كل رجائهم بالأنعام، فهي كل شيء من موارد الرزق في نظرهم .

أما سكان اليمن فكانوا متمدينين² .

أقسامهم وأنسابهم : انقسم العرب — ككل المغرقيين في البداوة — إلى قبائل متعددة، أساس القبيلة الجد الواحد، والأنساب عن طريق الحلف والولاء، وعلى القبيلة بنوا

¹ المرجع السابق ص
² المرجع نفسه ص

نظامهم الاجتماعي.

عاشت القبائل في نزاع دائم، يتحالفون للدفاع والمهجوم، فيؤدي هذا التحالف إذا طال أمدّه إلى اندغام عدة قبائل وانتسابها لأقواها، فيزعمون أخيراً أنهم من أصل واحد؛ ولذلك ترى الأنساب التي عني فيها العرب جدًّا عرضة للشك والريب؛ فاليمينيون اختلطوا بالحجازيين لما نزحوا إلى بلادهم عند انحطاط تجارة اليمن، قبل الميلاد بثلاثة قرون، وكذلك رحل الحجازيون إلى اليمن لكثرة نسلهم وضيق موطنهم. فتاريخ العرب غير ثابت لأنه لم يكتب؛ لبداءة العرب وأميتهم، ولا آثار تثبتته حين كان العرب متحضرين كاليمينيين والحميريين، إذ لم يعثر إلا على شيء يسير من آثارهم. فالاعتماد في تاريخ العرب على ما دوّنه الرومان واليونان والمصريون والفرس، والشعر الجاهلي الذي لم يدوّن إلا في العصر الثالث¹.

خلاصة الأنساب

إليها كما اتفق عليها أهل هذا الزمان، تبعًا لرواية التوراة التي تجعل عرب الشمال: الحجازيين أو العدنانيين، من نسل إسماعيل، وعرب الجنوب: اليمينيين أو القحطانيين، «قحطان» من نسل يقطان

نسل قحطان: كهلان وحمير

شعب كهلان

(أ) طيء: وهي القبيلة المشهورة التي أطلق السريان والفرس اسمها على كل العرب.
(ب) همدان.

(ج) مذحج: ومنها بنو الحارث سكان جنوب الطائف.

(د) بجيلة: كان لها أثر عظيم في فتوح العراق في عهد عمر.

(هـ) جذام: سكان بادية الشام، ومن جذام لحم مؤسسة ملك الحيرة على الفرات، وكندة سيده حضرموت، واليمامة ومنها امرؤ القيس.

(و) الأزد: حكمت عُمان، ومنهم غساسنة الشام، وخزاعة سيده مكة قبل قريش، ومنها أيضًا الأوس والخزرج سكان يثرب².

شعب حمير

(أ) قضاة: في شمالي الحجاز.

(ب) تنوخ: سكان شمالي الشام.

¹ عبد العزيز صالح تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة. القاهرة ومكتبة الانجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة

ط. 1992م، ص 18.

² المرجع نفسه ص

(ج) كلب: سكان بادية الشام.

(د) جهينة وعذرة: في وادي أضَم بالحجاز، والهوى العذري منسوب إلى هذه القبيلة¹ الأخيرة.

نسل عدنان: ربيعة ومضر

شعب ربيعة

(أ) أسد.

(ب) وائل، ومن وائل: بكر وتغلب، كانت بينهما حروب طاحنة ملأت حوادثها وقصصها التاريخ العربي المؤيد بالشعر.

العرب وبلادهم وأنسابهم

شعب مضر

ومن قيس غطفان، ومن « قيسي ويمني » قيس: ويطلق اسمها على من ليس باليمني غطفان عبس وذبيان، وتميم سكان البصرة، وهذيل الذين اشتهروا بإجادة الشعر والإكثار منه، وكنانة ومنها قریش².

وعلى هذه القاعدة النسبية انقسم العرب في عصبيتهم، ولا بد من معرفتها لمن يشاء تفهّم حوادث التاريخ وحلّ نصوص الشعر والأدب وخصوصاً الفخر والهجاء. قيسويمني: كان العداء بين ربيعة ومضربالغاً أشده؛ حتى إن ربيعة كثيراً ما كانت تحالف اليمنيين لمقاتلة القيسيين أحفاد مضر، أبناء عمهم. وهكذا أصبح اليمنيون وأبناء ربيعة حلفاء، والمضربون المعروفون بالقيسيين حلفاء آخر، فعرف هذان مجزيين لا يزال يرافقنا في أحزابتنا حتى اليوم « قيسي ويمني » عربيين

عداء القحطانيين والعدنانيين

القحطانيون أو اليمنيون، أهل الجنوب عاشوا متحضرين.

العدنانيون أو النزاريون أو المعديون أهل الشمال غلبت عليهم البداوة.

لغة اليمنيين كانت تحالف لغة الحجاز وضعاً وتصريفاً، وهي أكثر اتصالاً باللغة الأكادية والحبشية، أما لغة الحجاز فأكثر اتصالاً بالعبرية والنبطية.

أما رقي هذين الشعبين فاختلف تبعاً للحضارة واللغة والاختلاط بالشعوب. وقد

كان العداء بينهما شديداً حتى اختلفت العمائم والرايات، فاعتمَّ المضربون باللون الأحمر،

¹ عبد العزيز صالح تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة. القاهرة ومكتبة الانجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة

ط. 1992م، ص 20.

² المرجع نفسه

واليمينيون باللون الأصفر.

وسبب العداء النزاع الطبيعي بين البداوة والحضارة، يدلنا على هذا العداء ما كان بين أهل المدينة — الأوس والخزرج — وهم يمنيون، وأهل مكة وهم عدنانيون. وظل هذا الخلاف والتنافس بينهم بعد الإسلام، تثبتته أقوال شعرائهم. وظلت كفة اليمينيين في التنافس راجحة حتى ظهر النبي وهو عدناني، ثم صارت الخلافة في قريش إليه.

فُعني إذ ذاك القحطانيون بتلوين تاريخهم، فقالوا إن قحطان جدهم هو ابن هود، ثم قالوا إن إسماعيل هو أبو العرب جميعاً¹.

أقسام تاريخ العرب

ثلاثة:

أ (بائدة)، وهي الأمم التي انقرضت قبل التاريخ.

ب (عارية)، وهم القحطانيون.

ج (مستعربة)، وهم العدنانيون.

عصية العرب: ظهر الإسلام والعرب ثلاث فرق: ربيعة ومضرواليمن، وكانت عصبية الجاهلية تأكل قلوبهم وتملك عليهم كل مشاعرهم، فحاول النبي إطفاء جذوتها فخمدت حيناً، وما لبثت أن تأججت بعد موته في سقيفة بني ساعدة.

الدول العربية: كانت العرب ثلاث دول وإمارات متعددة:

(أ) **الدولة الأولى:** التبابعة، كانوا في صنعاء، أشهر ملوكهم بلقيس معاصرة سليمان بن داود.

(ب) **الدولة الثانية:** المناذرة، كانوا في العراق، عاصمتهم الحيرة، من ملوكهم عمرو بن هند، والنعمان الرابع ممدوح النابغة، كان هؤلاء الملوك غير مستقلين يخضعون للفرس.

(ج) **الدولة الثالثة:** الغساسنة، عاصمتهم دمشق والبلقاء، يخضعون للروم. أشبه شيء بالانتدابات التي كانت عندنا، خضوع المناذرة للفرس²

العرب وبلادهم .

الإمارات: أما الإمارات فعديدة؛ منها: كندة وتغلب وبكر وعبس وغيرهم. وكانت الإمارة تتناول أكثر من قبيلة.

¹ المرجع السابق ص
² المرجع نفسه ص

كانت هذه الدويلات والإمارات عربية في أخلاقها وعاداتها ولغتها، أما ميولها فلم تكن عربية بحتة . كان المناذرة مِيالين للفرس، والغساسنة للروم، وكانوا في شقاق مستمر ونزاع دائم، فضعفوا ولم يستطيعوا مقاومة جيوش المسلمين عند امتداد موجة

الكتابة و الخطوط القديمة في شبه الجزيرة العربية

ترجع خطوط الكتابات القديمة التي سبقت الخط العربي المؤلف في شبه الجزيرة العربية، إلى مجموعتين كبيرتين :مجموعة شاعت فيها كتابة المسند، وهي كتابة استخدمتها الدول العربية الجنوبية المتحضرة القديمة، سبأ وقتبان ومعين وحضرموت وأوسان. ثم شاركتها فيها بعض الإمارات والجماعات الشمالية والغربية في شبه الجزيرة العربية وما يتصل بها من جنوب الشام، بعد أن حور كتبتها في أشكال حروفها بما يتفق مع مدى إتقانهم لها وربما بما يناسب مخارج ألفاظهم، تعديلات عفوية أحياناً وتعديلات مقصودة أحياناً أخرى. وهكذا خرجوا منها بخطوط إقليمية امتاز منها الخط اللحياني والخط الثمودي والخط الصفوي. ويرى بعض اللغويين أن هذه الخطوط الإقليمية يمكن التمييز فيها أيضاً بين عدة خطوط فرعية محلية اختلفت فيما بينها باختلافات طفيفة¹.

ثم مجموعة ثانية من الخطوط اعتمدت أساساً على قواعد الكتابة الآرامية وكتب بها فريق آخر من الدول والإمارات العربية الشمالية والغربية، بعد أن حور كتبتها فيها هم الآخرون تحويراً قليلاً أو كثيراً. وأهم هذه الدول هي إدوم والأنباط وتدمر، مع احتمال وجود خطوط أخرى فرعية في داخلها. وأخيراً اشتق كتبة الحجاز الخط العربي الصريح من الخط النبطي في الأجيال القليلة التي سبقت ظهور الإسلام لا سيما في مكة ويثرب².

وعثر على بعض نصوص هذه الكتابات الشمالية منها والجنوبية منقوشة على سطوح حجرية كبيرة وصغيرة مثل جدران المعابد ومداخل المدن والحصون وسفوح الجبال وقواعد التماثيل وسطوح النصب

¹ عبد العزيز صالح تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة . القاهرة ومكتبة الانجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة ط.1992م، ص30.

² المرجع نفسه . ص 30.

وكسر الحجر الصغيرة. وعثر عليها منقوشة كذلك على سطوح معدنية كالصحاف وقواعد التماثيل الصغيرة وقطع العملة وما إليها. وربما كانت منقوشة على الأخشاب أيضًا. ولكن ندر حتى الآن ما يحتمل معه أن العرب القدماء كتبوا عليه من ألواح الصلصال التي كتب عليها كتبة الهلال الخصيب، والجلود والرق والعظام وحقاف النخيل التي كتب العرب عليها في صدر الإسلام، أو صحائف البردي التي صنعها وكتب عليها المصريون القدماء ثم تعلم استخدامها منهم بعض الآراميين. ولو أنه ليس من المستبعد أن العرب القدماء في الشمال وفي الجنوب كتبوا على بعض هذه المواد، ولكنها بليت بمرور الزمن نظرًا لطبيعتها الهشة وفعل الأرضة والحشرات فيه.¹

خط المسند:

وتضمنت كتابة المسند تسعة وعشرين حرفًا جامدًا لم تتأكد أسماؤها القديمة ولا ترتيبها القديم حتى الآن. ولكن تشابهت أصوات ثمانية وعشرين حرفًا جامدًا لم تتأكد أسماؤها القديمة ولا ترتيبها القديم حتى الآن. ولكن تشابهت أصوات ثمانية وعشرين حرفًا منها مع أصوات حروف الهجاء العربية الحالية، وزادت عليه حرفًا واحدًا يسمى) في العبرية (حرف سامك كان ينطق قريبًا من نطق حرف السين على الرغم من وجود سين أخرى عادية في كتاب المسند) وقد وجد حرفان للسين في الكتابة المصرية القديمة أيضًا. وذلك في مقابل عدم تضمنها حرف لا المركب في الكتابة العربية.²

وتتصف كتابة المسند بصفات أخرى بعضها اختصت به. وبعضها اشتركت في مع غيرها من الكتابات السامية القديمة. وكان من ذلك على سبيل المثال:

¹ المرجع السابق 31

² المرجع نفسه 31

أولاً : كانت حروفها تخطيطية، وليس صوراً صريحة أو مقاطع صوتية. وقد يدل ذلك على أنه كانت لها أصول أخرى تصويرية لم تكتشف بعد، أو أنها نقلت حروفها ناضجة من كتابة أخرى متطورة هي فيما يغلب على الظن الكتابة الكنعانية المبكرة¹.

ثانياً : أن حروفها ظلت تكتب منفصلة غير متصلة. الواحد منها بجوار الآخر، وكان ذلك هو شأن أغلب الكتابات القديمة أيضاً حتى ما قبل الميلاد بقليل.

ثالثاً : لم تتغير أشكال حروف المسند، سواء كتبت في بداية الكلمة أو وسطها أو آخرها. وكانت سطورها الأفقية تكتب عادة من اليمين إلى اليسار. ولكن فردية الحروف، وثبات أشكالها، كل منهما سمح لبعض الكتابة ببداية السطور من اليسار أحياناً. وقد يخالف الكتاب بين بدايتي سطرين متتاليين فيبدأ أولهما من اليمين ويبدأ الثاني من اليسار، إما لإظهار المهارة ورغبة التغيير، أو للتعمية على القارئ العادي في النصوص اللغوية².

رابعاً : كانت كل كلمة فيها تنفصل عن الأخرى في سطرها الأفقي بخط قائم، دون ترك مسافة مقصودة بين كلمة وأخرى إلا في القليل النادر وذلك مع إلحاق حرف الوصل بأول الكلمة المتصل بها. خامساً : أنها لم تتضمن حروفاً لينة أو حروف حركة ولم تسجل تشكيل الحروف، شأنها في ذلك شأن أغلب الكتابات السامية القديمة، وإن لم يمنع هذا من ترجيح استعمال الحروف اللينة في لغتها المنطوقة ووجود قواعد شفوية لنطق كلماتها مشكلة.

سادساً : أنها لم تأخذ بالحروف المنقوطة، واكتفت بتغيير أشكال حروفها المتقاربة بعضها من بعض. سابعاً : أنها عبرت أحياناً عن التعريف والتنوين بإضافة نون أخيرة في نهاية الاسم، كما عبرت أحياناً عن التنكير بإضافة حرف ميم أخيرة في نهاية الاسم، وذلك بما يتفق مع لهجة أهلها.

¹ المرجع نفسه ص32

² المرجع السابق ص32

ثامناً: أنها نسبت أغلب أفعالها إلى ضمير الغائب، على الرغم من معرفة لغتها بضمائر المتكلم والمخاطب في الأفراد والجمع والتذكير والتأنيث.

تاسعاً: أنها اكتفت في أغلب أحوالها بكتابة أصول الأفعال، وتركت للقارئ أن يستنتج صيغ هذه الأفعال من سياق النصوص، فيما خلا التعبير عن صيغة المستقبل بإضافة حرف السين أو حرف الهاء في بدايتها، بما يتفق مع لهجة أصحابه.¹

عاشراً: أنها عبرت عن التشديد أحياناً بتكرار الحرف المراد تشديده، ولم تتضمن ما يعبر صراحة عن صيغة الاستفهام وما يشبهها.

الخط النبطي وتطوره إلى الخط العربي

سلف التنويه بمجموعة رئيسية ثانية من الخطوط القديمة في شبه الجزيرة العربية رجعت أصولها إلى الكتابة الآرامية ثم سلكت وجهات إقليمية أو شعوبية، وتمايز منها الخط النبطي والخط التدمري فضلاً عن الخط السرياني ... إلخ. ويعيننا الآن منها الخط النبطي بخاصة لوثيق صلته بالخط العربي ووثيق صلة أصحابه بالعرب.²

تعلم كتبة الأنباط الخط الآرامي من موضعين، من إمارة إدوم بعد أن استقروا في أرضها وتغلبوا على حكمها في نواحي هضبة إدوم وجبل سعير شرقي العقبة وجنوب شرقي الأردن، ثم من دويلة دمشق الآرامية الأصل التي اتصلوا بها عن طريق التجارة واستفادوا من حضارتها وحاولوا أن يحتلوها أكثر من مرة. وحين تعلم الأنباط الخط الآرامي تعلموه كيفما اتفق وفي غير دقة كبيرة، فرسموا حروفه في أشكال مختصرة وكتبوا بها لغتهم المحلية وكانت لغة عربية في مجملها ولكنها عربية ذات رطانة آرامية لاسيما في مناطق استقرارهم الشمالية.³

¹ المرجع السابق ص 33.

² المرجع نفسه ص 35

³ المرجع نفسه ص 35

وكان الآراميون ومن أخذوا بخطهم قد كتبوا حروفهم من قبل مفردة، وكلماتهم متعاقبة دون فواصل بينها. فلما انفرد الأنباط بخطهم كان خبير مازادوه فيه تجديدان، وهما محاولة وصل حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض، أو على الأقل محاولة وصل الحرفين المتجاورين مع بعضهما. ثم محاولة الفصل بين كل كلمة والكلمة التي تليها في سطرها الأفقي بطريقة ما. وأدى هذان التجديدان إلى زيادة الفوارق بين الخط النبطي وبين أصوله الآرامية القديمة.

وبدأ كتابة الأنباط خطوة وصل الحروف بالوصل بين حرفي الباء والراء في كلمة بر بمعنى بن نظرًا لكثرة استخدامها في ذكر نسب الشخص إلى أبيه. واتخذوا الوصل بين هذين الحرفين نموذجًا لكلمات ثنائية أخرى تبدأ بحرف الباء) مثل به(، وذلك منذ القرن الأول قبل الميلاد على أقل تقدير. ثم طبقوا هذا الربط على أغلب الكلمات الثنائية الأخرى (مثل يد، من، نه، إلخ) وبعض الكلمات الثلاثية التي يكثر استعمالها في كتابة النصوص مثل كلمة ملك، وفعل عبد بمعنى صنع، وذلك منذ القرن الأول الميلادي.¹

_الأدب:

الأدب الجاهلي هو ذلك الأدب الذي ينسب إلى العرب الذين كانوا قبل الإسلام وليس المقصود في الأدب بمعناه العام الذي يشمل جميع نتائج القرائح العربية في أي نوع من أنواع النتاج العقلي، إنما المقصود هنا الأدب بمعناه الخاص، وهو النتاج العاطفي الذي يعبر فيه صاحبه بالألفاظ عن شعور عاطفي، وفيه إثارة للقارئ والسامع، أي ذلك التعبير العاطفي المثير، وهذا يكون عادة في الشعر الرائع والنثر البليغ، ومن يرجع إلى كتب الأدب والقصص والتاريخ والأخبار والسير يجد أن الأدباء في العصر الجاهلي كانوا أكثر من أن يحيط بهم حصر، فكل قبيلة كان بها عدد كبير من الأدباء الذين روي لهم نتاج أدبي، وبطبيعة الحال كان فيهم المقل والمكثر، وهم يتفاوتون في إنتاجهم كمًّا وكيفًا، وإذا تذكرنا أن عدد القبائل العربية شماليها وجنوبيها كان كثيرًا توقعنا أن نجد لهم نتاجًا أدبيًا ضخمًا².

¹المرجع نفسه ص36.

² علي الجندي، في تاريخ الادب الجاهلي، مكتبة دار التراث، ط1، 1991م، ص91.

لغة الأدب الجاهلي:

جاء الأدب الجاهلي كله بلغة عربية واحدة، وصاغه بهذه اللغة الواحدة جميع الذين نسب إليهم أنهم قالوه من العرب شماليهم وجنوبيهم لا فرق بين من أصله قحطاني ومن أصله عدناني. وهنا نحب أن نشير إلى ملاحظة هامة جداً، ينبغي ألا تغيب عن البال، هي أن الأدباء الجنوبيين الذين جاءت لهم نصوص أدبية في تراث الجاهليين كانوا قد استقروا في الشمال، أو قريباً منه في أطراف اليمن المتاخمة للعدنانيين ولم يكن منهم من يسكن في أقاصي اليمن أو أطرافها البعيدة عن الشماليين، وإن ظلت نسبة من استقر منهم بالشمال إلى اليمن، وإنما هي نسبة قبيلة الشاعر منهم إلى أصلها الأول، وهذا بالطبع لا يؤثر على اللغة الأدبية السائدة التي أصبحت لغة الشعر والأدب قبل ذلك بزمان؛ فهذا مثل ما يقال عن أبي الحسن علي بن العباس بأنه الرومي، وعن مهيار بن مرزويه بأنه الديلمي، فكلاهما من أصل غير عربي، وكل منهما شاعر عربي فصيح¹.

- النشر الجاهلي

- صور النشر الجاهلي:

حين نتحدث عن النشر الجاهلي ننحى النثر العادي الذي يتخاطب به الناس في شئون حياتهم اليومية؛ فإن هذا الضرب من النثر لا يعد شيئاً منه أدباً إلا ما قد يجري فيه من أمثال؛ إنما الذي يعد أدباً حقاً هو النثر الذي يقصد به صاحبه إلى التأثير في نفوس السامعين والذي يحتفل فيه من أجل ذلك بالصياغة وجمال الأداء، وهو أنواع، منه ما يكون قصصاً وما يكون خطابة وما يكون رسائل أدبية محبرة، ويسمى بعض الباحثين النوع الأخير باسم النثر الفني².

"ونثر الجاهليين لا شك أنه كان كثيراً، يفوق في الكم ما كان لهم من شعر، وقد سبق أن وضعنا ذلك، ولكن سنة الكون دائماً تجعل الشعر أوفر حظاً من العناية والاهتمام، فيحفظ، ويتناقل، ويروى على مر

¹ علي الجندي، في تاريخ الادب الجاهلي، مكتبة دار التراث، ط1، 1991م، ص95.

² شوقي ضيف، تاريخ الأدب الجاهلي، القاهرة، دار المعارف ط24، ص398.

الأجيال أكثر من الشعر. ولهذا نتوقع أن يكون ما حفظ لنا من نثر الجاهليين أقل بكثير مما حفظ لنا من شعرهم¹

وليس بين أيدينا وثائق جاهلية صحيحة تدل على أن الجاهلين عرفوا الرسائل الأدبية وتداولوها، وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا الكتابة؛ فقد عرفوها، غير أن صعوبة وسائلها جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية الشعرية والنثرية، ومن ثم استخدموها فقط في الأغراض السياسية والتجارية¹. ولا ينقض ذلك ما جاء في السيرة النبوية من أن سويد بن الصامت قدم مكة حاجًا أو معتمرًا؛ فتصدى له رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وما الذي معك؟" قال: مجلة لقمان، فقال له رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اعرضها عليّ"، فعرضها عليه، فقال له: "إن هذا لكلام حسن. والذي معي أفضل من هذا: قرآن أنزله الله عليّ، هو هدى ونور؛ فتلا عليه رسول الله القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يَبْغُد منه، وقال: إن هذا القول حسن.

الحكم والأمثال :

والحكمة قول رائع يتضمن حكمًا صحيحًا مسلمًا به، أما المثل فهو قول يشبه مضربه بمورده فهو يقصد به تشبيه الحال التي حكي فيها بالحال التي قيل بسببها، ولذلك يحكى المثل بلفظه كما هو بدون تغيير مهما كان نوع الخطاب أو نسق الكلام².

وكل من الحكمة والمثل، عبارة قصيرة بليغة، ولكنها غاية في تأدية المعنى المقصود. وكل منهما يكون شعرًا، ويكون نثرًا، لكنهما في النثر أكثر دورانًا، ولذلك يعدان في النثر. وهما ثمار ناضجة من ثمرات الاختبار الطويل، والتجربة الصادقة، والعقل الراجح، والرأي السديد.

وكثيرًا ما تقتبس الحكم والأمثال، وتوضع في الأقوال والأشعار، فتضفي على الكلام زينة؛ فوق ما تؤديه من إصابة المعنى وحسن التشبيه ولذلك كان من الأدباء من نظم. قصائد، كلها حكم وأمثال كأرجوزة

¹ علي الجندي، علي الجندي، في تاريخ الادب الجاهلي، مكتبة دار التراث، ط1، 1991م، ص258.

² المرجع السابق، ص260

أبي العتاهية التي سماها " الأمثال " ¹ وصاحب المثل قد يعمد إلى ضرب من التنعيم الموسيقي للفظه؛ فإذا هو يسجع فيه... وقد يعمد إلى ضرب من الأخيلة، ليحسّم المعنى ويزيده حدة وقوة. والحق أن كل شيء يؤكد أن العرب في الجاهلية عنوا بمنطقهم واستظهار ضروب من الجمال فيه، سواء ضربوا أمثالهم أو تحدثوا أو خطبوا. ²

وممن اشتهر بالحكمة من العرب: أكثم بن صيفي التميمي، وعامر بن الظرب العداوني، وهما من المعمرين، وكانت العرب تحتكم إليهما، ويقال إن عامر بن الظرب لما كبر واعتراه النسيان أمر ابنته أن تقرع بالعصا إذا جار عن القصد وكانت ابنته من حكيّمات العرب مثل هند بنت الخس. ³

وقد عني العرب بالأمثال، فألفت فيها كتب كثيرة، منها كتاب صحار العبدي أحد النسابين في أيام معاوية بن أبي سفيان. وكتاب آخر لمعاصره عبيد بن شربة ومنها كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، وجمع الأمثال للميداني المتوفى سنة 518هـ، وكتاب المستقصى للزمخشري المتوفى سنة 538هـ

_المفاخرات والمنافرات:

والمفاخرة: محاوراة كلامية بين اثنين أو أكثر، وفيها يتباهى كل من المتفاخرين بالأحساب والأنساب، ويشيد بما له من خصال، وما قام به من جلائل الأعمال، وكانت تحدث بين القبائل كربيعة ومضر، وبكر وتغلب من ربيعة، وقيس وتميم من مضر، وقد تغلغت المفاخرات في بطونهم حتى كانت بين ابني العم في العشيرة الواحدة مثل ما حدث بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة، وقد تنافرا إلى هرم بن قطبة الفزاري.

¹ المرجع نفسه 260

² شوقي ضيف، مرجع سابق ص 409.

³ علي الجندي، مرجع سابق. ص 261.

والمنافرة كالمفاخرة وأشد، وكان الرجلان إذا تنازعا الفخر، وادعى كل منهما أنه متفوق على صاحبه، نفرا إلى حاكم يرضيانه، ليقضي بينهما، فمن فضله على صاحبه كان له غنم الحكم، وعلى صاحبه غرم الجعل المفروض من الإبل أو غيره.¹

ولكن الحكم كثيراً ما كان يتحاشى الحكم لأحدهما على الآخر، ويعمد إلى الصلح بين المتنافرين، حسماً للنزاع، وتفادياً للشر. ويلقي عليهما كلاماً بليغاً يدعوها فيه إلى الصفاء والسلام والمودة والمحبة. من ذلك ما كان من هاشم بن عبد مناف في خزاعة وقريش حين نفرتا إليه.²

الخطابة

الخطابة حديث يقصد به إثارة المشاعر وإلهاب العواطف في الحال. والحياة الجاهلية جعلت الخطابة ضرورة لهم، فهم في اجتماعاتهم وفي عرض آرائهم، وفي القيام بواجباتهم في السفارات والوفود كانوا -ولا شك- يحتاجون إلى الإفصاح عما يريدونه؛ رغبة في الوصول إلى مقاصدهم وكلما كان إفصاحهم أقوى وأعذب كان تأثيره في القلوب أشد، فساعد ذلك على وجود الخطابة بينهم.

. وكانوا كثيراً ما يخطبون في وفادتهم على الأمراء؛ إذ يقف رئيس الوفد بين يدي الأمير من الغساسنة أو المناذرة؛ فيحياه متحدثاً بلسان قومه. وفي السيرة النبوية ما يصور جانباً من هذه الوفود؛ إذ وفد كثير منها على الرسول منذ السنة الثامنة، وكان يقوم خطيب الوفد بين يديه متحدثاً، ويرد عليه خطيب الرسول على نحو ما هو معروف عن وفد تميم وخطبة عطار بن حاجب بن زرارة بين يديه. وكان ذلك سنة شائعة بينهم في الجاهلية حين يفدون على الأمراء أو على من له رئاسة وسيادة.³

¹ المرجع السابق. ص 263.

² المرجع نفسه، ص 264_2654.

³ شوقي ضيف ص 411.

وأشهر الخطباء في الجاهلية: قس بن ساعدة الأيادي، وقد أدركه النبي صلى الله عليه وسلم فرآه في سوق عكاظ على جمل أحمر، وسحبان بن وائل الباهلي الذي ضرب بفصاحته المثل. فقيل: "أخطب من سحبان" ويقال إنه كان إذا خطب يسيل عرفاً، ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى ينتهي من كلام¹

_الوصايا:

الوصية بمعنى النصح والإرشاد والتوجيه، وهي قول بليغ مؤثر، ويتضمن حثاً على سلوك طيب نافع، حثاً فيمن توجه إليه الوصية، ورغبة في رفعة شأنه وجلب الخير له. وعادة تكون من أولياء الأمور وبخاصة الأب والأم لأبناهما عند حلول الشدائد، أو حدوث الأزمات أو الإحساس بدنو الفراق، وهي نتيجة الخبرة الطويلة والملاحظة الدقيقة، والعقل الواعي والتفكير السليم ويدفع إليها المودة الصادقة والحب العميق، ومن الوصايا: وصية عامر بن الظرب لقومه، ومنها: "يا معشر عدوان: لا تشمتوا بالذلة، ولا تفرحوا بالعزة، فبكل عيش يعيش الفقير مع الغني، ومن يرّ يوماً يُرّ به، وأعدوا لكل أمر جوابه، إن مع السفاهة الندم، والعقوبة نكال، وفيها ذمامة، ولليد العليا العاقبة، وإذا شئت وجدت مثلك، إن عليك كما أن لك، وللكترة الرعب، وللصبر الغلبة، ومن طلب شيئاً وجدته، وإن لم يجده أوشك أن يقع قريباً منه²

سجع الكهان

كانت في الجاهلية طائفة تزعم أنها تطلع على الغيب، وتعرف ما يأتي به الغد بما يلقي إليها توابعها من الجن، وكان واحدها يسمى كاهناً كما يسمى تابعه الذي يوحى إليه باسم "الرَّئِي" وأكثرهم كان يخدم

¹ علي الجندي مرجع سابق ص 265.

² المرجع السابق، ص 268.

بيوت أصنامهم وأوثانهم؛ فكانت لهم قداسة دينية، وكانوا يلجأون إليهم في كل شئوهم، وقد يتخذونهم
حكاًماً في خصوماتهم ومنافراتهم¹

وكان الكهان في أحاديثهم يعمدون غالباً إلى سجع مصطنع، فيه غموض وإبهام، وكأنما كانوا يقصدون
زيادة التأثير في السامعين، وإلهاءهم عن التتبع لما يلقى إليهم من الأخبار التي كانت في منتهى الغرابة
والعجب²

الشعر الجاهلي:

الشعر لغة العواطف، وترجمان الأحاسيس، ويعنى بإظهار الجمال، وتصويره في صور تسحر القلوب،
وتثير الوجدان، وتبعث في النفس الإعجاب والارتياح. ولذلك عد من الآداب الرفيعة، واعتبر فناً من
الفنون الجميلة.

وقد عرف العرب منذ أقدم عصورهم قيمة الشعر وأثره في النفس، وما له من شأن عظيم في تاريخ الأمم
والشعوب، بإظهار مواهبها، وسمو عواطفها، ورقة مشاعرها وتخليد أجمادها ومفاخرها فقدروا الشعر حق
قدره، وعظموا الشعراء وأكبروهم³

1- نشأة الشعر الجاهلي وتفاوته في القبائل:

لا ريب في أن المراحل التي قطعها الشعر العربي حتى استوى في صورته الجاهلية غامضة؛ فليس بين أيدينا
أشعار تصور أطواره الأولى؛ إنما بين أيدينا هذه الصورة التامة لقصائده بتقاليد الفنية المعقدة في الوزن
والقافية وفي المعاني والموضوعات وفي الأساليب والصياغات المحكمة، وهي تقاليد تلقي ستاراً صفيحاً بيننا
وبين طفولة هذا الشعر ونشأته الأولى؛ فلا نكاد نعرف من ذلك شيئاً. وحاول ابن سلام أن يرفع جانباً
من هذا الستار فعقد فصلاً تحدث فيه عن أوائل الشعراء الجاهليين، وتأثر به ابن قتيبة في مقدمة كتابه

¹ شوقي ضيف مرجع سابق 420.

² علي الجندي مرجع سابق ص 268.

³ المرجع نفسه، ص 276.

الشعر والشعراء، فعرض هو الآخر لهؤلاء الأوائل، وهم عندهما جميعاً أوائل الحقبة الجاهلية المكتملة الخلق والبناء في صياغة القصيدة العربية¹

والشعر الجاهلي ليس فيه شيء من نوع الشعر القصصي Epic ولا الشعر التمثيلي Dramatic وإنما هو من النوع الغنائي Lyric فهو شعر غنائي يهتم بتصوير نفسية الشخص، وما يتصل به من وجدان وعاطفة، وصاحبه يتغنى بحبه وبغضه، وأمله وأمله، وغير ذلك من المشاعر المختلفة التي يحسها الإنسان، وعدم وجود الشعر القصصي أو الشعر التمثيلي بين الجاهليين العرب ليس فيه شيء عليهم من الناحية الفنية، وذلك لا يعني بحال نقصاً في شاعريتهم، أو غضاً من مقدرتهم الأدبية لأن الشاعرية لا تقاس بالنوع فقط، إنما تقاس كذلك بالدرجة التي بلغتها الأمة في الناحية التي تهيأت لها، فيقال: أوصلت درجة الكمال فيها أم لا؟ وإذا لم تنتهياً لأمة من الأمم الظروف المناسبة لشيء من الأشياء، فلا ينبغي أن تحاسب عليه. والجاهليون لم توجد لهم الأسباب التي تدعو لقول الشعر القصصي أو الشعر التمثيلي، فلم يأت لهم فيهما شيء. وجاء شعرهم كله من النوع الغنائي. وقد بلغوا في هذا النوع درجة ممتازة، وذلك لعوامل كثيرة ساعدتهم على ذلك²

كثرة الشعراء في العصر الجاهلي:

"...وجدت نفضة شعرية في العصر الجاهلي، فكثرت الشعراء كثرة ظاهرة، حتى لم يستطع المؤرخون أن يحصوا جميع الشعراء، فقد فاقوا الحصر وكان في كل قبيلة شعراء، وكان عدد القبائل كثيراً، كما رأينا في أنسابهم. وبطبيعة الحال لم تتساو القبائل في عدد الشعراء، فالناس لا يتساوون جميعاً في المواهب، والشاعرية موهبة يمنحها الله لمن شاء، ومن ثم، فقد كان هناك من القبائل من كثر فيهم الشعراء، ومنهم من كان حظه منهم قليلاً، كما أن الشعراء لا يتساوون في النتاج، كما لا يتساوى الناس في الأعمال والآثار، فمنهم من ذاع صيته، وعلا نجمه، ومنهم من لم يكن له حظ الذيوع والانتشار، وقد ادعت كل

¹ شوقي ضيف مرجع سابق، ص 483.

² علي الخندي مرجع سابق، ص 276.

قبيلة أنها أكثر القبائل عددا في الشعراء، كما ادعت كل منها أن شعراءها أجود من غيرهم، ومن ثم حاول كثير من النقاد أن يقسموا هؤلاء الشعراء طبقات، وقد اختلف هؤلاء النقاد فيما بينهم على الأسس التي يقسمونهم عليها إلى طبقات، منهم من اتخذ الشهرة أساس التقسيم فراعى ذبوع الاسم، وانتشار الشعر، ومنهم من جعلها مبنية على أساس ما بقي من الشعر جملة، ومنهم من جعلها على أساس ما كان للشعراء من معانٍ وأساليب في طريقة التصوير الشعري؛ ومنهم من أسس التقسيم على الناحية الاجتماعية أو الغرض الشعري، أو الجهات التي كانوا ينزلونها، أو الديانة التي كانوا يعتنقونها، إلى غير ذلك من الاعتبارات التي رآها هؤلاء الدارسون صالحة لتقسيمهم طوائف تتميز كل منها عن الأخرى ببعض الأمور الخاصة حسب ما تبين لهم من دراساتهم¹.

أقسام الشعر وطبقات الشعراء: يقسم الشعر الجاهلي من حيث الكمية إلى شعراء مكثرين ومعتدلين ومقلّين.

يقسم الشعر الجاهلي من حيث الزمان إلى شعراء متقدمين ومتوسطين ومتأخرين. يقسم الشعر الجاهلي من حيث الإجادة إلى شعراء متفوقين وممتازين ومجيدين. فالمتفوقون هم أصحاب المعلقات شعراء الطبقة الأولى: امرؤ القيس، زهير، النابغة. والممتازون شعراء الطبقة الثانية: الأعشى، لبيد، طرفة. والمجيدون شعراء الطبقة الثالثة: عنتره، عروة بن الورد، ذريرد بن الصمة، المرقش الأكبر. فالشعراء الجاهليون كلهم مجيدون، ولكنهم متفاوتون في الإجادة، وهم طبقات كما سترى.

الطبقة الأولى: شعراء الطبقة الأولى هم أصحاب المعلقات السبع، ومنهم من زاد عليهم ثلاثة، ومنهم من جعل النابغة والأعشى موضع عنتره ولبيد. أما المقدمون على الجميع؛ أي المتفوقون، فهم: امرؤ القيس والنابغة وزهير. واختلف الناس في أي من هؤلاء أشعر من أخيه².

شعراء الجاهلية بحسب التاريخ:

أولاً: المتقدمون: يكثرون الغريب من الألفاظ والوصف، معظم شعرهم في وصف الوحوش والأودية القفرة الكثيرة الخطر، وأشهرهم: الشنفرى وتأبط شرّاً والمهلهل.

¹ المرجع نفسه، ص 277.

² مارون عبود، أدب العرب مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم، مصر، مؤسسة هنداوي

2013م، ص 51.

ثانيًا: المتوسطون: طالت قصائدهم وتنسقت معانيهم واتسعت ورقت أفكارهم، فرقت عبارتهم وتوسعوا بالأوصاف المختلفة. أشهرهم: امرؤ القيس وطرفة وابن حلزة وابن كلثوم.

ثالثًا: المتأخرون: نسجوا على منوال المتوسطين، ويمتاز شعرهم بدقة الوصف؛ وخصوصًا المحسوسات، والإسهاب حتى التمام، وأشهرهم: عنتره وزهير والنابغة والأعشى ولييد¹.

¹ المرجع نفسه 52.

• المحاضرة الحادية عشرة .

– الحضارة العربية الإسلامية

➤ عناصر المحاضرة:

- ✓ مصادر تاريخ الحضارة الإسلامية.
- ✓ خصائص، الحضارة الإسلامية.
- ✓ روافد الحضارة الإسلامية.
- ✓ دلائل الحضارة الإسلامية ..
- ✓ آثار الحضارة الإسلامية: في مجال العلوم والفلسفة والأدب والفنون.

إن الحديث عن حضارة عربية هو بالضرورة حديث عن حضارة إسلامية فلا يمكن فصلهما ، فبالإسلام كانت للعرب حضارة يشهد لها من كتبوا ونظروا للفكر الحضاري .

_مصادر تاريخ الحضارة الإسلامية:

الواقع أن الحضارة الإسلامية عالمية المنبع عالمية المصب، بمعنى أن المسلمون استفادوا من الحضارات السابقة ، واستوعبوا ما استفادوا قم قدموه للعالم عطاء حضاريا فذا¹

_ 1 القرآن الكريم:

هو التنزيل المحكم الذي انتظمت فيه القوانين، وقررت بواسطته القواعد التي انضبطت بها سلوك الأمة الإسلامية، ووفق تلك القوانين أقام المسلمون دولتهم وشيدوا حضاراتهم، وفي هذا الاطار نشأت وتطورت نظمهم السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، ومن هنا فإن القرآن الكريم هو المصدر الاول الذي استقت منه الحضارة الإسلامية في كافة مجالاتها و أصولها ومقوماتها وخصائصها. جاءنا الوحي الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم كاملاً غير منقوص لم يتغير أو يتبدل ، وهو بذلك يتميز على كتب الديانات الأخرى التي تناولتها أيدي الكُتّاب والمؤلفين والمترجمين بال حذف و الإضافة والتعديل والتحريف. وتنفرد الحضارة الإسلامية بين كل الحضارات باستقاء نظمها وتشريعاتها و قوانينها

1 محمد مؤنس عوض ، في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ، دار العالم العربي ، ط1، 2010م ، ص21.

من القرآن الكريم الذي سيظل منبع حيويتها و مصدر قوتها كلما أحست بحاجة أو استعصت عليها قضية أو مسألة من أمور الدنيا¹.

و قد طَبَّقَ المسلمون نظريات القرآن الكريم في الحكم و السياسة كما طبقوها فيما يتعلق بالإدارة و تنظيمها، وانتقلت هذه الأسس و تلك القوانين و النظريات لينتقل التطبيق الإسلامي إلى خارج شبه الجزيرة العربية ، لتتأكد صلاحية تلك النظم و القوانين لكل زمان و مكان².

ـ 2 السنة النبوية:

القرآن الكريم هو الأصل والمصدر الأول ثم جاءت السنة النبوية الشريفة لتشرحه وتوضح ما يصعب على المسلمين فهمه، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم إمام المسلمين وقائدهم ومعلمهم ومربيهم، ولقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين أمور دينهم و دنياهم وكانت أقواله و أفعاله تطبيقاً عملياً، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان قدوة للمسلمين، وعلى سنته سار المسلمون الأوائل وتبعهم التابعون والمسلمون من بعدهم، ولقد كان صلى الله عليه وسلم في بيته الأب الرحيم والنزول الملل، علم أهل بيته آداب الدنيا و طبقوها كما ينبغي لهم أن يفعلوا.

وكما يعتبر الفقهاء السنة النبوية مصدرًا أصليًا من مصادر التشريع فإن المؤرخين يتخذونها مصدرًا أوليًا من مصادر الحضارة ، الإسلامية، فقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية في المدينة واضعًا اللبنات الأولى لنظم الحكم والإدارة والاقتصاد والجهاد في سبيل الله، انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة عام 1 هـ / 622 م ليؤسس الدولة الإسلامية وليتخذ منه عاصمة لدولته في شبه الجزيرة العربية، ومن هنا كانت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المركز الأول للحضارة الإسلامية، ففيها تعلموا دقائق العقيدة وتفصيلاتها، كما تعلموا أصول الحكم والسياسة³.

وسار الخلفاء الراشدون على النهج الذي رسمه الرسول صلى الله عليه وسلم، طبقوا القوانين و الأحكام التي احتواها كتاب الله وأحيوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ليعمقوا المفاهيم والقيم الإسلامية ولمواجهة مطالب الأمة الإسلامية، ومع انتشار الإسلام مع حركة الفتوحات دخلت عناصر بشرية جديدة أسهمت في إثراء الحضارة الإسلامية وساعدت في تطورها، وسواء كانت هذه العناصر شرقية أو غربية أو إفريقية أو آسيوية، فقد ظلت الحضارة الإسلامية حافظة لأصولها الأولى التي ميزتها عن غيرها من حضارات الدنيا.

والحضارة الإسلامية بنظمها التي نشأت و تطورت في كنفها لم تكن حضارة متعالية متغترسة على غيرها من الحضارات حيث اقتبس المسلمون ما وجدوه ملائمًا ونافعًا لهم و طوروا ما عرفوه من نظم

¹ عبد الحليم عويس ، الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وأفاق المستقبل ، مصر ، الصحوه ، ط1، 2010م، ص25_28.

² عبد القادر ربح . مظاهر التقدم الفكري في الحضارة الإسلامية ، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات ، العدد13، 2015م، ص107.

³ المرجع نفسه ص108. و عبد الحليم عويس مرجع سابق ص29_31.

وأساليب حياتية في البلاد المفتوحة، وهم في ذلك الوقت أفسحوا المجال للمسلمين جميعاً لكي يضيفوا في تلك الحضارة، كما أنهم أعطوا فرصة لغير المسلمين في الإسهام معهم، فكان من الأطباء والمترجمون والكثيرون ممن عملوا جنباً إلى جنب مع علماء المسلمين و حظوا بالتقدير من حكام المسلمين وخلفائهم.

__ 3 المصادر المكتوبة:

المصادر المكتوبة كثيرة ومتنوعة، منها الكتب المدونة والوثائق الرسمية التي تحويها الأرشيفات الرسمية والرسائل المتبادلة بين الأمراء والحكام والخلفاء، والاتفاقات والمعاهدات. وتعد المصادر المكتوبة وخاصة الوثائق والمعاهدات والاتفاقات من الأصول الأولى لدراسة الجوانب الاقتصادية والإدارية في الحضارة الإسلامية إلا أن بعض هذه المصادر قليلة ونادرة ضاع معظمها وفُقد خلال الفترات التاريخية المتعاقبة التي تعرضت فيها الدولة الإسلامية لمحن خطيرة مثل غزو المغول لبغداد أو حريق الفسطاط حين طغت المصلحة الشلصية على واجب الأمة والجماعة. المصادر المكتوبة فكر المسلمين في عصوره المختلفة، فلم يتركوا مجالاً من مجالات العلم إلا طرّفوه وألّفوا فيه وقدموا دراسات وافية تعد من الأصول الهامة للعلوم والمعرفة الإنسانية، كتبوا في الفقه والتفسير واللغة، كما ألّفوا في العلوم والكيمياء والطب والشعر والنثر والجغرافيا، وجادلوا وعارضوا و ردوا الشبهات عن الإسلام، كما سجلوا الأحداث و دونوا الأخبار¹.

__ 4 المصادر الأثرية: وتشمل كل ما ترك المسلمون من آثار تتمثل في مساجدهم و مكباتهم وخاناتهم وريظهم ومدنهم و أسوارها وقلاعها والعملية على اختلاف أنواعها، و الطرز والأسلحة بكافة أشكالها ومختلف أنواعها إلى غير ذلك مما تحفل به الدنيا من آثار تركها المسلمون. وتعتبر الآثار الإسلامية من المصادر المعينة لدراسة الحضارة الإسلامية وللمسلمين آثار مبنية تنتشر في أرجاء الدنيا. و المسجد هو نقطة البدء في دراسة الآثار، فهو المصدر الذي استقت منه العمارة الإسلامية أصولها، ومن المسجد امتد العمران لتقام العواصم الإسلامية بمنشآتها و مؤسساتها الملتفة، وتعكس العمارة الإسلامية مستويات حضارية مختلفة تعبر عن العصور التي تمثلها. ومن الآثار الهامة لدراسة الحضارة الإسلامية تنصدر المدن التي شيدها المسلمون بطرزها المعمارية الملتفة سواءً ما أقيم منها كمدينة أو ما تحول منها بإقامة المساجد فيها إلى مدن إسلامية بعد الفتح، ذلك أن المدن بأسوارها وقلاعها و مكباتها و أسواقها وحماتها وفنادقها و حدائقها تعين على تفهم المستويات الحضارية الملتفة المرتبطة بالعصور التاريخية المتعاقبة تقدماً وانحطاطاً².

¹ ينظر: محمد مؤنس عوض، مرجع سابق، ص30.

² ينظر: المرجع السابق، ص30 و354.

والعملة و المسكوكات والنقود من المصادر الأثرية الأصلية في دراسة نظم و حضارة الإسلام، و العملة تعكس المستوى الاقتصادي للدولة التي أصدرتها وللعصر الذي تمثله، كما أن النقوش المضروبة عليها تتضمن ألقاب الملوك والخلفاء والسلاطين وتاريخ إصدارها، وتعين على تصحيح بعض المعلومات الخاطئة أو تأكيد الصحيح منها، كما تبين مدى التوسع الاقتصادي والانتشار التجاري من عصر إلى عصر. ولقد عرف المسلمون العملة و النقود منذ عصر الخلفاء الراشدين، وكان العصر الأموي هو العصر الذي شهد تعريب الدواوين الإسلامية و ذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الذي ضرب عملة عربية كانت من الفضة الخالصة سنة ،ولما ضربها عبد الملك أمر بالرسم عليها، فنقش عليها "قل هو الله أحد" فسميت الدراهم الأحادية، وكان الناس قبل ذلك يتعاملون بدراهم الفرس والروم. و إصدار العملة الإسلامية يوضح مدى حرص الدولة الإسلامية على استقلال اقتصادها،ويمكن للدارس أن يستنبط من دراسة العملة والمسكوكات استقلال الإقليم أو تبعيته، كما يستطيع أن يرسم الملامح الاقتصادية للعصر الذي تمثله هذه العملة أو تلك¹.

روافد الحضارة الإسلامية :

الحضارة الإسلامية إضافة إلى ما تملكه من مقومات ذاتية في بناء حضارتها غير أنها لم تحجب عن نفسها ما يمكن أن يزيد في تطورها فمما لاشك فيه، أنّ الحضارة الإسلامية كان لها روافد ساهمت في تطورها ونموها، ومن تلك الروافد ما اقتبسته من الحضارات القديمة من علوم ومعارف، وما ظهر عليها من تأثيرات خارجية يمكن تلخيصها فيما يلي:

ـ **التأثير الفارسي**²: كان التأثير الفارسي في الحضارة الإسلامية أقوى في مجال الأدب ، حيث كان الأدب الفارسي الشرقي أقرب إلى ذوق العرب وأحاسيسهم من الأدب اليوناني، وأيضاً في مجال العلوم كالمهندسة والفلك والجغرافيا، لكن تأثير اليونان في العلوم العقلية كان أقوى من تأثير الفرس.

ـ **التأثير اليوناني** : كانت الحضارة اليونانية ذات تأثير بارز و قوي في العلوم العقلية ،فنقل المسلمون عنهم في مجال الفلسفة عن أفلاطون و أرسطو بل احتل ارسطو مكانة بارزة في لدى فلاسفة الإسلام، وقد أخذ المسلمون من التراث اليوناني ما يتوافق مع الإسلام ونبذوا ما يتعارض معه³.

ـ **التأثير الهندي** : ومن العلوم التي أخذ فيها المسلمون عن الهنود :الرياضيات والفلك والطب.

¹ ينظر :المرجع نفسه ،ص82_83.

² ينظر :محمد مؤنس عوض ، مرجع سابق، ص20.

³ ينظر :المرجع نفسه ، ص296.و أ.س.رابوبرت ،مبادئ الفلسفة، تر :أحمد أمين ،مصر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2012م ، ص83.

وقد اتسمت الحضارة الإسلامية بسعة الأفق واستيعاب الحضارات الملتفة و تطورها بما يفيد البشرية كافة. و إذا كان المسلمون أخذوا عن الحضارات السابقة بعض العلوم فإنّ هذا لا يقلل من شأنها، لأنّ الترجمة كانت مرحلة من مراحل الابتكار العلمي الإسلامي وهذه المراحل هي:
_ النقل والترجمة _ الشرح والتفسير _ النقد والتصحيح _ الإضافة والابتكار.

خصائص، الحضارة الإسلامية:

الملاحظ أنّ لكل أمة من الأمم حضارة خصائص، خاصة بها، لأنّ حضارة أيّ أمة إنّما هي صادرة عن أفكار عقيدتها أو فلسفتها التي تؤمن بها والتي تمثل وجهة نظرها عن الحياة، وهذا هو سر اختلاف الحضارات وتمييزها. ومن هنا تميزت الحضارة العربية الإسلامية عن الحضارات الأخرى سواء القديمة منها أو الحديثة بما يلي:

1_ التوحيد و الوحدانية المطلقة: جاء الإسلام بعقيدة التوحيد التي تفرد الله تعالى بالعبادة

والطاعة، فليس هناك إله غير الله تعالى و أنّه وحده الخالق، وهو مالك كل شيء، لا ينازعه ولا يشاركه أحد، وهو وحده الذي يتوجه إليه بالعبادة ويلجأ إليه في الشدائد. وقد حرص الإسلام على تثبيت تلك العقيدة و ترسيخها، فأخى كل الجدل الدائر حول وحدانية الله تعالى، و رد على أباطيل اليهود والنصارى، و أقام القرآن الكريم الأدلة والبراهين بالدليل القاطع و المنطق الواضح على كل من جعل مع الله إلهًا آخر. وعليه، فإن من نتائج توحيد الله تعالى الحضارية أنّ الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي تحررت من مفاهيم الشرك و الوثنية وعبادة الطواغيت و الأصنام، فهي بذلك تحقق تحرير الإنسان أو بتعبير آخر ميلاد الإنسان¹ و صححت العلاقة بين الناس، و أزالّت القدسية عن أيّ بشر، و وقفت ضد كل من يدعي الألوهية و الربوبية والقدسية من هؤلاء البشر. فعقيدة التوحيد المطلقة أكسب الحضارة الإسلامية القدرة على الصمود في وجه التحديات، فبقيت ثابتة راسية.

2_ شمولية الإسلام و عالميته الإسلام دين تميز بالشمولية الظاهرة بوضوح في عطاء الحضارة

الإسلامية، فالدين الإسلامي يشمل كل النواحي الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الفكرية، كما يلي كل متطلبات الإنسان الروحية والعقلية والبدنية²، فالحضارة الإسلامية إنسانية الاتجاه، فهي حضارة لا تعرف حدودا زمانية أو مكانية أو عرقية، أي أنّها حضارة للإنسان أيّا كان أصله وأينما كان موطنه. فهي حضارة ساوت بين الناس في أصلهم وراعت العدل بينهم، وشملت بالرعاية كل من أقام في دار الإسلام مسلما وغير مسلم. و يتجلى الاتجاه الإنساني لهذه الحضارة بأنّ كان عطاءها للإنسان في شمولها وعالميتها، فقد أفاد من هذه الحضارة المسلم وغير المسلم على السواء، و الحضارة الإسلامية

¹ ينظر: سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، مصر، دار الشروق د.ت. ط، ص204.

² ينظر: المرجع نفسه، ص97_995.

بالتجاهها الإنساني فهي حضارة الرحمة والعطف ونشر الفضيلة، و تتميز بكونها "ليست جامدة متحجرة، وترعى كل فكرة أو وسيلة تساعد على النهوض بالبشر، وتيسر لهم أمور حياتهم، مادامت تلك الوسيلة لا تخالف قواعد الإسلام و أسسه التي قام عليها، فهي حضارة ذات أسس ثابتة، مع مرونة توافق طبيعة كل عصر، من حيث تنفيذ هذه الأسس بما يحقق النفع للناس " و السعادة الشاملة للبشرية.¹

3 _ الأخلاقية في المبادئ والأهداف: تسعى الحضارة الإسلامية إلى تكوين مجتمع تسوده القيم الخلقية والمثل العليا، ومن هنا فإن الحضارة الإسلامية تؤكد على سيادة القيم الخلقية في حياة الفرد والمجتمع. مما جعل هذه الحضارة تمتاز بالأخلاقية في المبادئ والأهداف عن غيرها من الحضارات، بحيث أن القيم الأخلاقية تدخل في الحكم و العلم والتشريع والحرب والسلم والاقتصاد و الأسرة تشريعا وتطبيقا حتى بلغت منزلة كبيرة في الحضارة الإسلامية لم تبلغها أي حضارة أخرى قديما وحديثا. حضارة راسية أصلها ثابت وفرعها في السماء.²

4 _ التوازن والوسطية و الإيجابية: فيما يتعلق بخاصية التوازن ففي الحضارة الإسلامية المتوازنة، لا يوجد جانب يهدم جانبا آخر، أو يطغى ويهيمن عليه. وفيما يخ، الإنسان ، نجد أنّ الحضارة الإسلامية ، لم تهتم بالجانب الروحي على الجانب المادي أو العكس، بل وازنت وجمعت بينهما. و أما خاصية الوسطية، فتعني استقامة المنهج، والبعد عن الانحراف، كما تعني العدل والاعتدال، بلا ميل ولا غلو شديد، ولا تقصير كبير، وهي كذلك دليل القوة، لأن الوسط هو مركز القوة، ومركز الوحدة، ونقطة التلاقي ، و دليل الخيرية. ووسطية الحضارة الإسلامية مستمدة من وسطية الإسلام كمنهج و كنظام حياة، ومن وسطية العقيدة الإسلامية.³

و من المميزات الهامة للحضارة الإسلامية، خاصية الإيجابية، الفاعلة المؤثرة، ففي طبيعة الحضارة الإسلامية ما يدفع ويجفز الإنسان للقيام بالحركة الإيجابية، وذلك لتحقيق منهج الله في صورة عملية المتمثلة في الإستللاف والعمران، فهذا الإنسان هو قوة إيجابية فاعلة في الكون الكبير الفسيح، وليس عنصرا سلبيا وتافها في نظامه، و الحضارة الإسلامية بهذا المفهوم، تكون منبعا لكل خير وصلاح، وتنشأ عنها آثار طيبة تزرع في النفوس حب الخير والتعاون، وتخرجهم من الكسل والسلبية والركود، كما تشعرهم بأهميتهم وقيمتهم في الحياة، كما تشعرهم بمسؤوليتهم الكاملة أمام خالقهم.⁴

_ آثار الحضارة الإسلامية في مجال العلوم:

إن الحديث عن المنجزات التي قدمها المسلمون في مجال العلوم يتطلب تبيان المسألتين التاليتين:

¹ ينظر: كريم جبر حسن ، أسس الحضارة الإسلامية ، لبنان ، دار هادي للطبع والنشر ، ط 2004م، ص 09 و 20.

² ينظر: كريم جبر حسن المرجع نفسه ، ص 163.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 11_12.

⁴ ينظر: سيد قطب ، مرجع سابق ، ص 162.

الأولى : منهج البحث الذي نهجه المسلمون في العلوم.

الثانية: العلوم التي قدمها العلماء المسلمون.

أولا : منهج البحث:

إن من يتلو القرآن الكريم ويتأمل آياته يدرك إلى أي مدى كانت دعوة القرآن الكريم إلى العلم والمعرفة. ويدرك كذلك أن القرآن الكريم قد رسم للمسلمين المنهج الحق في البحث في الفكر و العلم. مما كان له الأثر البالغ في هذه الثروة الفكرية والثروة العلمية اللتين تفلر بهما الحضارة الإسلامية على سائر الحضارات¹.

فمن حيث منهج البحث الفكري فإن القرآن الكريم قد دعا إلى المنهج الذي يرافق العقل و أحكامه، وهو منهج يقوم على الحجة والبرهان والدليل العقلي، و لا صحة لشيء إلا بدليل أو البرهان العقلي. وهو منهج يقوم على التثبت من النقل وعلى الفقه بقواعد فهم النصوص القرآنية والنبوية، وقواعد استنباط الأحكام منها، وضوابط القياس مما هو معروف في علم أصول الفقه، مما لم يتوافر في أي دين آخر أو نظرية وضعية، و أما منهج البحث في العلم فهو منهج دعا إليه القرآن الكريم في كثير من آياته واتبعه العلماء المسلمون في مجال العلوم التجريبية، وهو منهج يقوم على الملاحظة والتجربة² وهما طريق الوصول إلى الحقائق العلمية، وهذا ما أكده الحسن بن الهيثم، وهو المنهج العلمي الذي مازال قائما حتى اليوم، وقد أخذ الغرب عن " الحسن بن الهيثم " و زعموه " لروجر بيكون. " " فالمنهج العلمي التجريبي عند المسلمين ليس تصحيحا أو تعديلا لمنهج اليونان، بل ابتكارا يرتكز في فلسفته على النظرة إلى الكون والإنسان والحياة³.

وكما أن المسلمين انطلقا من عقيدة التوحيد ابتكروا وأصلوا منهج البحث العلمي، فإنهم أصلوا كذلك الصفات الخلقية والعلمية للباحث والعالم، فقد اشتروا في البحث التواضع والصدق والأمانة والنزاهة والعدل والبعد عن الهوى وتجنب التعصب والتحيز، كما اشتروا في الباحث اليقظة وقوة الملاحظة. والمسلمون هو الذين ربطوا بين العلم والدين. ذلك أن الإسلام جعل العلم بأسس الدين فريضة عينية، وجعل العلم بتفصيلاته وبالعلوم التجريبية والتطبيقية فرضا كفائيا، فلم يكن الدين عندهم عدوا للعلم كما هو الحال في عداة الكنسية للعلماء. كما أن المسلمين ربطوا بين العلم والعمل، وبين العلم والحياة، فلم يكن عندهم العلم نظريا ميتافيزيقيا تأمليا، وإنما كان وسيلة نافعة للأمة في مواجهة قضاياها وتيسير أمور معيشتها، وما يساهم في تقدمها المعنوي والمادي.

¹ ينظر: أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، مصر، دارالمعارف ط1، 1983م، ص27_28.

² ينظر: المرجع نفسه س29. و41.

³ المرجع نفسه ص44.

ثانيا :العلوم التي قدمها العلماء المسلمون:

في إطار منهج البحث العلمي عمل المسلمون في ميادين الطب والكيمياء والفيزياء والفلك والجغرافيا، وهم يعلمون أنهم في عبادة عظيمة يثابون عليها أعظم ثواب ما داموا باحثين في هذه العلوم، ومن أجل ذلك حالفهم التوفيق فألفوا واخترعوا، وكانوا سادة العالم في هذا المضمار، وفيما يلي لمحات عن هذه المنجزات العلمية، ذلك أنه من الصعوبة البالغة أن نسب القول فيها بإسهاب . ويوسع من أراد الاستزادة أن يطلبها من مظانها وهي كثيرة و أغلبها ميسور.

الطب:

الطب من العلوم التي اهتم بها المسلمون اهتماما بالغا، وكان لهم فيه منجزات عظيمة. يروي أبو القاسم صاعد الاندلسي في كتابه "طبقات الأمم": "أن المسلمين اهتموا بالطب بجانب اهتمامهم البالغ بلغتهم ومعرفة أحكام شريعتهم عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم": "تداواوا عبادَ الله، فإن الله لم يضع داء إلاّ وضع له دواء غير واحد" قيل: يارسول وما هو؟ قال:"الهَرْمُ"¹. ولقد أخذ المسلمون هذا الأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتجهوا إلى الطب، و نبغوا فيه، حتى صار الطلاب يأتون من جميع أنحاء العالم إلى مدارس المسلمين لنهل العلم من الطب والصيدلة وغيرهما من العلوم. و إذا تصفحنا قوائم الكتب والمؤلفات ك"عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة، و"الفهرست" لابن النديم وغيرهما، فإننا نستطيع أن نقف على ثروة علمية هائلة في الطب وهذه لم يُتلف منها إلاّ قسم ضئيل، وقد تُرجمت كلها إلى اللغات ال أوروبية. وهي تصدر خزائن الكتب الأوروبية وغيرها". ولقد بقيت كليات الطب في جامعات أوروبا تستند تماما في مقرراتها على إسهامات علماء المسلمين في الطب . "ويقول بير بور مان و مما لا يقبل الشك أن تأثير علماء المسلمين في الطب على أطباء أوروبا لا يحتاج إلى برهان" وهذا ما دفعني لتأليف كتاب "الطب الإسلامي في القرون الوسطى"².

_ الكيمياء:

إن المعارف التي انتقلت إلى المسلمين عن اليونان في الكيمياء ضعيفة، وما اكتشفه العلماء المسلمون من المركبات الكيماوية المهمة لم يكن لليونان لهم علم بها. يقول العارفون من علماء أوروبا إن المسلمين هم الذين وضعوا أسس الكيمياء بما كانوا يقومون به من تجارب، وبما كانوا يهيئونه من مستحضرات كيماوية استعملت في صناعات شتى كصناعة الورق والصابون والأصبغة والمفرقعات والأدوية، وقد نقل عنهم الغربيون هذه الصناعات وغيرها كالحرير الصناعي، والسجاد الصناعي، وصناعة الزجاج، والصبغة، وطلاي

¹ راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مصر، مؤسسة إقرأ، ط1، 2009م، ص29_31.

² المرجع نفسه ص102..

الخشب بما يمنعه من الاحتراق، وصناعة الورق ، كما نقل الغريون أكثر من خمسين اسما من الأسماء الكيماوية التي وضعها المسلمون كالكحول، والزنيخ، والقصدير. والعلماء المسلمون هم الذين اكتشفوا الكثير من الأحماض والأكاسيد، كزيت الزا (الكبريتيك)، وأكسيد الزئبق. و من أشهر الكيمايين " جابر بن حيان " صاحب كتاب " نهاية الاتقان "، وكتاب " السموم و دفع مضارها "، وهو من أندر المؤلفات، ورسالة الأفران وغيرها، وقد تُرجمت جميعها إلى اللغات الأوروبية. وفي مكنتات الغرب أكثر من مائة مؤلف لجابر في الكيمياء. و إلى جابر بن حيان نسبت الكيمياء وليس إلى غيره، و تُدعى " صنعة جابر ".¹

الرياضيات:

اهتم المسلمون بالرياضيات وبرعوا فيها، و بفضل ما قدموه من ابتكارات كانوا بحق مؤسسي علم الرياضيات. فهم أول من حدد تعريف هذا العلم وقالوا: " إنه علم غرضه إدراك المقادير. " و أطلقوه على الحساب والجبر و الهندسة والمثلثات. و إلى القرآن الكريم يعود نشاط المسلمين في هذا العلم، فقد أثار القرآن الكريم العقل الانساني، وجعل معرفة هذا العلم وسائر العلوم فرضا على الكفاية لارتباطها بحياة المسلمين الدينية والدينية، فقد كانوا في حاجة إلى الحساب والجبر لحساب الموارث والفرائض وغيرها، و إلى الهندسة لبناء المساجد وتحديد القبلة، و إلى المثلثات لبناء المآذن والجسور وتخطيط المدن وغير ذلك. وفيما وممن اشتهر ، **الخوارزمي الجبر والمقابلة**، وضع فيه أسس علم الجبر وقواعده. **برهان نصير الدين الطوسي** الذي يعتبر نقطة تحول في تطور الهندسة... الخ²

الفلسفة في الحضارة الإسلامية :

... كانت هناك بدايات في العصر الأموي ولكن لما جاءت الدولة العباسية عظمت حضارة المسلمين، وهضموا ما أخذوه بالفتح عن الفرس والروم والهند، ونقلوا علوم الأمم التي سبقتهم في المدنية ولا سيما الهند واليونان، وفي زمن أبي جعفر المنصور والرشيد والمأمون ومن بعدهم — ولا سيما المأمون — توسع الناس وخاصة في ترجمة علوم اليونان على اختلاف أنواعها: من طب وهندسة وهيئة وتقويم بلدان، وفلسفة بفروعها المختلفة من طبيعيات وإلهيات ومنطق ونفس وسياسة وأخلاق — ، فترجموا في القرن الثاني والثالث للهجرة كتب أفلاطون وأرسطو وإقليدس وبطليموس وجالينوس وغيرهم إلى اللغة العربية ، وبحثوا فيها وتداولوها يشرحونها مرة ويختصرونها أخرى، وخصص كثير من المسلمين حياتهم **لدراسة الفلسفة وتفهمها؛ فكانوا بعدُ فلاسفةً.**

¹ ينظر: أحمد فؤاد باشا ، مرجع سابق ، ص 154.

² المرجع نفسه ، ص 154-155.

...واستكشفوا من القوانين ما لم يصل إليها اليونان قبله،... ولهم الفضل على الغرب بكل ما نقلوا أو ابتكروا، فكثير من كتب اليونان وأبحاثهم ما كان يصل إليها الغربيون لولا حفظ العرب لها ودراساتهم إيّاها، كما أن كثيراً من مبتكراتهم واختراعاتهم تعد بحق من أسس المدنية الغربية¹.
وأول من اشتهر من المسلمين بالفلسفة يعقوب الكندي، ويلقب **فيلسوف العرب** لأنه عربي صميم تبحر في الفلسفة، وقد كان تابعاً للأفلاطونية الحديثة وتعاليم أرسطو أكثر منه فيلسوفاً مستقلاً، وأكثر ما له من الفضل جاء من ناحية الترجمة والنقل، وقد ظهر له في عهد المأمون والمعتمد كتب كثيرة بعضها ترجمة، وبعضها تأليف، وصل إلينا من أسمائها نحو **٢٥٦ كتاباً** عدها صاحب أخبار الحكماء وفهرست ابن النديم، ومات نحو سنة ٢٦٠ هـ².

وجاء بعده **أبو نصر الفارابي** المتوفى سنة ٣٣٤ هـ، عاش تحت كنف سيف الدولة بن حمدان، وكان يعرف لغات كثيرة، وبرز في الموسيقى والرياضيات وعلم اللغة والفلسفة، درس فلسفة اليونان ومهر فيها، وقد كان كالكندي تابعاً للأفلاطونية الحديثة وإن لم يعرف هو هذا الاسم (وتعاليم أرسطو، وكان معشوقه من فلاسفة اليونان أرسطو حتى قيل: إنه وجد (**كتاب النفس**) لأرسطو وعليه بخط الفارابي إني «قرأت هذا الكتاب مائة مرة» وقد لقب بالمعلم الثاني — والمعلم الأول هو أرسطو — حلّه معميات الفلسفة اليونانية، وكان الفارابي كسائر فلاسفة المسلمين يرون أن الإسلام من قرآن وسنة حق، وأن الفلسفة حق، والحق لا يتعدد، فوجب أن تكون الفلسفة والإسلام متفقين.
"وقد ترك تراثاً فلسفياً غنياً:

إحصاء العلوم — الألفاظ المستعملة في المنطق — كتاب الواحد والوحدة — كتاب الجدل — الجمع بين رأيي الحكيمين. — كتاب الحروف — كتاب العبارة — كتاب البرهان — آراء أهل المدينة الفاضلة"³
إخوان الصفا :

ومن لهم أثر كبير في الفلسفة الإسلامية جمعية شبه سرية تسمى **إخوان الصفا** اجتمعت في البصرة نحو منتصف القرن الرابع للهجرة، وكان قصدهم نشر المعارف بين المتعلمين في جميع الأقطار الإسلامية، وتغيير أفكارهم الدينية فألفوا إحدى وخمسين رسالة ضمنوها خلاصة أنواع العلوم المعروفة لعهدهم، فهي تشتمل على معارف العرب إذ ذاك باختصار، وكانت تعاليمهم فيها كذلك مزيجاً من أبحاث الافلاطونية الحديثة و ما قاله أرسطو في العلوم الطبيعية وما قاله الفيثاغوريون في العدد والرياضة.
وكان لها أثر كبير في العقول بانتشارها بين الناس.¹

¹ أ.س. رابويرت، مبادئ الفلسفة، تر: أحمد أمين، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، ص83. أشار المترجم أن هذا الفصل المتعلق بتاريخ الفلسفة في الحضارة الإسلامية (قد أدرجه من باب تمام الفائدة.

² المرجع نفسه، ص84.

³ ينظر: محمد مؤنس عوض، مرجع سابق، ص297.

وكان لأبي علي بن سينا . شهرة فائقة في الفلسفة، وفلسفته — تقرب من الفلسفة الأرسطاطاليسية الصرفة، وربما كانت أقرب فلسفات المسلمين إليها، وكتابه (القانون) كان العمدة في الطب في القرون الوسطى عند الشرقيين والغربيين معًا، وله فضل كبير في نشر الفلسفة بين الناس بمؤلفاته العديدة _الشفاء_ _الإشارات والتنبهات_ _رسالة القدر²_ ولا سيما الإلهيات والمنطق، هذا إلى كثير من أمثال هؤلاء الفلاسفة؛ كالبيروني، وابن مسكويه، وابن الهيثم. وقد كان انتشار الفلسفة بين المسلمين في القرن الثالث والرابع والخامس للهجرة سببًا في حركة جديدة قام بها المتكلمون — علماء الكلام — يريدون بها مقاومة تعاليم أرسطو وأفلاطون والأفلاطونية الحديثة المتعلقة بالإلهيات، أو الرد عليها ودحضها، فنشأ من ذلك أبحاث كلامية كثيرة، فبحثوا في العلة والمعلول والزمان والمكان.. الخ والحركة والسكون، والجوهر الفرد والدور والتسلسل ونحوها، ولم تكن ردودهم موجهة إلى الفلاسفة فحسب، ..ومن أعلام هذه الطريقة: أبو الحسن الأشعري، وإمام الحرمين، والباقلاني، ولكن أحدًا منهم لم يخص الفلسفة بالظعن ولا رد عليها من جميع جهاتها حتى جاء أبو حامد الغزالي ، فدرس الفلسفة اليونانية درسًا دقيقًا — كما حدث هو نفسه ثم حمل عليها حملة شديدة من جميع جهاتها، وألف في ذلك كتابه المشهور (تهافت الفلاسفة)، وكفر الفلاسفة لبعض تعاليمهم، وأظهر منافاة الفلسفة لتعاليم الدين، ودعا الناس إلى الرجوع إلى دينهم الصحيح الخالي من الفلسفة، ورغب في التصوف، وأبان أنه الطريق الحق إلى الله، وكان بليغًا في قوله، مخلصًا في حديثه، سهل العبارة، قوي الحجة، فأثر ذلك في المسلمين أثرًا كبيرًا، وكان من آثاره أن حول الناس عن الاشتغال بالفلسفة، ورجعهم إلى الكتاب والسنة، وأعلى شأن التصوف والصوفية وحب ذلك إلى الناس، وسار على طريقة الغزالي كثيرون من بعده³.

هذا مجمل حال الفلسفة في الشرق، أما في المغرب — أعني في الأندلس وشمالي إفريقيا — فقد ازدهرت الفلسفة حينًا أكثر من إزهارها في الشرق، وكان فلاسفة الأندلس والمغرب أكثر ابتكارًا من فلاسفة المشرق، وكان يندر بين مسلمي الأندلس الخلاف في العقائد والمذاهب كالذي كان عند المشاركة، فكلهم — إلا القليل — مالكيٌّ سُنيٌّ، أخذوا الفلسفة عن أهل المشرق؛ فقد كان منهم رُحَّلٌ إليه، رحلوا عن طريق القاهرة وبلغوا في الرحلة حتى إلى فارس وانتفعوا بعلومهم، وكان حكامهم يرسلون في شراء الكتب إلى الأقطار رجالًا من التجار، فجمعوا كتبًا جمَّة، فاشتغل الأندلسيون بالرياضة والعلوم الطبيعية والتنجيم والطب بعد أن نقلت إليهم كتب الفارابي ورسائل إخوان الصفا وطب ابن

¹ أ.س. رابوبرت، مبادئ الفلسفة ، مرجع سابق، ص 85.

² محمد مؤنس عوض ، مرجع سابق، ص 299

³ أ.س. رابوبرت ، مرجع سابق، ص 85.

سينا. وقد تعاون المسلمون واليهود معًا على الاشتغال بالفلسفة في الأندلس، ولم يلبث أن نبغ منهم كثيرون، مع مقاومة العامة وأشياعهم مقاومة أشد من مقاومة المشاركة¹.

ومن أشهرهم:

ابن باجة، وقد اتبع تعاليم الفارابي وأبو بكر بن طُفَيْل، الذي اشتهر بكتابه **حي بن يقضان**. و ابن رشد، وهو أشهر فلاسفة الأندلس على الإطلاق كان يعتبر أرسطو أكبر الفلاسفة، وقد شرح تعاليمه حسبما وصلت إليه، ودافع عن الفلسفة وألف كتابه **(هافت التهافت)** ردًا على الغزالي في طعنه على الفلسفة، وأبان في كتب أخرى أن الفلسفة لا تناقض الدين، وألف في ذلك كتابًا صغيرًا سماه **فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال**، وأكثر مؤلفاته لا توجد بالعربية، وإنما موجود ترجمتها، من ذلك شرح أقوال أرسطو مع الرد على الغزالي، رتبت وطبعت باللاتينية في البندقية سنة ١٥٦٠ م، في أحد عشر مجلدًا، وتُرجم له كتاب في الطب طبع كذلك في البندقية، وله كثير من المؤلفات مترجم إلى اللغة العبرانية، وكان لفلسفته شهرة في الكنائس والمدارس الأوروبية منذ القرن الثالث عشر الميلادي. وبانتهاء القرن السادس الهجري تقريبًا وقف المسلمون عن البحث الفلسفي والنظر في العلوم الكونية، ولم يكن العلم إلا نقلًا، فالمؤلف ينقل عمَّن قبله فحسب، ولم ينبغ منهم نابغ مبتكر ذو شخصية ظاهرة إلا ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ؛ فإنه بإجماع الشرقيين وكثير من الغربيين، **مخترع فلسفة التاريخ أو علم الاجتماع**، وأكبر الباحثين فيه في الشرق والغرب إلى القرن التاسع عشر الميلادي فبحث في الملك والكسب والعلوم والصنائع؛ (أحوال العمران)².

الشعر في صدر الإسلام:³

شغل القرآن العرب ففتر النظم، ولكنها فترة قصيرة، وهي التُّخْم الفاصل بين الجاهليين والمخضرمين والأمويين، ونحن قد ألحقنا المخضرمين بالأمويين لأسباب:

1_ النعمة القرآنية أفادتهم كما أفادت الأمويين لقرب عهدهم بها؛ فنفس حسان والفرزدق واحد، وجريز ككعب بن زهير، ومثله الأخطل وإن كان نصرانيًا. وربما علت طبقة الأمويين على المخضرمين في البلاغة.

2_ لأن الشعراء كانوا أعز نفسًا وأرفع منهم شأنًا في دولة بني العباس .

3_ لأن مسحة الفطرة الجاهلية ظاهرة في شعرهم، فهم والمخضرمون طبقة واحدة، لا يتخللها فاصل.

¹ المرجع السابق، ص 86.

² المرجع نفسه، ص 87.

³ مارون عبود، مرجع سابق، ص 93.

الفترة الأولى: كان الشعر ديوان العرب وعليه تقوم العصبية، فألغاهما الإسلام بقوله: المسلم أخو المسلم ثم آية: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾¹ إلخ. ولكن بعد مدة أجاز النبي سماع الشعر وأثاب عليه، وكان للدعوة أنصار وأضداد، فكان في الشعراء معارضين للنبي وشعراء يناصرونه.

الفترة الثانية: في أول عصر الراشدين — عصر الفتوح — خمدت القرائح قليلاً، وذلك ما يحدث في كل الأمم لانشغال النابغين، إلى أن انتظمت الأحزاب السياسية فصار لكل حزب سياسي شعراء يناصرونه. وقد قامت الصحف في عصرنا مقام الشعراء¹.

ولكن تكوّن الأحزاب، بعد أن استراحوا من الفتح، قوى الشعر وهاج القرائح، وكثّر الشعراء بكثرة الأحزاب، فكان لكل حزب من الأحزاب التي ذكرناها شعراء، يكثرون ويقولون بحسب أهمية الحزب، وقد كان أكثر الشعراء مناصرين للأمويين؛ لأن ييدهم مفاتيح بيت المال.

شعراء علي: النعمان بن بشير الأنصاري، ساير بني أمية لكنه كان متعصباً — للأنصار، وهو الذي رد على الأخطل عندما هجاهم. ابن مفرغ الحميري، ساير الأمويين وهجا أهل زياد. أبو الأسود الدؤلي، تحزب لعلي ولم يطعن ببني أمية. ابن زيد، ساير العلويين والهاشميين. أنصار الخوارج: الطرماح بن حكيم وإسماعيل بن يسار. والطرماح بن — حكيم مرّ الهجاء.

أنصار بني أمية: مسكين الدارمي: بث الدعوة بولاية العهد ليزيد بن معاوية — .

— الراعي: أبو العباس الأعمى: مدح الأمويين وهجا ابن الزبير —

الذي بايعه أهل الحجاز أعشي ربيعة، وغيرهم.

ومن أشهر شعراء بني أمية: جرير والأخطل والفرزدق.

من هنا ترى أن الشعر تطور، لا في أساليبه التي ظلت كما كانت — إذا

استثنينا روح القرآن؛ أي التحريض على نيل الشهادة وإعلاء كلمة الله في أيام

الفتوحات — بل تطور في غايته، وتقدم هذا التطور بنوع خاص في الهجاء؛

لا سيما السياسي، ومنه تدرجوا إلى الهجو الأدبي.

صفات الشعر

١ الإيجاز.

٢ قوة التعبير .

فالقليل من الحضارة الذي توصل إليه هؤلاء الشعراء أضعف فيهم النزعة الفطرية،

فقصروا فيها، ولم يمكنهم التألق في المعيشة الذي حصل لمن أتوا بعدهم، ولذلك لم يدركوا

شأو العباسيين بالرقرة والتصرف بالمعاني، إنما تقدم الهجو فقط في هذا العصر.

¹المرجع اتلسابق. ص.94.

أغراضه (١ : (نشر عقائد الدين) ٢٠ (الهجاء) ٣٠ (وصف القتال وحصار المدن وفتحها.
المدح، وليس إلى حد المبالغة) ٥٠ (الغزل.

—العصر الأموي — ٦٤ . ١١٠ —

في هذا العصر نظم شعراء عديدون وأكثرهم أنصار بني أمية؛ لأنهم — كما قلنا —
أصحاب بيت المال كلهم تعرضوا للأحزاب، ولكن فريغاً بينهم نظم في غير الشعر السياسي؛ أي
الغزل. أشهرهم الأخطل ورفاقه، والراعي والأحوص، واختص بالغزل ابن الخطاب وابن معمر.
الهجاء: نحا الهجاء في هذا العصر نحوًا جديدًا.

١ (فيه فخر وإشادة بفضائل قبيلة الشاعر في الجاهلية والإسلام) .

٢ (ذم وتشهير بالمهجو وقبيلته في القديم والجديد.

العصر العباسي :

الشعر خاصة: لم يضعف الشعر في هذا العصر، بل قوي ونما وتطور في ألفاظه
ومعانيه وأوزانه وقوافيه وأغراضه وفنونه.

ألفاظه: رقت وسهلت فبعدت جدًّا عن ألفاظ الشعراء في العصر الإسلامي أيام — جرير والفرزدق
والأخطل. فإذا قرأت شعر بعضهم كمسلم بن الوليد وأبي العتاهية والعباس بن الأحنف فكأنك تقرأ
كلامًا منثورًا، لولا الوزن والقافية. معانيه: تطورت معاني الشعر فانصرفوا عن المعاني البدوية، أو المعاني —
البدوية المتأثرة بالحضارة، إلى المعاني الحضرية الصرف. فبعد أن كان الشعر الإسلامي يصدر عن الطبع
بلا تكلف، أصبح متحضرًا يسيطر عليه العقل، ويرده إلى ميدان الخيال الفسيح، وإذا عدا الشاعر ذلك
عدوه منه تقصيرًا عن الإتقان الفني.

أوزانه: ورغب الشعراء عن الأوزان الطويلة، وفضلوا عليها الخفيفة السهلة — القصيرة، ولاءموا بينها وبين
موضوعاتهم، فاختاروا للغزل والمجون أوزانًا ثلاثمها، وإذا مدحوا الخلفاء والوزراء أو رثوا أو جدُّوا في أمر،
فضلوا الأوزان الطويلة. ويسروا على أنفسهم في القوافي، واختاروا أسهل الألفاظ وأحبها للسمع، وتجنبوا
عيوب الشعر: كالإيطاء والإقواء والإكفاء والسناد.

أغراضه: لم يطل عهد الشعر السياسي في هذا العصر إذ لم تبق حاجة — إليه، ورغب الخلفاء عنه فأصبح
الشاعر لدى الخليفة كالنديم له، وذلك بعد انحلال الأحزاب، فضعف الشعر السياسي حتى أصبح
كنوع من الهجاء يقوله الشاعر متقيًا، عند سنوح الفرصة.

الغزل: أما الغزل العذري، فأضحى إلا قليلًا؛ لأن العفة والطهارة لم تكن من مميزات هذا العصر، فالجوازي
والغلمان كانت تباع في الأسواق بيع السلع. أما الغزل العادي فتطور ولم يعد صورة صادقة للعاطفة
وميل النفس، وبقي محفوظًا كفنٍّ موروث لا ينبغي أن يضيع.

بدعة جديدة: وظهرت بدعة جديدة في الغزل، استنبطها فساد البيئة وكثرة الرقيق، وهذا الغزل هو المعروف بغزل المذكر، وهو وصمة في جبين أدبنا.

الهجاء: أما الهجاء فازداد قبحًا وإقذاعًا وفحشًا يبحث فيه عن السيئات.

المدح: وأما المدح فتجاوزت فيه المبالغة الحد، وبعد فيه الشعراء عن الاعتدال الذي هو من مميزات الطبع العربي الخالص، فانحطَّ به بعض الشعراء واتخذوه أداة لكسبهم بلا حياء ولا كرامة.

المجون: وأشد الشعر نموًا في هذا العصر، شعر المجنون ووصف الخمر، وهو ما نسميه بشعر القصور، فتهالك الناس عليه لفساد أخلاقهم وانحلال روابطهم الاجتماعية، وتسلبت الإمامة على الحياة المنزلية واستثارهن بمكان الحرائر، وإتقانهن العربية وآدابها، وبروزهن للناس واشتراكهن في حياة العبث واللهو جهراً، وتسلبت الرقيق من غلمان الترك والروم على نفوس الزعماء والسادة، حتى صاروا يدبرون القصور والثروة كما يرغبون. وساعد أيضاً على اشتداد هذا النوع من الشعر، ظهور المذاهب الفلسفية والمقالات الدينية وتسلبت الشك على النفوس.

الزهد: وظهر فن جديد، وهو الزهد، دعا إليه اتصال العرب بالفرس وانتشار الحكمة الفلسفية الفارسية والهندية. ظهر في شعر أبي العتاهية، كما ظهر في نثر ابن المقفع.

الشعر التعليمي: وظهر نوع جديد من الشعر هو الشعر التعليمي؛ أي نظم فنون العلم شعراً ليسهل حفظها؛ كنظم كليلة ودمنة، وقصائد في الفقه.

الوصف: أما الشعر الوصفي فتبدل واشتد، فبعد أن كان البدوي يصف ناقته وخيله وصحراءه، وصفوا الحضارة وقصورها والبساتين والخمارات والكفوس والصيد، فوصفوا هذا الأخير كما كان يفعل الفرس، فدققوا في وصف الكلاب والجوارح، وكان الرجز أداة لهذا الوصف.

• الماخزة 12.

- حاضرة المايا.

➤ عناصر الماخزة

✓ نشأة حاضرة المايا.

✓ التاريخ السياسي.

✓ المعتقدات الدينية.

✓ النشاط الاقتصادي.

✓ العلوم والفنون والأدب في حاضرة المايا.

نشأة حاضرة المايا

قامت حضارتهم في أمريكا الوسطى التي تأسست سنة 300 م واندثرت بسبب الكوارث الطبيعية سنة 900 م، ثم عادت إلى الظهور في القرن العاشر الميلادي، وبقيت مجهولة حتى اكتشفت مصادفة سنة 1840 م. امتازت بوجود كتابة تصويرية، مع ازدهار الفلك والعمارة : ترجع أصول شعب المايا إلى الهنود الحمر الأمريكيين الذين أسهموا في بناء حضارة في أمريكا الوسطى .ووصلت حضارة المايا أقصى مراحل تطورها الكبرى في منتصف القرن الثالث الميلادي واستمرت في الازدهار لأكثر . من ستة قرون ففي المراحل المبكرة شكلت مقاطعة إلبتين، في جواتيمالا الحالية، قلب حضارة المايا، ومن الجائر أن المزارعين الأوائل استقروا في هذه المنطقة منذ 2500 ق .م، بحثاً عن الأراضي الزراعية، وسكن هؤلاء الناس في قرى صغيرة وجمعوا الغذاء من الغابة المجاورة بالإضافة إلى زراعة المحاصيل.

وبحلول القرن التاسع قبل الميلاد كانت الأراضي المنخفضة للمايا مأهولة بالسكان برمتها .وآنذاك، كانت مجموعة من الهنود الحمر المسماة أولميك تعيش في منطقة توجد غربي المايا، وربما كان الأولميك من أمريكا الوسطى، هم الذين اخترعوا الأرقام والكتابة، وكان لهم كذلك فن متطور حسب نموذج الحضارة عندهم، وأثرت حضارة الأولميك في تشييد الأهرامات ونحت تماثيل حجرية.

وبالإضافة إلى ذلك، بدأت صور من الإله نمر (.اليعور لدى الأولميك تظهر في بلاد المايا13)

فالمايا هم أهم شعوب أمريكا القديمة، وقد سكنوا في المقاطعات المكسيكية الحالية: هندوراس وغواتيمالا. كانت هناك نحو عشرين قبيلة هندية حمراء تتكلم لهجات المايا ولكن كان التفاهم فيما بينهم يتم بصعوبة، أما بالنسبة لطبقة الكتاب قليلة العدد فكانت هناك لغة مكتوبة تستخدم نظام هيروغليفي واحد للكتابة في كل مدنهم.

كانت تحكم المايا أربع مجموعات من رؤساء: القبائل، ولكن عند الخطر كان ينتخب رئيساً (واحدًا قائداً على للجيش

2- التاريخ السياسي:

وقد مرّ بعدة مراحل:

-المرحلة الكلاسيكية: امتدت حضارة المايا من منتصف القرن الثالث الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي، وخلال هذه المرحلة أسس المايا أكبر مدنهم وحققوا إنجازاتهم المتميزة في مجالات الأدب والعلوم. وبالإضافة إلى ذلك، بدأ المايا ممارسة تشييد النصب التذكارية تخليداً للأحداث المهمة في حياة قادتهم. وفي القرون الثلاثة الأولى في المرحلة الكلاسيكية كانت المدينة المكسيكية، تيوتواتكان مركز إمبراطورية كبيرة. وكان لحضارة تيوتواتكان تأثير قوي في فن ومعمار المايا، وأثر مؤقتاً سقوط تيوتواتكان الذي حدث في القرن السابع الميلادي على المايا، ومثال ذلك أن المايا أوقفوا حركة البناء في مدنهم وأوقفوا تشييد النصب التذكارية، وبعد مدة قصيرة دبت الروح مرة أخرى في حضارة المايا واستمرت في التطور لمدة ثلاثمئة سنة إضافية. ومع بداية القرن التاسع الميلادي، شيد المايا النصب التذكارية في كل مدينة، وتحلوا عن مراكزهم الرئيسية في الأراضي المنخفضة الجنوبية الواحد بعد الآخر، وفي النهاية غادروا المنطقة بصفة نهائية، وما زال العلماء يحاولون اكتشاف الأسباب التي أدت إلى انهيار مجتمع المايا، ويعتقد بعض الخبراء أن الانهيار يمكن أن يكون ناتجاً من عوامل مثل المرض وتلف المزروعات وانتقال مجموعات بشرية بشرية أخرى إلى منطقة المايا، ومع ذلك، يرى عدد من المؤرخين أن مزارعي المايا ثاروا ضد حكومة الرؤساء والكهنة لسبب ما، وساهموا بذلك في انهيار مجتمع المايا.

-المرحلة المكسيكية: بقيت مراكز المايا في شمال يوكاتان مائة سنة بعد أن تلاشت مراكزهم الموجودة في الأراضي المنخفضة الجنوبية، وحتى بعد أن هجر المايا المراكز الشمالية، استمرت بقيتهم في العيش في تلك المنطقة. وفي منتصف القرن العاشر الميلادي، غزا التولتيك وهم شعب جاء من الأراضي المرتفعة لوسط المكسيك يوكاتان، وأسسوا إمبراطورية في المكسيك عاصمتها تولا، في شمال ما يعرف اليوم بمكسيكو سيتي، واستولوا على المدينة القديمة للمايا، تشيشن إيتزا، وحكموا جميع السكان في شمالي مايا، وأثر التولتيك في فن وهندسة المايا، وأدخلوا عبادة الإله الثعبان المريش سموها كوكولكان. وانهارت تولا في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، وانتهى حكم التولتيك ليوكاتان في القرن الثالث عشر الميلادي.

وعقب نهاية حكم التولتيك شيدت مجموعة من زعماء المايا عاصمة في مايا بان وأعاد المايا بناء ثقافتهم من جديد حيث شيدوا مسلات حملت نقوشا. ومع ذلك، ظهرت تحولات في مجتمعاتهم، فغلبت التجارة على المعتقدات الدينية التي كانت مهيمنة على ثقافة المايا، وأصبحت مدن المايا مراكز تجارية مزدهرة، وبدأ الناس يديرون التجارة بحرية ونشاط.

ثار بعض زعماء مدن المايا على حكام مايا بان وهزمهم نحو سنة 1440 م، وبعد هذا أصبحت يوكاتان مقسمة إلى ولايتين. في بداية القرن السادس عشر الميلادي، استولى الغزاة الإسبان على بلاد المايا، ونحو منتصف القرن السادس عشر الميلادي، قضوا تقريباً على ما تبقى من المايا وما بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين

شكلت مدن المايا عصابة لدرء الأخطار الخارجية، وفي القرن السابع حدث انهيار لمراكز حضارة المايا في وسط شبه جزيرة يوكاتان وذلك بسبب المجاعات التي نشأت عن ضعف مردود الزراعة الناجم عن فقر التربة، أو بسبب تمردات وحروب أهلية، فغادر السكان المدينة القديمة إلى الأدغال، ولكن ازدهرت مدن جديدة في شمالي شبه جزيرة يوكاتان.

في الوقت نفسه هرب الكثير من السكان من المدينة الكبيرة تيوتيهواكان، ربما أمام قبائل التولتيك التي كان يقودها رؤساء من عائلات نبيلة، وأسس التولتيك مملكة لهم وكان على السكان أن يدفعوا جزية لهم، وربما كانت غواتيمالا موطن التولتيك.

أسس عام 650 م الملك الكاهن التولتيكي ومن خلال كتابات Tula. العاصمة تولا مكتشفة أمكن معرفة تسعة ملوك تولتيكيين توالوا على الحكم ووسعوا مملكتهم في مكسيكو الحالية. قامت في منتصف القرن العاشر 950 (م) حرب أهلية دمرت بنتيجتها مدينة تولا. توقفت الحضارة عن التطور في السنوات التالية في أمريكا الوسطى بسبب المجاعة والطاعون، وبدأ تدهور حضارة المايا في شمال يوكاتان في الربع الأول من القرن الثالث عشر، بقيت لغة المايا محفوظة ومعها هيروغليفية المايا، وهي كتابة نصف صورية يحاول العلماء (تفسيرها 16) 3-

المعتقدات الدينية:

عبد شعب المايا عدة آلهة وإلهات كغيرهم من شعوب ذلك العصر، وهناك مخطوط للمايا يذكر أكثر من 160 من هذه الآلهة، ومثال ذلك أن المايا عبدوا إلهاً للذرة اسمه أهمون، وإلهاً للمطر عُرف باسم شاك، وإلهاً للشمس اسمه كنيش أهو، وإلهاً للقمر اسمها إكسشيل، وكان كل إله أو إلهة يُربط على جزء من حياة المايا، فكانت إكسشيل مثلاً لإلهة الطب والغزل.

وأثر الدين في الحياة اليومية للمايا تأثيراً كبيراً، وكان لكل يوم في سنة المايا أهمية دينية خاصة، وكانت الاحتفالات الدينية تقام على شرف آلهتهم في أيام خاصة خلال السنة، وزعم المايا أن آلهتهم ذات قدرة على المساعدة والإيذاء. ومن أجل الحصول على مساعدة الآلهة، كان المايا يصومون ويصلون، ويقدمون

القرايين وفق معتقداتهم، وقيمون احتفالات دينية عديدة. وكانت الأيائل، والكلاب، والديكة الرومية تُدبح قرايين للآلهة تقريباً وتضرعاً، وكان المايا غالباً ما يقدمون دماءهم والتي كانوا ينشرونها على أجزاء من الورق المصنوع من لحاء (قلف) الأشجار، وقدم المايا بعض القرايين البشرية، مثل إلقاء ضحايا في آبار عميقة أو قتلهم في مآتم القادة الكبار، وفي المدن، بنى المايا أهرامات عالية من الأحجار الكبيرة، وأقاموا على رأسها معابد. وكان الكهنة يتسلقون درجات الأهرامات وقيمون الشعائر الدينية في المعابد، وكانت الاحتفالات الدينية الكبرى التي تتعلق بالسنة الجديدة عند المايا من الطقوس المقدسة وتُقام لكل شهر احتفالات.

ويؤدّي المايا شعائر خاصة عند دفن الموتى؛ فالجثث تُصغ بالأحمر وبعد ذلك تُعطى بحصير من التبن ويوضع معها بعض الممتلكات الشخصية، ثم تُدفن تحت المنازل، بينما يدفن حكام المايا والشخصيات المهمة الأخرى، مع حليّهم النفيسة في الأهرامات.

وكان الخدم يُقتلون ويدفنون معهم، إلى جانب المجوهرات وأدوات المنزل، لاستعمالها في العالم الآخر (وتألقت مدن المايا من بيوت خشبية مغطاة بالقش وتقوم حولها المعابد الهرمية المخصصة لعبادة الآلهة المختلفة كالشمس والقمر والنجوم وآلهة المطر والمريخ والأرض، كانت هذه الآلهة بالنسبة للمايا تتحكم بكل فصول السنة وبنمو محاصيل الحقول، وكان كهنة المايا منجمين كباراً استطاعوا التنبؤ بكسوف الشمس وخسوف القمر

4- النشاط الاقتصادي:

شارك المايا في شبكة تجارية ربطت بين عدد من المجموعات في أمريكا الوسطى وصدّر شعب المايا في الأراضي المنخفضة عدداً من المواد، من بينها مصنوعات يدوية ومنتجات خشبية وجيرية وفراء النمر، واستوردوا أحجار اليشم والزجاج البركاني وريش الطائر المسمى الكترول من مرتفعات جواتيمالا. أرسل المايا الساكنون في شبه جزيرة يوكاتان الملح والمنتجات القطنية المزخرفة إلى الهندوراس، وفي المقابل، حصلوا على ثمار الكاكاو التي استعملوها لإنتاج الشوكولاتة. ونقل المايا المنتجات عبر مسافات بعيدة حتى سهل وادي واهাকা في المكسيك ومدينة تيوتواكان، قرب ما يعرف اليوم بمدينة مكسيكو سيتي. ونقلوا أغلب المواد والمنتجات على أكتافهم أو على قوارب صغيرة عبر الأنهار. لم يعرف المايا.

العلوم والفنون في حضارة المايا:

أنتج شعب المايا نماذج مرموقة من فن العمارة والتصوير التشكيلي والحزف والنحت، وحققوا تقدماً كبيراً في علم الفلك والرياضيات وطوروا تقويماً سنوياً دقيقاً. وكانوا أحد الشعوب الأولى في النصف الغربي للكرة الأرضية، حيث كان لديهم شكل متطور للكتابة. وعاش شعب المايا في مساحة تقارب 311 ألف كم²، وقُسمت في الوقت الحاضر أرض المايا بين عدة بلدان من أمريكا الوسطى. فهي تتكون من الولايات المكسيكية كامبيشي، ويوكاتان، وكوينتانا رو

وجزء من ولايتي تاباسكو، وتشياباس، كما تضم كذلك بليز ومعظم جواتيمالا، وأجزاء من إلسلفادور والهندوراس، ويوجد مركز حضارة المايا في الغابة المدارية للأراضي المنخفضة في جواتيمالا الشمالية، وتطور في هذه المنطقة عدد من مدن المايا المهمة، مثل: ببيدراس نيكراس، وتيكال و أوكساكتون.

وبحلول القرن العاشر الميلادي تغيرت حضارة المايا في عدة نواح؛ فالناس في الأراضي المنخفضة الجنوبية، تخلوا عن مدنهم، وفي النهاية عن المنطقة برمتها. ولا زال العلماء يحاولون واحد من أسماء عشرين يوماً ورقماً من 1 إلى 13، وكان لكل اسم من العشرين يوماً إله أو إلهة مرتبطة به، وكان الكهنة يعتقدون أن باستطاعتهم التنبؤ بالحظ السعيد أو السيء بواسطة دراسة تركيب الآلهة أو الإلهات والأرقام، وكان للمايا تقويم من 365 يوماً مبني على مدار الأرض حول الشمس. وقسمت هذه الأيام على 18 شهراً باحتساب 20 يوماً لكل شهر زائداً 5 أيام عند نهاية السنة. وعُدَّ المايا هذه الأيام الخمسة الأخيرة في السنة سيئة الحظ للغاية، وخلال هذه المدة كانوا يصومون ويقدمون عدة قربان ويتجنبون أي عمل غير ضروري. واستعمل المايا الأعشاب والسحر لمعالجة المرضى، وبالرغم من ذلك، لا يعرف العلماء إلا القليل عن معرفة المايا بالطب.

أما الفنون والحرف؛ فقد أنتج المايا فناً معمارياً مميزاً وفريداً وكذلك الأمر بالنسبة للتصوير التشكيلي والحزف والنحت، وقد بنى معماريون ذوو خبرة عالية أهرامات بالأحجار الكبيرة وفوقها معابد صغيرة. وشيدوا نوعاً من الأقواس وذلك بواسطة بناء حائطين متواجهين عند القمة وربط الهوة بينهما بواسطة صف من الأحجار المسطحة. وبنى المايا كذلك بنايات كبيرة ومنخفضة، ومن المعتقد أنها كانت لسكن الرؤساء والكهنة في الاحتفالات المهمة، وتوافرت عدة بنايات ذات زخرفة مسطحة تسمى مُشوط السقف التي امتدت من النقطة العليا للسطح. وأعطت مُشوط السقف، مثل أبراج الكنائس، الانطباع بأن البنائيات ذات علو شاهق.

زين الفنانون الجدران برسوم ملونة بألوان زاهية تصور شخصيات تشارك في معارك واحتفالات. ورسوموا الشخصيات بالتصوير الكفافي أي رسم الخطوط العامة لأجزاء الجسم ثم لونها بألوان مختلفة، ونادراً ما ظللوا هذه الألوان أو صبغوها بصُور متدرجة.

وهناك نوع مماثل من التصوير التشكيلي يظهر في خزف المايا. وصنع المايا منحوتات صغيرة من الطين ونحتوا منحوتات كبيرة من الحجر، وتشكلت أغلب المنحوتات الكبيرة التي وصل بعضها إلى علو 9 م من شخصيات الآلهة (والأفراد المهمين 24) (وأخيراً؛ يوجد في الوقت الراهن عدة شعوب في المكسيك وأمريكا الوسطى ما تزال تتكلم إحدى اللغات واللهجات العشرين التي تطورت من لغة المايا، و تعيش

بعض هذه الشعوب في الأراضي العليا للمكسيك وجواتيمالا، والأخرى تعيش في الجهات الشمالية لشبه جزيرة يوكاتان في المكسيك. ولعل شعب اليوكاتيكو في يوكاتان اليوم أكثر هذه الشعوب من جهة الانحدار المباشر من المايا، هذا وكثير من المنحدرين من شعب المايا يزرعون الأرض علنغار ما فعله أجدادهم ولا يزالون يتمسكون ببعض شعائرهم وعاداتهم التقليدية.

تشكل اليوم أطلال مراكز احتفالات المايا مواقع جذب سياحي، وتشمل هذه الأطلال في المكسيك أطلال بونامباك وبالينات في شياباس وتشيشن إترا في يوكاتان الشمالية، ويزور السياح كذلك أطلال تيكال في جواتيمالا . وكوبان في الهندوراس .

● المحاضرة 13

- حضارة الأزتك

➤ عناصر المحاضرة

✓ _ الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

✓ نشأة حضارة الأزتك.

✓ الفنون والعلوم والنشاط الفكري.

الأزتك:

قامت هذه الحضارة في القرن السادس عشر الميلادي في شمال غربي المكسيك، كان حكمها ملكياً، وتركزت عقيدتها الدينية حول عبادة إله يرمز إلى الشمس.

- الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

تألف مجتمع الأزتك من أربع طبقات رئيسية هي:

أ - طبقة النبلاء.

ب - طبقة العامة.

ج - طبقة الأتباع.

د - طبقة العبيد.

وعلى الرغم من هذا التقسيم الطبقي فقد ارتبطت عائلات من طبقة النبلاء بعائلات من طبقة العامة بصلات قرى وثيقة، وانتمت هذه العائلات كلها إلى مجموعات الكالبولي وامتلك أفراد المجموعة مساحة من الأرض ملكاً مشتركاً، وكان يُسمح لكل عائلة أن تزرع قطعة كبيرة من الأرض تكفي لسد حاجاتها، وبالإضافة إلى أرض الكالبولي كان معظم النبلاء يمتلكون أراضي خاصة بهم أو أراضي كانوا قد حصلوا عليها من الحكومة لاستخدامها خلال شغلهم لمناصبهم الحكومية. وشكّل العامة غالبية السكان، وعاش عددٌ كبيرٌ منهم على زراعة أراضي الكالبولي. وعمل الأتباع في الأراضي التي يملكها النبلاء، وكانوا يستمرون فيها وإن انتقلت ملكيتها إلى نبيل جديد. وكان العبيد يُعدّون ملكية خاصة، لكن أولادهم كانوا يولدون أحراراً، وكان عدد كبير من العبيد أسرى حرب وعدد آخر اشتراه الأزتك من جماعات أخرى، وهناك عبيد استرقوا؛ لأنهم كانوا مجرمين أو أناساً عجزوا عن دفع ديونهم وكان يعيش في مدينة

تينوخيتلان نحو مليون إنسان في بيوت حجرية مؤلفة من طابق واحد وذات سطوح مستوية، وتركزت المدينة حول معبدين هرميين كانا يرتفعان فوق 30 م،

هناك كان الكهنة يقدمون الأسرى للآلهة كقرابين في حفلات طقسية.

تكلم الأزتک لغة تُسمى ناهواتل، تنتمي إلى مجموعة كبرى من اللغات الهندية تعرف بعائلة أزتک تانوان أو يوتو أزتک اللغوية كما تضم هذه العائلة اللغات التي تتحدث بها قبائل كامنشي وبيما وشوشوني، وقبائل أخرى في أمريكا الشمالية الغربية.

واستخدم الأزتک شكلاً من الكتابة يوصف بالكتابة التصويرية، وتتألف من صور صغيرة، ومنها ما يرمز إلى معاني الأشياء المصورة ومنها ما يعطي أصواتاً لمقاطع لفظية.

ولم يكن تطور نظام الكتابة التصويرية كافياً ليقدم تعبيراً كاملاً عن الأفكار، وقد استخدم الأزتک هذا النظام، بصورة رئيسية، من أجل السجلات التجارية والإحصائيات والكتابات التاريخية والدينية وقوائم الضرائب .

أما بالنسبة لنشاطات الأزتک فلم تكن الثيران والخيول والدولاب معروفة في مملكة الأزتک كما في كل أمريكا قبل اكتشافها، وكان التجار ينتقلون من مدينة إلى أخرى بموكب طويل من الحمالين الذين يحمل كل منهم حملاً من نحو 30 كغ على ظهره، وكان يقام في كل مدينة سوق كل عشرين يوماً حيث تجري مقايضة البضائع بعضها ببعض.

ازدهر في مملكة الأزتک الحفر على الخشب وتصنيع الأحجار الكريمة والنسيج، وكتب الكهان كتباً جلدية كانت تطوى على شكل الأكورديون، ويوجد في بعض هذه الكتب التي كتبت بإشارات صورية مختصر لتاريخ القبيلة البالغ ألف سنة . وعرف الأزتكيون الخرائط أيضاً ووضعوا نماذج جيدة منها استخدم إحداها أحد القادة الأسبان عند عبوره شبه

. جزيرة يوكاتان كانت الزراعة أساس الاقتصاد عند الأزتک، وأكثر المحاصيل أهمية الذرة الشامية . وكانوا يزرعون أيضاً الأفوكادو والفاصوليا والدباء والبطاطا الحلوة والطماطم وعدداً كبيراً من المحاصيل الأخرى . وقد وفرت الأراضي المنخفضة المنتجات الاستوائية مثل : القطن والباباي والمطاط وحبوب الكاكاو التي تصنع منها الشوكولاته.

كانت الآلة الزراعية الأساسية هي عصا مدببة تستعمل للحفر، ولجأ المزارعون في الأراضي المنخفضة، المغطاة بغابة كثيفة، إلى عمليتي القطع والحرق، حيث كانوا يقطعون جزءاً من الغابة ويجرقونه، ثم يزرعون المحاصيل في الأراضي التي تم تنظيفها، كان الرماد يزيد من خصوبة التربة . وشق الأزتک في الأراضي

المرتفعة المصاطب في جوانب التلال كي يزيدوا من مساحة الأرض الزراعية . كما أنهم حفروا شبكات الري لسقي محاصيلهم، وبالإضافة إلى ذلك حوّل المزارعون بقعاً من البحيرات الضحلة إلى أراضٍ زراعية بجرف الطين من قاع هذه البحيرات وتشكيله على هيئة جُزر، كانت تعرف باسم

تشينامباس، وكان المزارعون يضيفون، بصورة منتظمة، طيناً جديداً في غاية الخصوبة، وأدى ذلك إلى الإنتاج الوفير من المحاصيل الزراعية لجزر التشينامباس، ولايزال في بحيرة زوخيملكو في مدينة مكسيكو سيتي، عددٌ كبيرٌ من التشينامباس، وعلى الرغم من أن هذه الجزر غير عائمة، أي غير محاطة بالمياه، إلا أنهم غالباً ما كانوا يطلقون عليها اسم الحدائق العائمة.

وعرف الأزتك التجارة والنقل، فكانت ساحة السوق مركزاً رئيسياً في حياة الأزتك، فكان سوق تاتيلولكو أكبر سوق في الأمريكتين، وقد عُرضت في هذا السوق كل أنواع السلع المتوافرة في عالم الأزتك، وكتب المكتشف الأسباني هرناندو كورتيز بأن أكثر من 60 ألف نسمة يزورون هذا السوق يومياً، وكان هناك عددٌ كبيرٌ من الأسواق الصغيرة في أرجاء الإمبراطورية، وكان موظفو الحكومة يشرفون على التجارة.

وكان التجار يعرفون باسم بوشتيكا، ويجوبون كل أرجاء الإمبراطورية في حملات تجارية، استخدم التجار عدداً كبيراً من الحمالين يسيرون في قوافل طويلة وهم يحملون على ظهورهم حمولات ثقيلة. وتاجر سكان الأراضي المنخفضة بمنتجاتهم من الكاكاو والقطن والمطاط وجلود نمور اليغور وريش الطيور

المدارية. وتسلموا مقابلها سلعاً من الأراضي المرتفعة، منها السبج (الزجاج البركاني) الذي

كان يستخدم في صناعة السكاكين، ومجموعة (مجموعة من المنتجات المصنعة

وكان للدين أهمية فائقة في حياة الأزتك، وكرس الناس معظم أوقاتهم للعبادة، حتى أنهم كانوا يشنون الحروب، بصورة رئيسية بغية الحصول على أسرى يقدمونهم قرابين لآلهتهم عبد الأزتك مئات من الآلهة، وكانوا يزعمون بأن لكل واحد منها سيطرة على حركة أو أكثر من الحركات البشرية، أو على مظهر أو أكثر من مظاهر الطبيعة. ولما كان اقتصاد الأزتك يعتمد على الزراعة كان لشعبهم عدد كبير من الآلهة الزراعية، منها سنتيوتل للذرة، تلانوك للمطر والخصب، زايب توتك للربيع وإحياء الأرض.

كان للأزتك كثير من الطقوس الدينية، ويُقام أكثرها أهمية أيام الزراعة والحصاد، ومناسبات أخرى خلال السنة الزراعية. وكان العديد من هذه الطقوس الدينية تهدف إلى ضمان محاصيل وفيرة حسبما كانوا يعتقدونه من عطف آلهتهم.

أدت القرابين البشرية دوراً أساسياً في معظم الطقوس الدينية، وكان الكهنة يشقون صدر الضحية الحية وينزعون منها القلب، إذ كانوا يعتقدون أن آلهتهم تحتاج إلى قلوب ودماء بشرية كي تبقى قوية. وكان المتعبدون يأكلون، أحياناً، أجزاء من جسد الضحية، وربما كانوا يعتقدون أيضاً أن قوة الشخص الميت وشجاعته تنتقل إلى كل من يأكل لحمه، وكان معظم الضحايا من أسرى الحروب أو العبيد، ولكن الأزتك كانوا يضحون بأولادهم لإلههم تيالوك.

كان التقويم الديني عند الأزتك يتألف من 260 يوماً، وقد استخدم الكهنة التقويم لتحديد

أيام السعد للقيام ببعض الأعمال، مثل بذر المحاصيل وبناء البيوت والخروج إلى الحرب، كما كان لهم تقويم شمسي يتألف من 365 يوماً، وكان التقويم الأخير يتألف من 18 شهراً، وكل شهر يتألف من 20 يوماً علاوة على خمسة أيام إضافية.

كان الأزتک يقيمون احتفالاً كبيراً كل 52 سنة، يُدعى ربط السنوات أو مهرجان النار الجديدة، وقبل بداية الاحتفال يطفئ الناس مواقد نيرانهم، ليشعل الكهنة ناراً جديدة فوق صدر أحد القرايين عند فجر دورة ال 52 سنة الجديدة. وكان الناس يقومون بوخز أنفسهم ليضيفوا دماءهم إلى القريان، ومن ثم يشعلون من هذه النار الجديدة، نيران مواقدهم ثانية، ثم يحتفلون .

-نشأة حضارة الأزتک:

أخذت قبيلة هندية صغيرة فقيرة عام 1168 حضارة التولتيك وأستت مملكة شملت مع مرور الزمن نحو خمسة ملايين إنسان، وكان «.الناس المنظمين في صفوف» هؤلاء الأزتک أو هاجر الأزتکیون بعد انهيار مملكة التولتيك نحو الجنوب، وتروي الأسطورة أنهم عاشوا قبل أن يطوروا حضارتهم على جزيرة في أحد البحار، وهناك ظهر لهم إلههم الذي أمرهم بالبحث Huitzilopochtli عن الإشارة الخاصة به وقال لهم أنهم عندما يجدونها سيصبحون شعباً كبيراً، فتنقل الأزتکیون من مكان إلى مكان ويقوا في كل مكان بضع سنوات فقط كانوا يزرعون خلالها الذرة، وحوّهم أحد الملوك مرة إلى عبيد لكنهم هربوا إلى جزيرة مستنقعية في بحر المكسيك، وهناك رأى قادتهم الأربعة، الذين كانوا يشكلون مجلساً للشيوخ، صخرة عليها نبات صبار يقف فوقه نسر يمسك أفعى بمخالبه، وكانت هذه إشارة الإله المنشودة، إذ بنى الأزتکیون في Tenochtitlan المكان مدينة تينوختيتلان (صخرة الصبار) حالياً مكسيكو سيتي وهي الآن عاصمة جمهورية المكسيك.) سيطر الأزتکیون حتى عام 1502 تقريباً على كل الجزء الجنوبي الخصب من المكسيك. وفي عام 1519 احتل الإسبان المكسيك، وبعد سنة مات الحاكم الأزتکي في الأسر الإسباني (.وتسلم خليفته من بعده قيادة شعبه.

كان للأزتک إحدى أشهر الحضارات المتقدمة في الأمريكتين، وبنوا مدناً كبيرة تعدل أية مدينة في أوروبا وقتذاك، واعتنقوا ديانة وثنية تركت أثرها في كل جوانب حياتهم.

وبنى الأزتک معابد ضخمة لعبادة إلهتهم، كما أنهم عملوا منحوتات كبيرة، والتزموا بطقوس تميزت بتقدم القرايين البشرية. ودمر الإسبان إمبراطورية الأزتک عندما غزوها سنة 1521م. لكن أثر الأزتک في الثقافة المكسيكية ترك بصمات دائمة وثابتة.

يستخدم اسم الأزتک أحياناً للإشارة إلى الشعب الذي أسس مدينة تينوختيتلان في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي، وكانت هذه المدينة تقوم في موقع مدينة مكسيكو سيتي الحالية. وكان سكانها يسمون

أنفسهم بأسماء مختلفة منها : كولهوا مكسيكا ، مكسيكا وتينوخواكا. وفي القرن الخامس عشر الميلادي أخضعت مدينة تينوختيتلان وحلفاؤها عدداً كبيراً من التجمعات البشرية الأخرى في وسط المكسيك وجنوبيها، مُشكّلةً بذلك إمبراطورية الأزتك، التي أصبحت تينوختيتلان عاصمتها. واستُخدم اسم الأزتك أيضاً للدلالة على هذه التجمعات الكبرى من الهنود الذين شكلوا هذه الإمبراطورية. وبذلك اشتملت إمبراطورية الأزتك على عدد كبير من المدن والحواضر، وبخاصة تلك الواقعة في وادي المكسيك، وكانت أكبر مدينة في هذه الإمبراطورية العاصمة تينوختيتلان، التي تقوم على جزيرة في بحيرة تكسكوكو، وتربطها بالقارة قنوات وجسور تمر عبر المدينة، وامتدت². تينوختيتلان على رقعة مساحتها نحو 15 كم وفوق إحدى الجزر الواقعة إلى الشمال من مدينة تينوختيتلان انتصبت مدينة تلاتيلولكو التي كانت توأماً لها. وكلتا المدينتين تقعان داخل حدود مدينة مكسيكو سيتي الآن، وقد كانت مدينة مكسيكو سيتي تغطي معظم بحيرة تكسكوكو التي جفّت خلال القرن السابع عشر.

وفي سنة 1473 م أخضع سكان تينوختيتلان مدينة تلاتيلولكو ووحدا المدينتين. وعندما وصل الإسبان في القرن السادس عشر، لم يكن في إسبانيا مدينة يبلغ عدد سكانها عدد سكان مدينة تينوختيتلان الذي ربما بلغ أكثر من مائة ألف نسمة. كان لإمبراطور الأزتك لقب هو هيوي تلاتوني (المتحدث الكبير)، وكان يقوم باختياره من بين أفراد الأسرة المالكة، مجلس مؤلف من نبلاء ذوي مقامات رفيعة، كان الإمبراطور يتمتع بسلطة كبيرة، ولكن كان عليه أن يستشير مجلس النبلاء قبل أن يتخذ القرارات المهمة. وكانت تتمركز، في المواقع الرئيسية في أرجاء الإمبراطورية المختلفة وحدات عسكرية للمحافظة على الأمن، ويقود معظم هذه الوحدات أحد كبار النبلاء، الذي يضطلع، في الوقت نفسه، بدور حاكم الإقليم، ويدير شؤون الإمبراطورية جهازاً مُحكَم من الدوائر الحكومية. وكان عدد كبير من المراكز العليا وراثياً، لكن خدمة الإمبراطورية كانت السبيل الرئيسي للحصول على منصب عال .

– الفنون والنشاط الفكري:

كانت المنحوتات الأزتكية، التي كانت تزين المعابد والمباني الأخرى، من أكثر المنحوتات إتقاناً في الأمريكيتين، وأشهر أثر أزتكى منحوت، لا يزال موجوداً حتى الآن هو حجر التقويم الدائري الضخم الذي يمثل مفهوم الكون عندهم، وقطر هذا الحجر نحو 5,3 م، وفي وسطه وجه توناتيوه إله الشمس عندهم وهناك نقوش أخرى على الحجر، تمثل أيام الشهر عند الأزتك، ورموز دينية متعلقة بعبادة إله الشمس عندهم. ويعتقد عددٌ كبيرٌ من الأثريين أن كهنة الأزتك كانوا يضعون قلوب القرابين البشرية على هذا

الحجر .وأنتج الأزتک أشكالاً متعددة من الأدب المروي، يشمل الشعر وروايات متوارثة من تاريخهم، وكان للموسيقا دور رئيسي فيطقوسهم الدينية، والآلات الموسيقية الرئيسية عندهم هي الطبل والمزمار والحشخاشة.

واستخدم حرفيو الأزتک الريش لصناعة العباءات الجميلة وأعطية الرأس وثياب أخرى، كما عرفوا حرفاً مهمة أخرى اشتملت على صناعة المعادن والخزف والحياكة والنقش .على الخشب وتعيش حالياً في الولايات المتحدة الأمريكية، أعداد كبيرة من ذوي الأصول الأزتكية، وبخاصة في ولايتي كاليفورنيا وتكساس، وقد طوّر هؤلاء الأمريكيون المكسيكيون، في أواسط القرن العشرين، اتجاهاً ثقافياً جديداً للاعتزاز بأسلافهم الأزتک أطلقوا عليه اسم .تراث الأزتک. ولا تزال قلة قليلة من بقايا العمارة الأزتكية باقية حتى الآن، فقد عدّ الإسبان أن واجبهم كنصارى أن يححو كل ما في المعابد والآثار الأخرى، من الأشياء المتعلقة بديانة الأزتک، فدمروا مدينة تينوخيتلان وبنوا على أنقاضها مدينة مكسيكوسيتي، لكن الآثارين كشفوا خلال عمليات التنقيب عن موقع المعبد الكبير في مدينة مكسيكوسيتي، وكشفوا جوانب البناء الأربعة، واكتشفوا حوالي ستة آلاف قطعة، تشمل مجوهرات وخزفاً وتمائيل ونقوشاً جدارية وبقايا قرابين حيوانية وبشرية، ورسم الأثريون بعض المباني الأزتكية الأخرى، منها معابد في كل من تيناويوكا وتيبوزتان، الواقعتين قرب مدينة مكسيكوسيتي .وبالإضافة إلى ذلك يضم المتحف الوطني للآثار في مدينة مكسيكوسيتي مجموعة كبيرة من الأعمال الفنية الأزتكية.

والآلاف من السكان في المكسيك لهم أسلاف من الأزتک، كما أن عدداً كبيراً منهم يتكلمون صورة حديثة من لغة ناوات، هذا فضلاً عن أن عدداً كبيراً من أسماء الأماكن المكسيكية، بما في ذلك أكابولكو ومكسيكوسيتي نفسها قد جاءت من لغة ناهواتيل، وكذلك، كان حال الكلمات الإنكليزية مثل الأفوكادو والشوكولاتة والطماطم، واستخدم رسامون مكسيكيون، أمثال جوز أورازكو ودييجو ريفيرا ودافيد سيكوروز، موضوعات أزتكية في رسوماتهم.

هذا فضلاً عن أطعمة من أصل أزتكي، مثل الفلفل والشوكولاتة والتاكو، قد أصبحت مألوفاً في عدد كبير من البلاد.

• المحاضرة 14

- النهضة الأوروبية

➤ عناصر المحاضرة

✓ مفهوم النهضة :

✓ النهضة الأوروبية : الأسباب والظروف.

✓ مظاهر النهضة الأوروبية:

مفهوم النهضة :

تسمية أطلقت على حركة ثقافية وفنية واسعة انطلقت من إيطاليا، وعمت بلدان أوروبا الغربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، واتسمت خصوصاً برفض قيم العصور الوسطى ومثلها المعنوية والاجتماعية والسياسية وذلك بإحياء تراث العصور الكلاسيكية الرومانية والإغريقية وإغناء قيمها الفكرية والفنية والحياتية بإنجازات الحاضر؛ لتصبح إحدى المكونات الأساسية في الحضارة الأوروبية الحديثة.

النهضة الأوروبية : الأسباب والظروف.

ارتبط بالنهضة بصورة وثيقة حركة النزعة «الإنسانية» [ر] Humanism التي برزت في إيطاليا في القرن الرابع عشر، وامتدت إلى باقي البلدان الأوروبية (الغربية) بوصفها حركة فلسفية وأدبية تسعى إلى إحياء التراث الكلاسيكي وقيمه الإنسانية، وكانت من أهم عوامل ترسيخ العلم والثقافة في العصور الحديثة.

وقد أرسى المفكرون «الإنسانيون» أسس النزعة الطبيعية التي تجعل الإنسان سيد مصيره بوصفه المقياس الوحيد الذي تحدد به جميع أنواع القيم الأخلاقية والإنسانية، وتجلى هذا في مجموعة من الأفكار والرؤى مؤداها:

- أنه لا وساطة بين الإله والإنسان، وأن الإله والكون شيء واحد.

- أن تحرير الإنسان من خوفه الدائم يكون بمعرفة قوانين هذا العالم الذي يعيش فيه.

- العقل الإنساني هو مظهر للعقل الإلهي، ومن ثمّ يمكن الاعتماد عليه في معرفة العالم والذات

الإنسانية.

- ينبغي تحليل القيم الإنسانية من الوصاية الدينية، والدعوة إلى المساواة بين الناس والتسامح

والتعاون واحترام الكرامة الإنسانية على أساس العقل والمنطق وعمل الفرد وعلمه ومنجزاته.

إن الذي حرر عقل النهضة وحواسها كان النزعة الدنيوية التي انبعثت من نشأة الطبقات الوسطى البورجوازية التي بدأت تزداد قوة بانتعاش الصناعة والتجارة. وأدت هذه المتغيرات الاقتصادية والتقدم المادي إلى حدوث شرح في اللاهوت والفلسفة الوسيطة وبرز توجه دنيوي نحو تعظيم الإنسان والطبيعة. لقد عمل مفكرو النهضة على تعظيم الإله عبر مخلوقه، وتمجيد كل ما هو إنساني، وإعادة الاعتبار للعقل مما أدى لاحقاً إلى ولادة الفكر العلمي والتجريبي وإلى تجاوز أرسططالية العصور الوسطى ونظام بطليموس الفلكي الذي جعل الأرض مركز الكون.

كانت إيطاليا المهد الطبيعي للنهضة الفنية والأدبية في أوروبا، وذلك بسبب عدة عوامل يأتي في

مقدمتها:

- ماضي إيطاليا التاريخي وبقاء التراث الروماني والأوابد الكلاسيكية على أرضها وبين أهلها

ماتلاً للعيان.

- وهي بحكم موقعها الجغرافي أقرب البلدان الأوربية إلى اليونان والحضارة البيزنطية وأقواها اتصالاً

بالحضارة العربية.

- شهدت مدنها - ولاسيما في الشمال - ازدهاراً اقتصادياً كبيراً بسبب انتعاش الصناعة والتجارة

وسيطرتها على الطرق البحرية بين أوروبا الغربية وبلدان حوض البحر المتوسط (البندقية وجنوة) وهذا ما

جعلها أغنى إقليم في العالم المسيحي آنذاك وشكل القاعدة المادية للأعمال الفنية والعمرائية التي جاءت بها النهضة .

لقد أدى تعدد المراكز السياسية والثقافية إلى منافسة نبيلة بين المدن والأمراء لرعاية الثقافة والفنانين والعلماء يدفعها الحرص على التفوق والرغبة في أن تضيف إلى بهاء صروحها وروعة مجد مناصرة الفن والعلم والأدب وحمائتها.

كانت مدينة فلورنسة الموطن الأول لهذه النهضة، إذ كانت في القرن الرابع عشر أغنى مدن إيطاليا بعد البندقية، وكان الفلورنسيون أكبر صيارفة البلاد؛ وذلك بفضل تنظيم الصناعة واتساع نطاق التجارة والأعمال المالية والمصرفية. وقد جعلوا من مدينتهم عاصمة إيطاليا الثقافية بفضل تنافس أسرها الغنية في رعاية الأدب، مثل تنازعها على الحكم والسلطان ، كانت فلورنسا تفخر بأنها أنجبت أعظم شعراء إيطاليا (دانتي) وأحد أعظم أدبائها (بوكاتشو)[ر] وكثيراً من رجالها المبدعين وبقية طوال القرن الخامس عشر تحمل لواء الزعامة الفكرية والفنية تحت حكم آل مديتشي وعلى رأسهم كوزيمو Cosimo ت(1389-1464) ولورنزو المهيب Lorenzo il Magnifico ت(1449-1492) وحفيده الذي أقام مكتبة ضخمة في كنيسة سارن ماركو، وكان يجمع بين النشاط الدبلوماسي ورعاية الفنون والشعر. وهكذا نشأت النهضة في فلورنسا بعد أن تجمعت أسبابها من سبل كثيرة عظيمة الأثر، وأضححت هذه المدينة بذلك أثينا إيطاليا مثلما كانت تلك في عهد بركليس [ر]. ويتطابق عصر العظمة هذا مع ما يسميه الإيطاليون الكواتروشنتو Quattrocento، وهو أزهى عصورهم الفنية.

أهمها .

. الثورة الاقتصادية التي قامت في القرن الثاني عشر بظهور طبقة جديدة من أهل المدن وهي الطبقة الوسطى العاملة، وقوامها التجار ورؤساء أرباب الحرف من أهل المدن، إضافة لما كان موجوداً ومألوفاً وهو التقسيم الثلاثي للطبقات وهي: طبقة النبلاء (المحاربون)، ورجال الدين، والفلاحون. وكان ظهور الطبقة الوسطى عاملاً مهماً من العوامل التي حطمت دعائم المجتمع الأوروبي القديم، وأدت لثورة الإصلاح.

. أدى النمو الاقتصادي إلى ظهور طبقة التجار والحرفيين بالتدريج مع ظهور بوادر الصناعات البسيطة مما أدى إلى ظهور قوى اجتماعية جديدة مهدت لكسر القبضة الحديدية للإقطاع، مما ساهم في ظهور نزعة عقلية جديدة قوامها التمرد على الفكر القديم، وكانت فرنسا في العصور الوسطى خلال القرن (12، 13م) الزعيمة العقلية لأوروبا لتجارها الرائدة، والأعمال المالية والتجارية التي انتشرت في باريس وحقت الثراء لها وأغرقت كثيراً من العلماء والعقول المفكرة للنزوح إليها حيث كانوا يلاقون أيضاً الدعم المالي.

. ظهور نزعة عقلية جديدة تطالب بالتوفيق ما بين مطالب الإيمان ومطالب العقل الإنساني هذا الاتجاه الذي بدأ يدعو إلى منطقة الدين والذي بدأ يظهر من داخل الكنيسة ذاتها. وكان من أوائل من نزع هذه النزعة ابييلارد (1079-1142م) الذي نادى بتحرر العقل من رقة العقيدة وأكد ان العقيدة لا يمكن أن تحيا حياة قوية بغير علم ومعرفة .)

4. التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي كانت بشرة بثورة الاصلاح التي حدثت في الفكر الأوروبي، وقد حمل لواءها المتعلمون الذين استفادوا من خبراتهم ودراساتهم في الجامعات الإسلامية في الأندلس من أمثال العالم روجر بيكون (1214-1294م) الذي هاجم المنهجية المنطقية والميتافيزيقية ونادى بالمنهج التجريبي، ولقيت آراؤه رواجاً كبيراً وبعد موته حيث يعتبر بحق رائد الطريقة التجريبية، التي كانت من أسباب النهضة الأوروبية.

5. اختراع الطباعة: لقد دعمت الاتجاهات الجديدة كلها ابتكار فن الطباعة في أوروبا عام 1440 م، مما ساهم في طباعة ونشر الكتب والدراسات التي أصبحت لكثرتها في تناول جمهور أوسع من الشعب ، مما شجع المطالعة التي هي باب المعرفة وباب كل تقدم وتطور، ولها دور فعال على مستقبل الشعوب والأمم .

6. ظهور الدول العصرية، ومحاولة تحقيق نمو اقتصادي وتغيرات اجتماعية للسير بالجماعات إلى الأمام، مما دعا إلى ضرورة وجود تعليم جديد لخدمة الواقع الجديد.

وهذا التغير الذي فرض نفسه على الغرب ساهم في نشوء الجامعات التي كونت الحركة الفكرية والفنية التي تسمى بالإصلاح ، حيث أدت إلى اشعاع علمي وحضاري وثقافي عام بدد الظلمات التي سادت أوربا في القرون الوسطى، وكانت التفتح الأول للعلم الحر. ومنذ القرنين الثالث عشر والرابع عشر اخذت

هذه المراكز الثقافية تتكاثر في المدن الكبرى، وبدأ الفكر الجديد يفرض نفسه على الجامعات والمدارس مع بداية ضعف اشراف رجال الكنيسة على التعليم ومؤسساته. بالإضافة إلى أن الكنيسة نفسها ساهمت . من غير قصد . في ثورة الإصلاح الديني في اوروبا لتنتقل بعدها من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة .)

نظرة عامة في النهضة :

تميزت النهضة التي حدثت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بأنها كانت شاملة لجميع ميادين الحياة، وبث روحاً جديدة في العلم والفكر والفن والاجتماع والحضارة ، وفي نواحي التربية والتعليم النظرية والعملية . لقد اهتمت بتنمية الفردية وتمجيد الإنسان أكثر من الاهتمام بما وراء الطبيعة. واعتمدت اساليب فكرية وتهديبية مرنة بعكس الأساليب الجامدة التي كانت سائدة في العصور الوسطى. لقد حاربت الجمود وشجعت الابتكار وكانت بحق تربية إنسانية، تهتم بتربية الإنسان جسماً وعقلياً ونفسياً وتهتم بالعقل وتخفيف القيود التي كانت مفروضة عليه . وقامت خلالها أنواع من النشاط يمكن أن نرجعه إلى ثلاث نزعات لم تكن موجودة في العصور الوسطى :

أ . العودة إلى الأقدمين المتمثلة في آلية العودة إلى الأصول في صورة احياء الآداب والمعارف والفنون الرومانية والاعريقية، وما أعقب ذلك من قيام النزعة الإنسانية. ما أدى إلى ظهور فكر جديد يهتم بتجربة الفرد الشخصية وعقله. ولقد ساعدت هذه على إحياء العلوم والآداب القديمة، والبحث عن المخطوطات وطبعها ونشرها .

ب . الاهتمام بالعالم الشخصي عالم الانفعالات وتقدير عواطف الإنسان والاستمتاع بالحياة وتأمل لذاتها، وإكبار الجمال بشقي صورته. وقد نتج عن هذا الاهتمام الإنتاج الفني والأدبي بشقي صورهما .

ج . العناية بالطبيعة الجامدة التي كانت مهمة في العصور الوسطى. وقد ساعدت هذه النزعة على الاهتمام بالتجريب والاكتشافات الجغرافية والفلكية والطبيعية .

مظاهر النهضة الاوروبية:

مهده عصر النهضة الطريق للتاريخ الحديث، لذلك أحدث عدد من الآثار لهذه الفترة الزمنية منها:

الثورة الفكرية

- يعتبر عصر النهضة أحد أعظم نقاط التحول في التاريخ، وخاصًا في أوروبا، حيث أدي إلى ولادة جديدة للثقافة والأفكار الكلاسيكية، حيث يمكن للناس أن يفكروا ويبتكروا فنًا رائعًا.
- أحدثت النهضة تغييرات في كل شيء في المجتمع بما في ذلك التعليم والفنون.
- وضع الأساس لعصر الاستكشاف والسيطرة الأوروبية على العالم، حيث عمل على إعادة إحياء الاهتمام الأوروبي بالفن والاستكشاف والتكنولوجيا.
- زيادة معرفة القراءة والكتابة بفضل مطبعة جوتنبرج، وكانت المطبعة بمثابة إصلاح تعليمي، فقد تسببت في زيادة عدد الأوروبيين فكريًا.

الثورة الدينية

- أدت إلى إفساح المجال وفتح الطريق أمام الثورة الفكرية.
- أصبح يوجد حرية الاعتقاد مما أدي إلى فصل الدين عن السلطة.
- تجديد أبنية الكنائس، وظهر مفهوم جديد للعقيدة وأصبحت تعني حرية الضمير أو الوجدان.
- أصبح الدين أمر فردي أي ملكًا للمؤمن به وخاصًا به وقضي على مفهوم الجماعة أو الطائفة التي تعتنق دينًا